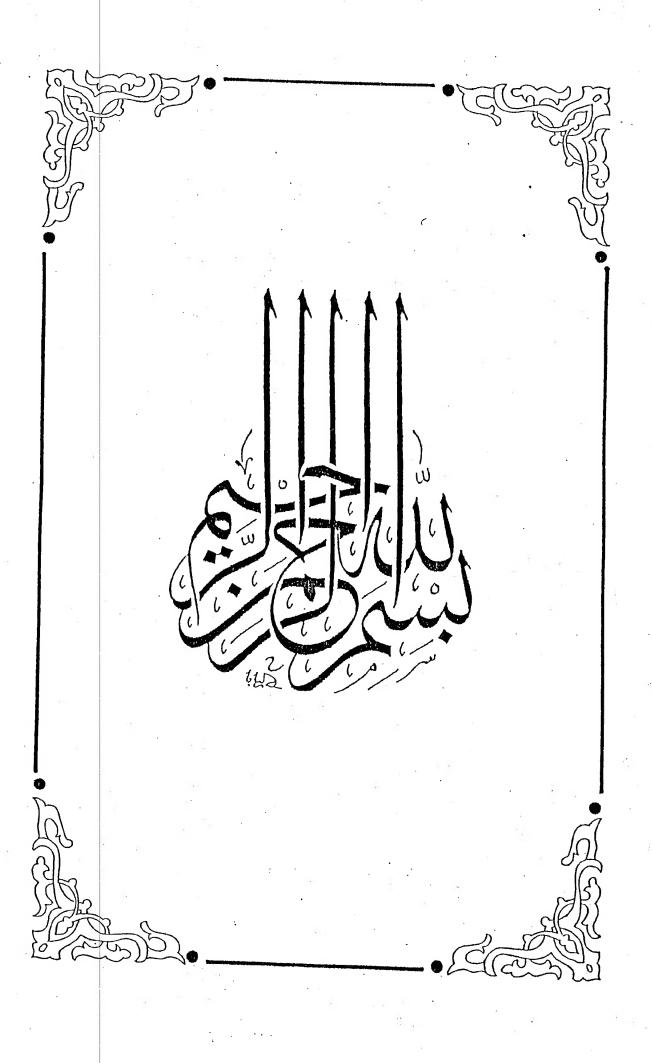
كليتراليثه يعترو ~1110 - 11c. ف مُقدم لدريجة الماجس إعدَ اد الطالبَ إشرافا لدكتور ٧٠٤١هر- ١٩٨٧مر



شكر وتقديــــر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلم على سيدى وقائدى محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ٠

ادائًا منى لبعض الواجب الذى على فأننى أتقدم بالشكر اجزالك لكل من أعاننى على اخراج هذا البحث بمورته هذه ، وأخص بالشكر أستاذى الجليل الدكتور ابراهيم نجيب محمد عوض رئيس قسم الدراسات العليال التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى والذى رعى هذا البحث وأسرف عليه منذ أن كان فكرة إلى أن رأى النور فجزاه الله عنى كل خير ٠

كما أتقدم بجزيل شكرى لجامعة أم القرى التي أتاحت لى ولزملائسي فرصة الدراسة في هذا البلد الحرام و أخص بشكرى القائمين على ادارة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية على مابذلوه تجاهنا من جهد يستحق الشكوالثناء ٠

كما أشكر اساتذتى فى قسم الحضارة على مابذلوه لنا من على صحصم ومعرفة فجزاهم الله عنا خير الجزاء ·

وختاما اشكر أخوانى وزملائى الطلاب على تشجيعهم المستمرونسائعهم المفيدة ٠

The state of the s

المقسدمسسة

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على سيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبه وسلم ٠٠ وبعــــد :

فان الأُرض التى يشغلها السودان بحدوده المتعارف عليها اليوم كانت تقوم عليها قبل فترة هذا البحث ممالك وسلطنات اسلامية مستقلة عـــن بعضها البعض وتتمتع كل سلطنة فيها بكامل سيادتها ولايربطها بغيرهــا من السلطنات والممالك إلا رباط الدين وحسن الجوار ٠

أولى هذه السلطنات وأعظمها أشراً هي سلطنة سنار، والتي كانصد عبارة عن تحالف سياسي بين قبائل الفونسج التي تنتسب إلى احسوم فروع البيت الامسسوي ، وبين قبائل العيدلاب العربية ،ولها السبب كان كثير من المؤرخين والكتاب يطلقون على هذه السلطنة اسمطنة الفونج باعتبار أنّ الفونج هم الطرف الأقوى في هذا التحالف ،كاتطلق بعض المصادر على هذه السلطنة اسم السلطنة الزرقا وذلك بسبب اللون الذي اكتسبته هذه القبائل نتيجة لاختلاطها بالعناصر الزنجيدة وكانت بداية هذه السلطنة في سنة ١٠٥٤م حيث اتخذت سنار عاممة لهوكان أول حكامها من الفونج عمارة دنفس ومن العيدلاب عبدالله جماع وتعتبر دولة سنار من السلطنات الاسلامية التي عملت على نشر الاسلطنة معظالسودان الشمالي وانتهت على يد اسماعيل بن محمد على في عام ١٨٢٠م

والى جانب سلطنة سنّار كانت توجد سلطنة الغور في الطرف الغربــــى من السودان حيث تسكن قبائل الغور الزنجية • ولايعرف تاريخ محدّد لدخـول الغور في الاسلام ولا لبداية سلطنتهم • إلا أنّ هذه السلطنة قد استمـــرت فترة طويلة بعد زوال سلطنة سنّار وانتهت في عهد الخديو اسماعيل سنـــة ١٨٧٤م على يد القائد السوداني الزبير باشا رحمة • وهــــــده السلطنة مثل سابقتها عملت على نشر الاسلام في أفريقيا كما كانت لهــــا

(۱)) ملاتها بالعالم الاسلامي ٠

أمّا فى كردفان فقدكانت توجد سلطتنتان صغيرتان هما سلطنة تقللير التى كانت تتمركز فى منطقة جبال تقلى وسلطنة المسبعات، ولايعرف الكثير عن تاريخ هاتينالسلطنتين إلا أنّ سلطنة المسبعات كانت قد دخلت فــــــى حروب مع سلطنة الفور انتهت بسيطرة الفور عليها بينما استمرت سلطنـــة تقلى إلى قيام المهدية ،

أمنا السودان بحدوده المتعارف عليها اليوم فقدوجد حديثاً بعدوده أن ضم محمد على وأولاده من بعده هذه السلطنات السودانية إلى إدارته ٠

ولقد كان منالموضوعات التى لفتت نظرى فى تاريخ السودان وأعطيتها اهتماماً كبيرًا هذه الفترة التى أطلقت عليها مصادر التاريخ السودان . فترة التركية السابقة أو فترة الحكم المصرى التركي في السودان .

وقد قسمت الموضوع إلى أُربعة أُبواب ،والأُبواب إلى فصول كما يلى :

الفصل الأول في النظام الاداري من (١٨٢٠ - ١٨٤٨م) •

الفصل الثاني في النظام الاداري من (١٨٤٩ - ١٨٦٣م) ٠

الغصل الثالث في النظام الاداري من (١٨٦٣ - ١٨٨٥م) ٠

الباب الثاني في نظام التعليم ويشتمل على :

الفصل الأول في نظام التعليم من (١٨٢٠ - ١٨٤٨م) ٠

الفصل الثاني في نظام التعليم من (١٨٤٩ - ١٨٦٣م) •

الفصل الثالث في نظام التعليم من (١٨٦٣ ــ ١٨٨٥م) • الباب الثالث في النظام القضائي ويشتمل على :

الفصل الأول في النظام القضائي من (١٨٢٠ - ١٨٤٨م) ٠

الفصل الثاني في النظام القضائي من (١٨٤٩ ــ ١٨٨٥م) ٠

أمّا الباب الرابع فيتحدث عنالنظام المالى والاقتصادى ويشتمل على: الفصل الأول : النظام المالى والاقتصادى فى السودان مــــن مــن ١٨٢٠ - ١٨٤٨م) ٠

الفصل الثانى : النظام المالى والاقتصادى فى السـودان مــــــن (١٨٤٩ – ١٨٨٥م) ٠

والله تعالى أسال أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه ،خاصة وأنّ دراسة التاريخ الحضارى من الدراسات التى لمتجد اهتماماً كبيراً من الكتّ والباحثين من المهتمين بتاريخ السودان حيث أنّ أغلبهم وجّه جـــل إهتمامه إلى التاريخ السياسي وأغفلوا دراسة التطور الاجتماعـــــي

الباليلول

النظام الإداري

ومحستوى عكلي ،

١١١ - النظام الإدارى في السودان في المنترة من ١٨٢٠ - ١٨١٨م

(٦)- النظام الإدارى في السودان في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٦٣ م

(٣)- المنظام الإدارى في السودان في الفترة من ١٨٦٣ - ٥ ١٨٨ م

العفلالأول

النظام الإدارى في السودات في النشودات في النترة من ١٨٤٠-١٨٤٨م

: میسود

(۱)
بعد أن تمكن الوالى العثمانى محمد على من السيطرة على مقاليـــد
الأمور فى مصر وقضائه النهائىءلى سلطان المماليك سنة ١٨١١م ،قام بعـــدة
حملات باسم السلطان العثمانى فى سوريا والجزيرة العربية ،كما قـــام
بتأسيس دولة عصرية فى مصر تأثر فيها بالنظم الغربية ،

وفى سنة ١٨٢٠م اتجهت أفكار محمد على جنوبًا نحو السودان بقصد ضمـه إلى دولته التي أنشأها ٠

وقد عزا المؤرخون الأسباب التي دفعت محمد على لقم السودان السبب

- (۱) تأمين حدوده الجنوبية وذلك بالقضاء على فلول المماليك الذي الله هربوا بعد مذبحة القلعة جنوباً واستقروا باقليم النوبة وحول مدينة دنقلة وبدأوا في شراء الأسلحة واعداد الجنود لتكوي جيش قوى يستعيدون به سلطانهم المفقود ،وقد خشى محمد على مستحالف المماليك مع سلطان سنّار أو تحالفهم مع ملك الحبشة فق رر القضاء عليهم ٠
- (٢) كان محمد على يحلم بانشاء دولة مترامية الأطراف ولذلك فكّر في بناء جيش حديث يكون قوامه من السود الذين يتميزون بالقيدوة

انظر عبدالرحمن الرافعى ـ عصر محمد على ـ مكتبة النهضة المصريسة القاهرة ١٩٥٦م (ص١٦٥) ومابعدها، ألان مورهيد ـ التيلالازرق ـ ترجمـة نظمى لوقا ط/دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥م (ص١٨٥) ومابعدها .

⁽۱) محمد على باشا ـ تركى الجنسية ولد فى سنة ١٧٦٩م فى مرفأ قول ـ قالذى يقع الآن فى بلاد اليونان وكان موظفاً حكومياً صغيرًا تروج ابنة عمدة قولة وأنجب منها ثلاثة أولاد هم ابراهيم وطوسون واسماعيل كان أول ظهوره في مصرسنة ١٧٩٩م متطوعاً فى الجيالتركى حيث كان يتولى قيادة فرقة ألبانية وصلت سنة ١٨٠٩م إلى مايزيد عن عشرة آلاف رجل ١ استفاد من الصراع بين المماليك والأتراك وتسلم زمام الأمور فى القاهرة بحجة المحافظة على الأمن وبعد قضائه على المماليك فى القلعة سنة ١٨١١م أصبح هوالحاكم الوحيد فى مصر ٠

والطاعة والشجاعة بدلاً منجيشه المكون من الاتراك والألب ان والمعاربة والأكراد، الذين كثيرًا ما يعصون الأوامر •

وقد ذكر الرحالة الانجليزى (هل) النّ المحرك الأول لمحمد علي الفتح السودان هوالحصول على الرقيق اللازمين له للعمل في الزراعية والصناعية والجيش ليحقق أحلامه عن طريقه ويبدو من خلال المكاتبات التي كانت تتم بين محمد على وأبنائه في السودان أنّ هذا الهدف كان من الأهداف الأساسية لحملة السودان و

- (٣) كذلك يعتبرالمؤرخون أنّالحصول على الذهب كان هدفاً من الأهــــداف التى سعى محمد على لتحقيقها حيث كان قد سمع عن كميات الذهب فـــى جبال بنى شنقول بشرق السودان وفى فاز وغلى على الحـــدود الأثيوبية ،وممّا يؤكد حرصه على هذا الهدف اصراره علىزيارة مناطـــق (٢)
 - (٤) بعض المراجع تشير إلى أنّ من دوافع محمد على في هذه الحملــــة التخلص من جنوده الذين أصبحوا مصدر خطر وازعاج له في مصر ٠

⁽۱) لمعرفة أسباب ضم السودان لمصر انظر: نعوم شقير - تاريخ السودان ط/دار الجيل بيروت ١٩٨١م (ص ١١٥٠ ، مكى شبيكة - السودان مبر القرون - دارالثقافة - بيروت (١١٤٥) ، عبدالله حسين المحام السودان من التاريخ القديم إلى قيام رحلة البعثة المصرية - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥م (ص ٣٥) ، د شوقى الجمل - تاريخ سودان وادى النيل - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩ (٩/٢) ومابعده د محمد فؤاد شكرى - صفحة من تاريخ السودان الحديث - مجلك كلية الآداب جامعة القاهرة عدد ٨ المجلد الثانى ديسمبر ١٩٤٦م - ١٩٤٦ (ص ٢٨ - ٢٨ و ١٤٤٨م و الماد الثانى ديسمبر ١٩٤٦م و الماد الثانى ديسمبر ١٩٤٦م و الماد الثانى ديسمبر ١٩٤١م و الماد الثانى ديسمبر ١٩٤٦م و الماد الثانى ديسمبر ١٩٤١م و الماد الماد الثانى ديسمبر ١٩٤١م و الماد الماد

(۱) وقد ذكر هذا السبب الرحالة وادنجتون •

(٦) ويفيف الدكتور محمد فؤاد شكرى أن من أكبر العوامل شأناً فــــى حملة السودان مطالبة أهل السودان أنفسهم بانشاء حكومة قوية علــى يد محمد على تقضى على أسباب الفوضى المنتشرة في بلادهم وتستبـدل (٢) بها عهداً من النظام والأمن والطمأنينة والرخاء

ويؤكد هذا وفود عدد من السودانيين من الحكّام والملوك المغلوبين على أمرهم يطلبون العون لاستعادة سلطتهم على أن يعترفوا بالتبعينية (٣) لمحمد على ٠

هذه هي أهم الاسباب التي رآى المؤرخون أنها دفعت محمد على لف السودان لحكمه إلا أنّ الدكتور شوقى الجمل يرى أنّ هناك عوامل غيالتي يراها المؤرخون، إذ يعتبر أنّ العوامل التي ذكرها المؤرخون ماهيا الاعوامل ثانوية أمّا العوامل الأساسية فهي :

- (٢) عوامل خارجية ويحصرها في أطماع إنجلترا في السودان ومصر فبادر محمد على بضم السودان حتى يقطع عليها الطريق •
- (٣) عوامل داخلية حيث لم تكن بالسودان قوة تستطيع الوقوف في وجـــه

⁽۱) جورج وادنجتون ـ زميل بكلية الشالوث بجامعة وبلن بايرلنــــدا كان عمره سبعة وعشرهن عاماً عندماجا الى مصر فى سنة ١٨٢٠م بصحبــة قس من كلية يسوع فى البندقية والتقى بمحمد على وذهب فى رحلــــة إلى النيل الأعلى أثنا عملة محمد على إلى السودان وانظــــر ألان مورهيد ـ النيل الأزرق ـ مرجع سابق (ص١٣٥) و

⁽۲) انظر محمد فواد شکری ـ مصر والسودان الوضع التاریخی للمسألــــة دار الفکر العربی ـ القاهرة (ص۷ ـ ۸) ۰

⁽٣) من هؤلاء الشيخ نصر الدين ملك بربر والملك إدريس ولد ناصر من سنار وادريس ولد ناصر من الله وادريس ولد عدلان من فازوغلى وأبو مدين من أقارب السلطان محمد الفضل سلطان دارفور - انظر ده شوقى الجمل - تاريخ سودان وادى النيل - مرجع سابق (١٠/٢) ه

(۱) • جیش محمد علی

ولكنه يرى أنّ العوامل التي رجمت كفة ضم السودان عند محمد على تنحصر في عاملين :

- (١) العامل الأول يتعلق بدواعي الأمن في الولاية الأصلية مصر ٠
- (٢) العامل الثانى يتعلق بالاهتمام بشئون البحر الأُحمر وسواحله ٠ (٢) وهذا العامل يتصل بامتداد نفوذ محمد على إلى سواحل الحجاز ٠

وعلى كل حال يصعب علينا تقديم أحد العوامل على العامل الآخر رغسم أنها تكاتفت سوياً ونجحت في أن تقرر مصر أمر الذهاب إلى السودان،سواءً كان ذلك لأسباب اقتصادية أو سياسية أو معنوية أو استراتيجية " ٠

ضــم السـودان:

أُعدَّ محمد على حملة تكونت من مغاربة واُتراك واُلبان وأكراد اضافــة إلى مجموعة من العربان وقد بلغ تعداد هذا الجيشنحو سبعة آلاف وثمانمائة مقاتل وقد قسم هذا الجيش الى فرقتين :

الأولى بقيادة اسماعيل أصغر أبنا ومحمد على وقوام هذه الحملية أربعة آلاف مقاتل من عناصر مختلفة أكثرهم من العرب والمغارب والألبانيين والأتراك ومعهم أربعة وعشرون مدفعاً وألف وخمسمائة فللرسوكان مع الحملة بعض علما الدين على رأسهم الشيخ أحمد السلاوى المغربان (٥)

⁽۱) انظر د۰ شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ـ مرجع سابـــــق (۸/۲) ومابعدها ۰

⁽٢) أنظر المرجع السابق (ص٩) ٠

⁽٣) د٠ جلال يحيى ـ مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية في القرن التاسع عشر ـ دار المعارف ١٩٨٤م (ص٣٢) ٠

⁽٤) أُصغر ابناء محمد على من زوجته التركية ابنة حاكم قولة • قدم إلى مصر بعد أن استتب الأُمر لوالده • توفى في اكتوبر ١٩٢٢م •

⁽ه) عبدالرحمن الجبرتى ـتاريخ عجائب الآثار فى التراجم والأخبـــار دار الجيل (٦١٢/٣) ٠

رم) الحملة الثانية فقد كانت بقيادة محمد بك الدفتردار صهـــر محمد على ٠

الحملة الأولى كان خط سيرها مع النيل ومهمتها اخضاع سلطنة سنار أمّا الحملة الثانية فكانت مهمتها ضم كردفان إلى الادارة المصرية ٠

سارت الحملتان من حلفا ولم تجد حملة اسماعيل أية مقاومة فـــــى دنقلة التى أصبحت مركزاً للمماليك حيث سلّم بعضهم لاسماعيل وهرب البعـــض الآخر جنوباً حيث تبعهم اسماعيل بعد أن ترك فى دنقلة قوة من الجيــــش لحفظ الامن وتأمين إرسال الامـدادات٠

· (۲7/۲)

⁽۱) محمد بك الاستانلى المعروف بالدفتردار ، نشأ فى الاستانة ، كان من الموظفين الذين عينهم سلطان تركيا فى مصر عهد إليه محمد على بالاشراف على أعمال الخزينة وجمع الضرائب فلفت أنظار محمد على إليه لهمته ونشاطه وزوّجه من ابنته الاميرة نازليهانم ثم عين حاكماً على السودان بعد مقتل اسماعيل فانتقم من قتلته ثم دعى إلى مصر ليستأنف عمله الأول فى المالية ، توفى فى ظروف غامضة ، انظر عبد الرحمن زكى _ حكمدارو السودان المجلة التاريخية المصريال مجلد الأول مه ١٩٤٨م (ص ٢٨٥) ،

ملك الجعليين ومنها إلى الطفاية وسنار حيث سلم له الملك بادى ملكك سنتار •

أمّا الحملة الثانية فقد اتجهت إلى كردفان عبر الصحراء ولم تجــد أية مقاومة الامن المقدوم مسلّم الذي كان يحكم مدينة باره نيابة عـــن (٢) سلطان الفور ،وبمعركة باره سقطت كردفان في يد الجيش المصرى ٠

⁽۱) الجعليون ينسبون إلى ابراهيم الملقب بجعل ،وهو حسب الروايـــات أبى سعد بن فضل بن عبدالله بن العباس عم النبى صلى الله عليـــه وسلم ، ويسكنون شمال الخرطوم وعاصمتهم بربر ، انظر محمد عـــوض محمد ــ السودان الشمالى ــ مرجع سابق (ص ١٦٤) ،

⁽۲) للمزيد منالتفاصيل حول حملات فتح السودان انظر : نعوم شقيـــر تاريخ السودان ـ مرجع سابق ،د٠ مكى شبيكة ـ مقاومة الســودان الحديث للغزو والتسلط ـ معهد البحوث والدراسات العربيــــة بالقاهرة ١٩٧٢م ٠

النظام الادارى فى السودان قبل امتداد الادارة المصريــــة



النظام الادارى في السودان قبل امتداد الادارة المصرية •

يقول الدكتور السيد يوسف نصر في كتابه الوجود المصرى فللمسلف القلم أفريقيا من ١٨٢٠ ـ ١٨٩٩م " عاشت معظم البلدان الأفريقية في مطلع القلم التاسع عشر في ظل نظام قبلي متخلفة تمثّل في قيام الدويلات والمماللك الصغيرة التي عاشت كل منها على حسب مايحلو لها بعيده عن مسايللو التقدم العلمي " .

هذا الوصف ينطبق تماماً على الوضع في السودان في ذلك الوقت ، فقد كان السودان ـ كما سبقت الاشارة ـ تحكمه ثلاث ممالك أكبرها مملكة سنار التي كانت تحكم معظم السودان الشمالي ولكنهاكانت في أواخر أيامه ضعيفة مفككة ترهقها الصراعات ثم مملكة تقلى في كردفان ومملك الفور في السودان الغربي ، وكانت القبائل والمشيخات تنفوى تحت هذه الممالك الثلاث ولكن العلاقة بينها كانت اسمية فقد كان زعيم القبيلية يعترف بسلطة السلطان عليه ويقدم له قدراً من المال ثم ينفرد بحك القبيلة أوالمشيخة ،وكان لايوجد نظام واضح للحكم كما لايوجد جهارة متكامل للقيام بأعباء الحكم .

وخلاصة القول أنه لم يوجد بالسودان قبل امتداد الادارة المصريــة إليه ،دول أو حكومات بمعنى الكلمة ،تشرف وتنظم نواحى النشاط المختلفــة فى البلاد، إذ فيما عدا الفرائب والرسوم التى كان السلاطين والملـــوك يقومون بجمعها من التجار، والمزارعين والبدو، والحرص على تنظيم قوافــل التجارة التى كان لهم فيها النصيب الأكبر، فقد ترك كل شيء على طبيعتــه يكيف نفسه وفق ظروفه الطبيعية الخاصة .

⁽۱) د السيد يوسف نصر _ الوجود المصرى في أفريقيا في الفتـــرة من ۱۸۲۰ _ ۱۸۹۹م _ الطبعة الأولى _ دار المعارف ۱۹۸۱م (ص ۱۰۹) •

⁽٢) انظر ده نسيم مقار ـ الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصرو والسودان ،دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانيــــة ١٨٢١ ـ ١٨٤٨م ـ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م (ص ٢٨ ـ ٢٩) ٠

ومملكة الغور في ادارتها ونظمها لاتختلف كثيراً عن مملكة سنّ ار من حيث أنّ كل مملكة تتكون من مشيخات صغيرة عمادها القبيلة الواحده وقد ظلت مملكة دارفور مستقلة إلى أن قدّر لها أن تفتح في عهد الخديدو (١)

ادارة اسماعيل بن محمد على :

بعد فتح سنّار وكردفان أصبح السودان الشمالي تحت الحكم المصري الذي كان يستمد سلطته من حكومة الاستانة حيث أنّ محمد على كان يعتبين نفسه والياً عثمانياً خاضعاً للسلطان العثماني رغم النزعات الاستقلاليا التي كانت لديه • "ولقد ترتب على الأوضاع التي كانت سائده في مصروالسودانعند تحقق الوحده السياسية أن تكون مصر باشوية أو ولاية عثمانية وأن تكون حكومة القاهرة هي موئل السلطة في شطري الوادي،مصر والسودان مع تبعيتها للباب العالى صاحب السياده الشرعية على مصر نفسهوعلي السودان " •

ولذا نجد أنَّ محمد على باشا قد استأذن السلطان العثمانى فى فتصح السودان فأذن له بذلك ، ولمّا تم الفتح عين الامير اسماعيل ابن محم على حكمدارًا على السودان بفرمان سلطانى حيث تم الفتح باسم السلطان العثمانى ،وعلى هذا الأساس قدّم السلاطين والرؤساء فى السودان ولاءها وعندما تنازل بادى الساؤس ملك سنّار عن عرشه فقد تنازل للسلطان

⁽۱) انظر ابراهيم شحاته حسن ـ مصر والسودان،دراسة وشائقية مقارة في الأُصول التاريخية والفكرية للثورتين العرابية والمهدية ـ توزيــع منشاة المعارف ـ الاسكندرية ١٩٨٠م (ص١٠٠) ٠

⁽۲) محمد فؤاد شکری ـ مصر والسودان ـ الوضع التاریخی للمسألـــــة مرجع سابق (ص،۷) ۰

وفى هذا الصدد نذكر أنّ الأمر الذى أصدره الباب العالى بشأن تعييان الأمير اسماعيل حكمدارًا على السودان لم يوفع موفع التنفيذ كأجراء مباشر بل صدر تقليد الحكم لاسماعيل من محمد على رأساً • كما أنّه لم تأت بعدد هذا الاجراء أية أوامر أخرى من الباب العالى بتعيين الحكمداريين فلسودان ،بل صار يصدر تقليدهم من محمد على مِباشسرة •

بدأ اسماعيل في ادارة الأقاليم التي خفعت لسلطتة ولكن يب دو أن محمد على باشا شعر بأنّ اسماعيل لايستطيع لقلة خبرته أن يدير شئون (٢) الجهات المفتوحة فأرسل اليه ابراهيم باشا • لما له من خبرة بشئون الحرب والادارة وعينه قائداً عاماً للقوات المصرية في سنّار وكردفان • وصل ابراهيم باشا إلى سنّار في نهاية أغسطس سنة ١٨٢١م وبقى مع اسماعيل في سنّار بعض الوقت ولكنه أصيب بمرض سافر على إثره إلى القاهرة • أمّا اسماعيل فقد رجع من سنّار إلى واد مدنى التي اتخذها عاصمة للسلمين جوها • ومنها سافر إلى شندى حيث لقى حتفه على يد ملكها نم ربي

⁽۱) انظر محمد فؤاد شکری۔ مصر والسودان الوضع التاریخی للمسألـــــة مرجع سابق (ص۸) ۰

المن المن الأغوات أو كبير الخصيان وقيل أنها من الكلمية أعا أى رئيس الأغوات أو كبير الخصيان وقيل أنها من الكلمية الفارسية بادشاه وقيل أنها من باش بمعنى الرأس، وفي مصر كانت تطلق على رجال الجيش إذا صاروا ألوية ،وعلى أعيان المدنيين ووكلا الوزارات ومحافظي الأقاليم وكبار التجار، وقد ألغي هنذا اللقب في مصر سنة ١٩٥٢م انظر د، أحمد السعيد سليمان ـ تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ـ دار المعارف ١٩٧٩م (ص ١٣٦) .

⁽٣) أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة مخطوطة كاتب الشون فى تاريخ السلطنة السنّارية والادارة المصرية ،تحقيق الشاطيط يصيلى عبدالجليل مراجعة الدكتور محمد مصطفى زياده ـ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١م (ص ٨٩) ٠

(۱) وذلك في أكتوبر ١٩٢٢م •

ترتب على مقتل اسماعيل أن أصبح محمد بك الدفتردار المستول الأول عن الادارة والجيوش المصرية بالسودان فقام بحملات إنتقامية لمقتل الأول عن الادارة والجيوش النيل الأبيض وحتى شندى وقد قتل من الجعليين قرابة الخمسين ألفاً ،الأمر الذي أعطى السكان انطباعاً سيئاً عن الحكم الجديد وحرصاً من محمد على على سمعة نظام الحكم الجديد فقد استدعال الدفتردار إلى القاهرة ،

وفى الصفحات التالية سنستعرض ادارة محمد على باشا للأقالي السودانية وسنتعرف على ايجابياتها وسلبياتها والهيكل الادارى النود قامت عليه وأهم الحكام الذين أمروا على البلاد مع ذكر منجزاتهم ٠

حكمدارية اسماعيل باشـا:

شهد السودان على عهد محمد على عدداً من الحكام كان أولهم اسماعيل ابن محمد على الذى صدر أمر تعيينه من السلطان العثمانى • وقد مــارس اسماعيل صلاحياته كحاكم أثناء الفتح حيث نجده قد أقرّ بعض الملــــوك

⁽۱) تضاربت روايات الموارخين في سبب مقتل اسماعيل ولكن معظمها يوك دارا على فداحة الضرائب التي حاول اسماعيل فرضها على الأهالي وإهانته للملك نمر ٠

⁽۲) كلمة دفتر يونانية بمعنى جلد الحيوان لأنه كان يكتب عليه ، وقد دخلت العربية قديماً وفيها ثلاث لغات الدفتر بفتح الدال كجعف ومن العرب من يقول تفتر بالتا على البدل والدفتر بكس السدال على وزن درهم والدفتر جماعة الصحف أو الكراس ودخلت كلمة دفت الفارسية أيضاً بلفظها وبمعنى جماعة الصحف وأما دار ففارسي ومعناها الصاحب او القيم ، فالدفتردار لغويا هو صاحب الدفت وكان الدفتردار بمثابة وزير المالية وفي مصر العثمانية كان هذا المنصب يعنى ناظر المال أو كبير الكتبة ،

من الدخيل ـ مرجع سابق (ص٩٨ – ١٠٤) ٠

⁽٣) انظر د٠ شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ـ مرجع سابــــق ج۲ (ص ۲۹) ٠

والمشايخ الذين أُذعنوا له في مناصبهم ـ وبعد وصوله إلى سنار اتخذه ـا عاصمـة له ،وفي هذه الأثناء حضر أُخوه الأكبر ابراهيم باشا ليساعده فــي وضع الأُسس الادارية والعسكرية لهذا الاقليم حيث أنّ ابراهيم قـد اكتســب تجربة كبيرة من خلال حروبه في سوريا والحجاز كما سبقت الاشارة •

نزل ابراهيم في ضواحي سنّار وظل الأخوان يجتمعان ويتشاوران وأخيـرًا استقر رأيهما على القيام بحملتين للحصول على السود •

الأولىيقوم بها ابراهيم باشا إلى مناطق الدنكا على النيل الأبيض، والثانية يقودها اسماعيل إلى جبال الصعيد المتاخمة لأثيوبي (۱) لأن والدهما يلح في طلب الزنوج للجندية ، وقد سار اسماعيل بحملت ألله عبال الصعيد أمّا ابراهيم فقد سار قليلاً في جهات النيل الأبي في ولكن المرض اشتد عليه فرجع إلى سنّار ،

وقبل مغادرته سنّار إلى القاهرة قام بتقدير مايمكن جمعه مـــن الفرائب ٠

ولتنظيم الادارة رأى ابراهيم أن يُجرى احصاءٌ تقريبياً لعدد القرى الله الأقاليم السودانية من أفواه الذين يوثق بكلامهم وكانت النتيجة أنّ قرى سنّار والحلفاية تبلغ ثلاثمائة قرية وفازوغلى مائة قريوة ووقرى كردفان الف وخمسمائة قرية و ورأى ابراهيم أن يُعين قائمة مع عشرة من الفرسان وعشرة من المغارية على كل من ١٣ ــ ١٧ قريدة ويقدر أنّه يمكن الحصول على الف أو الفين من الريالات من كل قرية ويقدر أنّه يمكن الحصول على الف أو الفين من الريالات من كل قرية و

هذا وقد كون اسماعيل قبل خروجه في حملة الصعيد لجنة من سعيــــد أفندى وكيله والمعلم حناً الطويل والأرباب دفع الله ولد حمد وذلــــك

⁽۱) انظر دم مكى شبيكة ـ السودان عبر القرون ـ مرجع سابق (ص١١٤) ٠

⁽٢) يذكر ألان مورهيد أنّ الريالات التي كانت مستخدمة في السودان في مدن الفترة هي الريالات الأسبانية المعروفة بريالات ماريا تيريـزا انظر النيل الأزرق (ص٢٦٦) ٠

⁽٣) انظر د مكى شبيكة _ السودان عبر القرون _ مرجع سابق (ص١١٥) ٠

لتقدير الضرائب فاجتمعت هذه اللجنة وفرضت ضرائب باهظة حيث فرضت عليين (١) سنار ١١١٠٠كيسيه وحلفا ٢٩٤ كيسه وجهات النيل الأبيض ٣١٤ كيسة وقد بلغ مجموع مافرضته من ضرائب ١١٧٠٨ كيسة أي مايعادل ٥٨٥٤٠ جنيها ٠

وقد اعتبرت هذه الفرائب باهظة لان السكان لم يألغوها وقد كانت هذه اللجنة لجهلها بحال السودان تقدر الفرائب قياساً على ماهو موجود في مصر مع الفارق الكبير في القياس " فأهل السودان آنذاك أغلبيته تتعامل بالذرة والدمور كنقد والريالات المتداولة بين الناس قليل والسوداني الذي يريد أن يقوم بتأدية هذه الفريبة قد يعوزه السوق الذي يمكن أن يبيع فيه ماشيته و

بعد تقدير هذه الفرائب قامت اللجنة باقفال الدفاتر التى قــدرت فيها الضرائب وأرسلتها لمصر للموافقة عليها ٠

وإزاء هذا الوضع فن فريق من السكان إلى الحبشة وفريق آخــــر بدآ يفكر في الثورة على النظام الجديد •

ولمّا عاد اسماعيل منحلمته ورأى هذا الوضع بدأ فى استمالة الأهالين حتى يعودوا إلى سابق اطمئنانهم ووعدهم خيراً فيما يتعلق بالضرائبيب وبعث بعض جنوده ليلحق بالدفاتر التى أرسلت إلى مصر لإرجأعها ٠

وقد ذكر كاتب الشونة أنه قد خفضها بالفعل حيث يقول :" وعرضت عليه دفاتر المطاليب وشكت إليه الرعية من عظم الكتابة لأنه وضع علــــــى صاحب الحمار خمسة ريال وكذلك صاحب الشاه فحصلت له الرقة العقليـــة والرحمة الاسلامية فتجاوز عن ذلك وعمل عليهم ريالين وأمرهم في الخــــلاص (٤)

⁽۱) الكيسة : تعادل خمسمائة قرش ٠

⁽٣) انظر د. مكى شبيكة _ السودان عبر القرون _ مرجع سابق (ص ١١١) ٠

ع) انظر كاتب الشونة _ مخطوطة كاتب الشونة _ مرجع سابق (ص٩)

ولكن باحثاً حديثاً يقول: " وبالرغم من أنّ اسماعيل اكتشف أنها المعالم المعالم

لم يطب المقام لاسماعيل وجنده في سنّار وذلك لردا مم مناخها كملك ذكرنا _ وقد عرفت بذلك منذ القدم _ فرحل عنها اسماعيل إلى واد مدني إلى الشمال من سنّار وبنى فيها الثكنات ومكاتب الحكومة كما رتب حكومة للقرى قوامها قائمقامات لكل عدد منها ويساعد القائمقام مشايب خالاً فطاط .

فكّر اسماعيل فى السفر إلى مصر بعد غياب دام سنتين واتجه صوب مصر ومعه مائتين وخمسين خيالاً ولكنّه لقى حتفه على يدالملك نمر فرد)

(٢)
شندى ٠

أمّا فى كردفان ففى أيام قليلة سيطر الدفتردار على الأبيّض العاصمة وأجزاء كبيرة من كردفان وقسم المنطقة والى خمسة أقسام رادارية هـــــى خورس وباره وكشعر وأبو حراز وديرا بينما بقيت منطقة البقارة والنوبـا (٣)

ولكن محمد على باشا وجه الدفتردار بعد مقتل اسماعيل باعط كردفان لأحد السلاطين أو الملوك على سبيل الاقطاع لتتفرغ الادارة المصرية لحكومة سنّار ورأى محمد على هذا الرآى لانه لم تمض سنتان تقريباً على حكمه في السودان حتى حدثت الثورات وحركات التمرد و قتل ابنه ولك

⁽۱) فرار صالحفرار ـ تاريخ السودان الحديث ـ مرجع سابق (ص٥٢) ٠

⁽۲) انظر در مكى شبيكة ـ تاريخ شعوب وادى النيل مصر والســـودان دار الثقافة ـ بيروت (ص٣٤٣) ٠

الدفتردار لم يوافق على هذا الرآى بحجة أنه لم يبق فى كردفان مسسن يستطيع حكمها،فصرف النظر عن هذا الرآى وترك بالأبيض حامية لحفظ الأمسسن (1).

تولى الدفتردار السلطة العسكرية والادارية فى السودان بعد مقتصل اسماعيل وظل يحتل هذا المنصب وتلك السلطة حتى أكتوبر ١٨٢٤م • ولقصد أثرت عملية انتقامه لاسماعيل على علاقته بالأهالي في بعض المناطصيق (٢)

منجزات ادارة اسماعيل:

استطاع اسماعيل باشا أن يحقق بعض الأغراض التي أرادها والمعدد من ضمه للأراضي السودانية ومن ذلك :

- (۱) أنه استطاع تأمين حدوده الجنوبية ببسط سلطته عليها وقضائه على الله التي كانت مصدر خطر يهدده ٠
- (٢) في مجال الأرقاء السود لم يوفق اسماعيل بالصورة التي كان والصده يحلم بهاحيث لميستطع الوصول إلى مناطق السود في جنوب السودان وجبال النوبة . حيث أنَّ ابراهيم باشا منعه المرض من القيام بحملته في النيل الأبيض . أمّا اسماعيل فلم يكن ناجعاً في حملته والصحيد ولا أنّه لم يأت بأكثر من ٤٧٧ رجلاً يصلح للجنديا على الرغم من خطابات والده التي يركز فيها على هذه المهمسة بقوله : " وإنّ المقصود الأصلى من هذه التكلفات الكثيرة والمتاعب الشاقة ليسجمع المال كما كتبنا ذات مرة بعد أخرى بل الحصول على عدد كبير من العبيد الذين يصلحون لأعمالنا ويجدرون بقضاء مصالحنا " .

⁽۱) د مكى شبيكة _ السودان عبر القرون _ مرجع سابق (ص١٢٣) ٠

⁽٢) د. جلال يحيى _ مصر الأفريقية _ مرجع سابق (ص ٣٥ - ٣٦) ٠

⁽٣) دفتر معية تركى ـ مكاتبة رقم ٣٢٥ ـ بتاريخ غرة القعده سنة ١٢٣٧ هـ نقلاً عن مكى شبيكـة ـالسودان عبر القرون ـ مرجع سابق (ص١١٧) •

(٣) أماً موضوع الذهب الذي كان محمد على مهتماً به إلى درجة كبيرة كما وصفه أحدالمهندسين المشتركين في التنقيب، فقد اهتم برسماعيل كذلك، فقد مرّ أثناء غزوه لأعالى النيل الأزرق على إقليم فازوغلى وفتش أماكن استخراج الذهب وشدّد على زعيم المنطقال الرشاده على أماكنه وملاً جوربين منترابها وأرسله إلى مصر •

ورد محمد على في ٨ شعبان سنة ١٢٣٧ه قائلاً: " وقد جا الجوريان واطلعنا على معدن الذهب الذي يحتويانه ولقد استقدمت من أوروبال أستاذًا عاقلاً نابغاً في العلم ملماً بطبايع (هكذا) المعادن وسنرسلان أن شاء الله تعالى إلى تلك الديار ليقوم بالبحث والتحري عما أفالله عليها من المعادن وسيطوف معكم بتلك الديار بعد موسم الأمطور ويتردد على الموافع التي اطلعتم عليها فيعاين الموافع التي يرى وجود المعدن فيها يحتبين من حقيقة الحال بمقتفي صنعته ثم يقدم تقريراً بتوقيعه عن نتيجة أبحاثه سلباً أو ايجاباً " ،

حقيقة إن أعظم إنجازات اسماعيل باشا هي توحيد السودان لأول مرة و وحده سياسية تحكمها ادارة و احده " فقد انفوت تحت لوا الحكالمسري جميع الأقاليم السودانية التي تم فتحها على يداسماعيول والدفتردار وهي النوبا وسنار وكردفان وجميع توابعها وملحقاتها مرن الشعوب والقبائل الرحل المنتشرة في الصحرا الشعوب والقبائل الرحل المنتشرة في الصحرا السيام من أن اسماعيول مي يستطع إنشا المجهاز للحكم قوى وفعال وذلك لأن محمد على كما يبدو لم يكن قد أعد بادي دي بد الخطة شاملة التنظيم لحكم الأقاليام السودانية تقوم على دراسة كاملة لظروفها وأحوالها وكذا الاحتمالات والصعوبات التي قد تواجهه عند حكمها ومن ثم فقد جا النظام الكنام السيدي

⁽١) انظر الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ـ مرجع سابق (ص٥٧) ٠

۲) انظر د مکی شبیکت ـ تاریخ شعوب وادی النیل ـ مرجع سابق (ص ۳۳۱)۰

⁽٣) ده نسيم مقار ـ الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ـ مرجع سـابق (٣) (ص٤٠) ٠

وضع لحكم السودان وقدغلب عليه طابع التنظيمات الادارية التى كان معمولاً بها فى مصر وقتذاك ،رغم الاختلاف الظاهر بين ظروف وأحوال البلدين والسودان كان النظام القبلى هو السائد فيه والمواطنون لم يألفوا أن تكون علاقاتهم بالحكم مباشرة حتى فى المناطق التى قامت فيها الممالك والسلطنات إذ كان الخضوع لرئيس القبيلة وهذا بخلاف ماكان جاريا فى مصر وقتذاك حيث لم يكن للنظام القبلى او العشائرى وجود يذكر و

وانصافاً لاسماعيل فانه لم يستبح ممتلكات الأهالي أو أعراضهم وأنسه (٢) كان يدفع أجرة الجمال للحملة وأثمان الغلال والمواشي للمؤن ٠

وقد ذكر الرحالة إنجلس الذي كان يرافق الحملة أنَّ بعض الخصور والجند قد سلكوا مسلكاً مخالفاً لما أصدره من أوامر بشأن معاملات الأهالي فأنزل بهم العقاب الصارم ودفع للأهالي تعويضاً عما أخذه منه (٣)

هذا وقد كان محمد على يرغب في أن تساس البلاد السودانية بطرق الكثر انسانية الأأنّالحكام الذين أرسلهم لم يكونوا على نفس المستروي (٤)

⁽۱) انظر الشاطريمسيلى عبدالجليل ـ معالم تاريخ سودان وادى النيــــل مرجع سابق (ص۱۳۷) ٠

⁽٢) انظر ده مكى شبيكة ـ السودان عبرالقرون ـ مرجع سابق (ص١٢٦) ٠

⁽٣) انظر الشاطر بصيلى ـ المرجع السابق (ص١٣٣) ٠

⁽٤) انظر ضرار صالح ضرار ـ تاريخ السودان الحديث ـ مرجم سابق (ص٥٠) ٠

ملامح النظام الاداري في فترة محمد على ٠

ذكرت أن محمد على لم يكن قد أعط خطة مدروسة لادارة الأقالي السودانية وذلك يرجع في اعتقادي إلى جهل محمد على التام بالأقالي السودانية ولذلك ترك الأمر لقواده ولم يكن لمصر أن تفعل أكثر مم فعلت في ذلك الحين لان امتداد الادارة ليشمل شطرى الوادي كان أول تجرمن من نوعها، ومما يدل على أن الحملة لم تكن مزوده بخطة واضحة أنه تركت الأمر في المناطق التي تسلمت ولايتها في طريقها إلى سنّار في أيدى المشايخ المحليين والكشاف ، وبعض الجنود من المرتزقة المعروفيين بالباشبوزة في المدن الرئيسية وفي هذا مافيه من تجزئة للمسئولي الادارية ، وبخاصة في بلاد واسعة الأرجاء كالسودان، لاتربط بينه مواصلات سريعة وكان من أثر هذه التنظيمات إحياء التقاليد القديمة بشأن تحصيل الفرائب ، ممّا كان له أسوآ الأثر على المدى البعيد و (۱)

الهيكل الادارى ٠

(۱) الحكمــدار:

جعل على رأس الادارة فى السودان حاكم له السلطة العسكريـــــــة والمدنية المطلقة ويتبع ديوان الداخلية بمصر • هذا الوالى يطلـــــــق عليه احياناً مأمور عموم بلاد السودان ويعينه والى مصر وتصدر إليه مـــن

¹⁾ الكشّاف جمع كاشف وهم فى الأصل من الجنود الأتراك الذين كـــان السلطان سليم الاول قد أرسلهم لغزو النوبا ففتحوها حتى الشلطان واستقروافيها وكانت عاصمتهم الذر واستمروا فى حكمهم البي قيام الثورة المهدية ، انظر محمد أحمد محجوب الحكومة المحليلة فى السودان ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ١٩٤٥م (ص ٢١) .

الوالى مباشرة الأوامر والتعليمات التى يقوم بتبليغها للمديرين والمأمورين في أقاليم السودان المختلفة • وإليه يرجع هولا * الحكام في مختلف الشئون المتعلقة بالادارة دون الرجوع لحكومة القاهرة •

وبالجملة كان هوالمسئول المباشر أمام والى مصر عن ادارة الأُقاليم (١) السودانيــة ٠

ويدخل ضمن اختصاصات الحكمدار التفتيش على أعمال الموظفيون والقيام بجولات تفتيشية في المديريات والمراكز المختلفة وبخاصعند وقوع حوادث رشوة أو اختلاسات مالية ، وفي تلك الحالة تتولى لحان فنية فحص أوراق وحسابات الجهة التي تقع فيها مثل هذه الحوادث ،

وهومايعرف بنظام التغتيش المالى ، كذلك جرت عادة الحكمداريي نامل على عقدمجالس للمشورة تغم المديرين وكبار الموظفين للتشاور فللمسائل البهامة وارسال قراراتها لحكومة القاهرة ، وقد كان على الحكمداريين بصفة عامة أن يقدموا للجناب العالى تقارير دورية أوشهرية (٣)

ولفظ الحكمدار يحمل إلينا فكرة أنالادارة فى السودان كانت عسكرية إذ كان كل من شغل منصباً إداريا فى الحكومة الجديده من السليد.
(٤)

⁽۱) انظر عبدالرحمن الرافعى _ عصر محمد على _ مرجع سابق (ص ١٨٦) د. شوقى الجمل _ تاريخ سودان وادى النيل ج٢ مرجع سابق (ص ٣٣) وقد ذكر ضرار صالح ضرار فى تاريخ السودان الحديث مانصه : " عينن محمد على حاكماً على السودان أطلق عليه فى سنة ١٨٢٤م لفالحكمدار وكان يتمتع بالباشوية وأعطيت له السلطات العليالادارية والتنفيذية والعسكرية " ، مرجع سابق (ص ٥٣) ،

⁽٢) لغظ يقصد به الوالي أو الخديو ٠

⁽٣) انظر نسيم مقار - الأُسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجع سا (ص ٤٤ - ٤٥) ٠

⁽٤) زاهر رياض- السودان المعاصر - مرجع سابق (ص ٦٥) ٠

(٢) المديــرون:

كذلك قام محمد على بتقسيم السود إن الى مديريات بلغت في نهاي حكمه سبع مديريات هي دنقلة ،بربر، الخرطوم ،كردفان،سنار،فازوغلوالتاكة ، وعين لكل مديرية مديرفحددت حدود كل مديرية وضم اليهالعرب الرحل الضاربين في وديانها ، وقد كان من فوائد هذا النظال العرب الرحل الفاربين في وديانها ، وقد كان من فوائد هذا النظال التعلية القبلية التي كانت متحكمة في زمن الفونج ، ويخفال المدير مباشرة لرئاسة الحاكم العام "الحكمدار" ويرأس قوة من الجندلال لحفظ الأمن في المديرية ويساعده في شئون الادارة وكيل وعدد ملك المعاونين والكتّاب وقاضي ووكيل قاضي ومفتى ومجلس أهلي وضبطية ،

ويجمع المدير في يده السلطة العسكرية والمدنية · وقرارات نافذه فيما عدا الشئون الهامة التي يرجع فيها إلى الادارة المركزي في الخرطوم ·

أمّا الشئون القضائية فكان القاضى هو الذى يفصل فيها ويصدر (٣) الأحكام طبقا للشريعـة الاسلامية،أمّا مهمة المدير فهى تنفيذ هذه الأحكام ٠

أمّا الشئون المالية والفرائبية في المديرية فقد اختصبها المباشر أو الباشكاتب وهو الذي كان يتولى تقدير الفرائب وتوزيعها على أقسام المديرية المختلفة ويقوم بعمل حسابات المديرية لتقدم للخزانوالعامة في القاهرة في الوقت المعين، ويكون ذلك بجمع دفاتر حسابالأقسام التي تفمها المديرية ،وعمل حساب إجمالي لها في دفتر في يصدق عليه مدير المديرية والحكمدار ويشفع بالمستندات المالية اللازمة ويعاون الباشكاتب في الشئون المالية والغرائبية الصرّاف ويتولى رؤيــة الحسابات النقدية في المديرية ، وفي المناطق التي يكثر فيها التعامــل

⁽۱) يطلق كثير من المورفين على دولة سنّار اسم دولة الغونج أوالسلطنة الزرقاء لأنّ القائمين على الحكم كانوا من قبائل الغونج ٠

⁽٢) عبدالرحمن الرافعي _ عصر محمد على _ مرجع سابق (ص١٨٦) ٠

⁽٣) انظر د. نسيم مقار ـ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ـ مرج ـــع سابق (ص ٤٧) ٠

بالسلع التى تصنع محلياًكالاقمشة ويقدمها الأهالى من حساب الفريب المقررة عليهم كما هو الحال فى مديرية دنقلة مثلاً،كان يعين فيه صرّاف آخر لرؤية أمور الجوالات والقماش، وكذلك فى المناطق التى كان يكثر فيها التعامل بالذهب والفضة وتكون أكثر المعاملات التى ترد لخزانة المديرية أو تصرف فيها من هذين المعدنين كما فى مديري قسنار وفازوغلى ،كان يعين فنها صرّاف مختص باختيار الذهب والفف وضبط عيارهما ويعرف بالمعيارجي ،

كذلك قسمت المديريات والى عدد من الأقسام أو المراكز جعــــل على كل منها حاكم يعرف بالكاشف أو المأمور أو الناظر وهو ضابط فــــى الجيش وله سلطات واسعة يستقيها من المدير ويرأس عدداً من العساكـــر (٣)

هذه الأقسام أو المراكز يضم كل منها عددًا من القرى على كل قريــة منها شيخ يختاره القرويون ليمثلهم ويكون مسئولاً عنهم أمام الكاشـــف أو المأمور ٠

كذلك كان على كل قبيلة من قبائل البدو الرئيسية شيخ مسئول أمام حاكم المنطقة التى تعيش فيها القبيلة ٠

وكانت مهمة الكاشف أو المأمور أو الناظر (وهذه كلها تسميلات للوظيفة واحده) هى الاشراف على شئون الزراعة والأمن فى مركزه وتحصيلا الفرائب بمعاونة الجند ومشايخ القرى •

ولقد كان للمشايخ وغيرهم من الزعماء المحليين نصيب فـــــن ادارة شئون البلاد وخاصة فيما يتعلق بشئون جمع الفرائب وغيرها مـــن المطلوبات الحكومية من المواطنين • هذا وقد كان بعض الحكمدارييـــن

١) انظر نسيم مقار ـ المُسس التاريفية للتكامل ـ مرجع سابق (ص٩٩ – ٥٠)٠

⁽٢) قسمت مديرية كردفان مثلاً إلى خمسة مراكز ٠

٣) انظر ضرار صالح ضرار ـ تاريخ السودان الحديث ـ مرجع سابق (ص٥٢٥) ٠

يأخذون برأى الثقاه منهم في بعض المشكلات العامة كمشكلة المتأخرات من الفرائب وفرار الأهلين من دفعها •

وبصفة عامة حرصت الادارة المصرية في السودان على الابقاء علي المشايخ والملوك الذين أظهروا الولاء خلال عمليات ضم الأقاليم السودانية في مراكزهم يتمتعون بشيء من السلطة ليعاونوا رجالها من المديريلوالكشاف في الحكم ٠

لعل أبرز ميزات هذا النظام الذى وضعته الادارة المصرية لحكول السودان وذلك بتقسيمه إلى أقسام إدارية لكل منها ادارة محلية العنصر الوطنى نصيب فيها وتعثل الحكومة المركزية فى الخرطوم ويخفع الجميع لأوامرها وتعليماتها للعل أبرز ميزاته للأنه يجعل جميع المواطنيان فى مختلف المناطق والجهات التى شملتها الادارة المصرية مسئولين مسئولية مباشرة أمام حكومة وادارة واحده وبذلك أخذ نظام القبائل والعشائل والخفوع لزعامات مختلفة فى الزوال التدريجي ممّا مهد فى نهاية الأمرار السبيل لوحدة البلاد وقيام دولة تشرف على جميع نواحى الحياه الإجتماعية والإقتصادية والسياسية وتعمل على تقدمها والمتداية والسياسية وتعمل على تقدمها والمتداية والسياسية وتعمل على تقدمها والمتداية والسياسية وتعمل على تقدمها والمتداوية والسياسية والمين المتداوية والسياسية وتعمل على تقدمها والمياسية والمياه وا

ويرى الدكتور زاهر رياض أنّ العلاقة بين المشايخ والمأموريـــن أو علاقة هولاء المأمورين بالحكمدار لم تكن واضحة ،فبينما كـــان الحكمدار يحاول أن يجعل نفسه مركزالسلطة في السودان ومنه تصــدر الأوامر إلى المأمورين ،كان هؤلاء الأخيرون يحاولون التخلص من سلطتــه بالكتابة إلى القاهرة رأساً •

والملاحظ على هذا النظام الادارى الذى طبقه قادة محمد على السودان أنه لنظام يكاديكون مطابقاً للنظام الذى أنشأه محمد على مصر، فنظام الادارة المصرية بالسودان قام على بسط السلطة الاداري الحكومية في كافحة أوجه النشاط الادارى وفي مختلف مناطق السودان بقدر ماتسمح به إمكانيات هذه الادارة وو سائل المواصلات القائمة في هذا البلد،

⁽۱) انظر زاهر رياض- السودان المعاصر - مرجع سابق (ص ٦٩) ٠

وهذا الاتجاه الادارى إنما ينبع من الجهاز الادارى الذى أقامـــه محمد على في مصر والذى ارتبط بتنظيم مصر تنظيماً شاملًا بغية استغـــلال مواردها جميعها والسيطرة على مناطقها كلها،هذا التنظيم الذى شكـــل (١)

حكمدارية عثمان بك جركس البرنجى :

جاء ليحل محل الدفتردار في حكم السودان ويعتبر بذلك ثالب محمدارولكن بعض المؤرخين يعتبرونه أول حكمدار لأن ملامح النظام الادارى قد اتفحت في عهده بينما اقتصرت جهود اسماعيل والدفتردار على الفت وتثبيت السلطة ولكني أرى خطأ هذا الرآى لأن تعيين اسماعيل باشكاو حكمدار قد جاء من السلطان العثماني إلى محمد على وأمل الدفتردار فلم يحاول محمد على ابعاده عن ادارة البلاد والا بعد أن ارتبط في أذهان السكان بعملياته الانتقامية البشعة و

وصل جركس إلى السودان سنة ١٨٢٤م • وكانت الحالة آنذاك فـــــى السودان قد وصلت إلى درجة تحتاج إلى شخص معتدل وحازم يبعث فـــــى النفوس الطمأنينة ويعيد الثقة بين الحكام والمحكومين ويقفى علـــــى عوامل الفوضى والافطراب التى أوجدتها حملات الدفتردار الانتقامية • وقــد أرسلت مع عثمان بك جركس قوة منالجيش المصرى الجديد الذى أعيد تنظيمــه

⁽۱) انظر د. ابراهیم شحاته حسن ـ مصر والسودان ـ مرجع سابق (ص۱۱۱)٠

⁽۲) د محمد فواد شکری ـ مصر والسودان الوضع التاریخی للمسألــــة مرجع سابق (ص ۹ - ۱۰)٠

⁽٣) اضطلع في البداية بقيانة الألاي المصرى الموجود في السودان تحصم تولى الحكم بعد استدعاء الدفتردار • توفي بالجدري ودفن في الخرطوم وقد ترك ولدًّا وبنتاً • انظر عبدالرحمن زكى - حكم دارو السودان - المجلة التاريخية المصرية - المجلد الأول ١٩٤٨ - مرجع سابق (ص ٤٢٩) •

وتدريبه على الأسس الحديثة التي كانت متبعة في ذلك الوقت في الجيوش (۱) (۱) الاوربية •

كما أرسلت معه نخبة من المعاونين لمساعدته فى تنظيم الادارة ف (٢) ، (٦) منار ومن هؤلاء سليمان بك الخربوطلى الذى عين قائمقام فى الأبيض٠٠٠

وجد عثمان أن واد مدنى لاتصلح كمركز لادارة الأقاليم السوداني قالتى امتدت إليها الادارة المصرية ،ولفت نظره موقع قرية صغيرة على النيل الأزرق على بعد ميل تقريبًا من نقطة التقائه بالنيل الأبيض ،وكان هذه بداية نشأة مدينة الخرطوم التى أخذت تنمو بسرعة حتى أن بعض الذين زاروها سنة ١٨٢٦م دهشوا من التغيير الذي طرأ عليها في خطال

وكان اختيار هذا المكان للعاصمة الادارية اختياراًموفقاً فه مكان وسط بالنسبة للسودان وعلى الطريق الرئيسى للقوافل المتجهلية اللى القاهرة كما إنها في مفترق الطرق النهرية للجنوب ٠

رسم عثمان بك جركس خطته لوضع الفرائب الجديدة بعد حقبة الاضطراب والفوضى ووصف بانه "كان فظاً غليظ القلب نكل بالناس أثناء زيارات في الجزيرةواقليم القضارف واتسم عهدة بالظلم والقسوق التي عرف به عهد الدفتردار،وقيل أن قبل أن تتم له اقامة ثمانية أشهر في اقليم الجديد أصيب بداء السل وقفي نحبه وكان أول دفين من الحكام فلي (٥)

⁽٢) د. شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ـ مرجع سابق ج۲ (ص ٤٦) ٠

⁽٣) المرجع السابق نفس الصفحة •

⁽۱) المحتويج المستبق (۱) المحتوية المح

⁽ه) السودان عبر القرون ـ مرجع سابق (ص ١٢٥)، عبد الرحمن الرافع ــى عصر محمد على ـ مرجع سابق (ص ١٨٩) •

ر (۱) وقد عم البلاد القحط والوباء في ايامه ٠

حكمدارية محو بك:

علم محوبك مدير بربر بوفاة عثمان بك جركس حكمدار السودان فخصف في الحال إلى الفرطوم واستلم الحكومة إلى أن ورد الأمر بتعيين حاكماً على سنار خلفاً لعثمان بك، بعدها رجع إلى بربر وأقام بها مصده ثم قفل راجعاً إلى الفرطوم ليقيم بهانهائياً ،

قضى محو بك فى الحكمدارية بفعة أشهر وكان رجلاً عادلاً حيث في السياسات الظالمة ،وأغرى الأهالى بالرجوع إلى أوطانهم التى هجروه بسبب حملات الدفتردار من ناحية وفداحة الفرائب التى وضعها عليه عثمان جركس من ناحية أخرى ، كما منع عساكر الجهادية من التعدى علي الأهالى، وقد حالفه الحظ فى يمنه بان هطل الغيث وفاض النهر ودر الفرع وعم الرخاء بعد ايام القحط والجدب والمرض التى شملت عهد عثمانجركس ،

ويعتبرمعوبك أول من فكر فى اشراك الأهلين فىحكومة بلادهم اشراكحقيقياً وقد هدته حصافته إلى الاستعانة بآراء الشيخ عبدالقادر الزيدن شيخ مشايخ الجزيرة ـ هذا وقد بنى محو بك بناية خاصة للادارة الحكومية فى الخرطوم ،كما بنى ثكنة لاقامة الجند وأمر بحفر الآبار فى المناطق البعيده عن النيل والتى تقع فى طريق القوافل أوالتى يتجمع فيهعدد من الأهالى وذلك لتوفير المياه الصالحة للشرب،

وقد أُطلق على منصب محوبك ناظر بلاد السودان حيث أنّ كردفان كانتت تحت ادارة سليمان بك الخربوطلى ـ كما سبقت الاشارة ـ وكان يحكمهـ

⁽۱) د. محمد صبری ـ الامبراطوریة السودانیة فی القرن التاسع عشــر القاهرة ـ مطبعـة مصر ۱۹۶۸م (ص۱۰) ۰

⁽٢) د، مكى شبيكة ـ السودان عبر القرون ـ مرجع سابق (ص١٢٠) ٠

⁽٣) انظر شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ـ مرجع سابق (ص٢٧) ٠

⁽٤) عبدالرحمن الرافعي _ عصر محمد على _ مرجع سابق (ص١٩٠) ٠

طوال فترة عثمان بك جركس ومحوبك ، وفي خطاب مرسل للمعية من حاككردفان سليمان بكالخربوطلي يذكر فيه أنها عانت الكثير بسبب القحط الذي اجتاحها لعدم نزول أمطار لمدة عامين مما ترتب عليه جفاف كثيمن المحاصيل التي زرعها المصريون في الوديان حول مدنياره والطياره وغيرها منمدن كردفان _ لكن الأمن الذي ساد المنطقة والجهود التيبذلتها الادارة الجديدة ساعدت على تخفيف وطأة المجاعة ، كما أرسل سليمان بك لعصر عينة من الحديد من جبال كردفان لاختبارها وكذلك كمية من الصميغ العربي وريش النعام والعاج ،

(۳) حکمداریة علی خورشید :

فى ٢٨ من ربيع الأول سنة ١٣٥١ه الموافق ٢٤ يوليو ١٨٢٥م عينٌن محمد على باشا ابن أخته خورشيد باشا حكمدارًا على السودان وبعث اليسبب

"حضرة أمير الأمرا الكرام وكبير الكبراء الفخام وصاحب المجدد والاحتشام خورشيد باشا مديرالأقاليم السودانية الجسيمة التى هي احدى الأقاليم المصرية الممنوح له لقب حكمدار تلكالأقاليم منعمًا عليه برتبة الميرميران (أمير لواء) الجليلة دام اقباله ، اعلم أنّ توجيه همتك إلى العنباية بسكنة هذه الأقاليم التي كلفت بتنظيم إمورها تنظيم حسناً وبادارة شئونها ادارة طيبة ،وكذلك نجاحك في القيام بخدمات تشكر عليها في هذا السبيل بفضل الكفاءه التي هي صفة خالده تلازم شخصك دواماً وبفضل النبوغ الذي يشرق في جبينك دائماً،قد زاد عطفي الخصصا

⁽١) لفظ المعية يقصد به الخديو وحكومته ٠

⁽٢) انظر شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ـ ج ۲مرجع سابق (ص ٤٧)٠٠٠

⁽٣) ابن شقیقة محمد علی ـ تولی الحکم بعرصحوبك ـ نال رتبة البكویـــة ثم الباشویة ، وصفه الرافعی بانه أعظم ولاة السودان شأنـــــــًا وأنبههم ذكرا ولحسنهم سیرة وأطولهم عهدًا ، انظر عبد الرحمــــن الرافعی ـ عصر محمد علی ـ مرجع سابق (ص١٩٠) ،

عليك حتى أصبح اعجابى بك مضاعفاً ، فوجب أن أكافئك بمكافأة اظهـــراً لهذا الإعجاب، فأصدرت أمرى اليك لتبشيرك بأننى مع ابقائك مديــراً لهذه الأقاليمقد أنعمت عليك برتبة الميرميرانالجليلة وبوسام رفيع مرصع بالجواهر من هذه الرتبة ، فاذا علمت أنّ هذا الانعام مما يشرح صدرك ويعلى جبينك ويرفع اسمك حتى يصل عنان السما ، فأرنى نشاطك فى هذا السبيــل أيضاً ، تقديراً من بعد الآن لهذا العطف الجليل الذى برغت شمسه عليك بهــذا البزوغ الجميل، وقم بجولات متواطة فى فيافى البلاد السودانية ليـــل ونهاراً كالأنجم السيارة السبعة فى سبهل تعشية أمور البلاد تعشية حسنــة والعناية بها كل العناية ، وسس كافة الأهالى بسياسة طيبة واجعل الاهتمــام يبسط العمران والرفاهية فى هذه الأقاليم كالأقاليم المصرية نصب عينيــك كما هوالمنتظر منك من بعد الآن هتى تستحق به المزيد من عطفى الــــذى مازال متجلياً عليك من القديم بلا شك فينبغى أنتعمل بهذا الأمر فتجنـــا المخالفــة " .

ومن هذا الخطاب يمكن أن نخلص إلى عدد منالملاحظات منها :

- (۱) الانعام الذي كان ينعم به محمد على ـ من الرتب والنياشين ـ علــــى ولاته حتى يقوموا بأعمالهم كاملة وأسلوب التشجيع والمكافـــــــت يعتبر من الأساليب الفعالة في نظم الادارة ٠
- (٢) أمر محمد على هذا الحكمدار بالقيام بجولات تفتيشية في بلاد السودان وذلك بقصد تسيير أمور البلاد والوقوف على مشكلاتها ٠
 - (٣) توجيه الحكام بسياسة الأُهالي سياسة طيبة والعمل على راحتهم ٠
- (٤) يعتبر محمد على أنّالاًراضى السودانية جزءاً من الأقاليم المصريو ولذلك نجده يسعى لتطويرها وتعميرها مثلما فعل بمصر • (٢) هذا وقد وصل خورشيد باشا الي السودان في سنة ١٢٥١ه وتسلم

⁽۱) د. محمد قواد شكرى ـ الحكم المصرى في السودان ۱۸۲۰ ـ ۱۸۸۰م ـ دار الفكر العربي ۱۹۶۷م (ص ۲٤٥ ـ ۲۶۲) ٠

⁽٢) انظر مخطوطة كاتب الشونة (ص١٢٠) ٠

الادارة من محو بك وشعلت ادارته فى البداية الخرطوم وسنار • أمسكر فردفان فقد كانت فى ذلك الوقت تحت ادارة رستم بك خلفاً لسليمان بك الخربوطلى وكانت اتصالاته تتم مع القاهرة مباشرة •

توسعت ادارة خورشيد بعد ذلك حيث شملت في سنة ١٨٢٦م اقليم بربر الذي كان تحت ادارة محوبك وفي سنة ١٨٣٦م أُفيفت إليه كردفان التكانت تحت ادارة رستم باشا ثم تلاها اقليم دنقلة في سنة ١٨٣٣م فأصبح مديرًا للسودان بلقب باشا ويبدو أن محمد على قد أدركأن تركير الادارة في يد خورشيد القريب من مركز الحوادث، أفضل من تقسيم السودان لادارات متعدده ومنفصلة تتلقى أوامرها من القاهرة رآساً والمرها من القاهرة رآساً والمرها من القاهرة رآساً والمرها من القاهرة رأساً والمرها ومنفصلة تتلقى أو المرها من القاهرة رأساً والمرها وال

بعجرد وصول خورشيد إلى الخرطوم عقد مجلساً مع كبار ضباط جيشـــه لبحث حالة الاقليم الذى وضع تحت ادارته، والوسائل المقترحة للنهوض بــه وقد أبرق خورشيد لمحمد على بتقرير حول هذا المجلس، وعقد محمد علـــــى جلسة خاصة لمجلس المشورة لبحث هذا التقرير ، وقد حضر هذه الجلســـة الدفتردار وحنّا الطويل وموسى الكاشف وغيرهم معن كانوا بالسودان ،

وقد أشار التقرير بنوع خاص للحالة الاقتصادية ولعجز الأهالوب منهم من الفرائب، وقد تحدث موسى الكاشف فى هــــــذا الاجتماع قائلا : " أمّا الحكام الذين كانوا هناك (يقصد فى الســود ان) منذ مده عثمان بك جركس لغاية الآن،لم يبحثوا عن شيء ما ولم يقومـــوا باى عمل فلم تعمر البلاد وظلت آخذه فى الخراب أعنى ذلك أنّه عنـــد

⁽۱) انظر عبدالرحمن ركى ـ حكمدارو السودان ـ المجلة التاريخيــــة المصرية ج<u>ا</u> مرجع سابق (ص٤٢٩) ٠

⁽۲) انظر د، شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل بیم مرجع سابق (ص ٤٨)، مجلس المشورة نواه لنظام نیابی أنشاه محمد علی بمصر سنة ۱۸۲۹ ویضم العلماء وکبار موظفی الحکومة و أعیان القطر المصری ویر آسه ابر اهیم باشا ابن محمد علی، عدد أعضائه ۱۵۲ عضواً منهم ۳۳ من کبرا العلماء والموظفین و ۲۶ من مأموری الأقالیم و ۹۹ من کبار أعیال القطر المصری، انظر عبدالرحمن الرافعی ـ عصر محمد علی ـ مرجــع

سابق (ص ۱۰۸) ۰ (٤) انظر د۰ شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ج۲ مرجع ساب (ص ٤٨) ومابعدها ۰

غصل أى حاكم وتعيين آخر بدلاً منه ،لم تكن تجرى بينهما محاسب ولاكان الحاكم المفصول يسلم البلاد إلى خلفه ، وقد طلب استخام كتّاب فاذا تم هذا التفتيش كما يريده مولانا فان الكتّاب المرسلين إلى تلك الديار سيوزعون على الأعمال التى تحتاج إليهم لاحتياج البلاد المثالهم، لأنّ الاقليم ملك فسيح، وقد كان علم الكتابة مهملاً في العهدد القديم ، وقد طلبنا الآن كتاباً للحاجة الماسة بهم (هكذا) ولفبط أمور الديار وان " •

كان خورشيد رجلاً حليماً متديناً كريماً،عمل جهده في رفع المعاناه عن الناس بعد المجاعة التي اجتاحت البلاد سنة ١٢٤٠ – ١٢٤١ه ومماً قام به في هذا المجال أشار إليه كاتب الشونة بقوله : "إنّ الأمير خورشيد باشالما كثر التعب على المسلمين أخرج ماية أردب من نفسه وتعدق بهوأمر ببيع ماية (هكذا) مثلها من الديوان لأجل بيعه للسعة على المسلمين، وأمر بصلاه الاستسقاء وخرج لها وصلاها وهو في غاية الشفقة على المسلمين، وأمر بصلاه الاستسقاء وخرج لها وصلاها وهو في غاية الشفقة على المسلمين، وأمر بالله الاستسقاء وخرج لها وصلاها وهو في غاية الشفقة على المسلمين، وأمر بالله الاستسقاء وخرج لها وصلاها وهو في غاية الشفقة على المسلمين، وأمر بالله الاستسقاء وخرج لها وصلاها وهو في غاية الشفقة على المسلمين، وأمر بالها والمسلمين، وأمر بالها والمسلمين، وأمر بالها والمسلمين، وأمر بالها والمسلمين وأمر بالها والمسلمين المسلمين، وأمر بالها والمسلمين، وأمر بالها والمسلمين، وأمر بالها والمسلمين المسلمين، وأمر بالها والمسلمين المسلمين، وأمر بالها والمسلمين المسلمين، وأمر بالها والمسلمين، وأمر بالها والمسلمين المسلمين المسلمين المسلمين المسلمين المسلمين والمسلمين المسلمين المسلم

اضافة رالى ذلك عمل خورشيد بنصيحة سلفه محو بك باشراك العناصر الوطنية فى الادارة فاتخذ الشيخ عبدالقادر الزين مستشاره الأول في (٣) شئون الحكم وادارة البلاد ، وبمعاونة الشيخ عبدالقادر بدأ خورشيد في حل المشكلات التى جابهته ،وكانت أهم تلك العقبات هى فرار السودانييان من أوطانهم إلى تخوم الحبشة ودارفور والبحر الأحمر حول سواكن التك كانت تحت حكم العثمانيين وواليهم فى جده ،وكان من آشار تلك الهجرات أن قل الزرع واستغلال الأراضي وهرب عدد من الرعاة بثروتهم الحيوانياة (٤)

۱) الشاطر بصیلی عبدالجلیل ـ معالم تاریخ سودان وادی النیـــــل مرجع سابق (ص۱۶۳) ۰

⁽٢) مخطوطة كاتب الشونة (ص١١٩) ٠

⁽٣) انظر ضرار صالح ضرار ـ تاريخ السودان الحديث ـ مرجع سابق (ص ٦)، د. مكى شبيكـة ـمختصر تاريخ السودان الحديث مطابع دارالثقافة ، بيروت (٤) المرجع السابق (ص ٦١) ٠

أشار الشيخ عبدالقادرعلى خورشيد بأن يعفى مشايخ القبائل مـــن الفرائب وكذلك الفقها الأنه إذا اطمأن هؤلا النزاهة الحكم اطمأن صالعامة وعادوا إلى أوطانهم • كذلك اقترح عليه بانتلغى متأخرات الفرائب وأن يعطى الأمان لكبار الزعما الفارين ومن معهم • وسار هو شخصيك كرسول من خورشيد إلى بعض هؤلا الزعما • كذلك أقنع الشيخ عبدالقادر خورشيد باشا بعدم تطبيق التجنيد الإجبارى الذى كان محمد على قد طبقه في مصر وطلب من خورشيد تطبيقه في السودان

كذلك طلب خورشيد أن ترسل له من مصر طائفة من المزارعين لتدريب الأهالى على الزراعة واستطاع بذلك أن يتوسع في زراعة الشعير والدرة (٢) (٢) والقطن والقمح والنيلة وغيرها من المحاصيل التي أخذت تزدهر في السودان اضافة إلى الموالح وغيرها من الغواكه ، وقد تحقق ذلك بغضل توفيد مياه الري بحفر الترع وتعميم استخدام السواقي ، كما اهتم أيف بالثروة الحيوانية ومنتجاتها ،كذلك أرسل إلى مصر بعض السودانيين لتعلم بعض الصناعات والحرف وممارستها في بلادهم ،

كما قام خورشيد بتوسيع فتوحات مصر فاحتل القلابات فى شـــــرق السودان وكان موقعها هاما من الوجهة الحربية والاقتصادية لوقوعها بالقرب من حدود الحبشة ،فجعل بها حامية ثابتة • وأخفع جبال قلـــــى (٤)

أماً في مجال المواصلات فقد نجح خورشيد إلى حد كبير في تيسيـــــر المواصلات النهرية بين مصر والسودان،بالاضافة لربط أُجزاء السودانالشمالي التابعـة للادارة المصرية ببعضـها عن طريق السفن النيلية ،وقد أُخضـــع

⁽۱) نعوم شقير ـ تاريخ السودان ـ مرجع سابق (ص ٢١٨)٠

⁽٢) ذكر الدكتور مكى شبيكه أنَّ الخولية الذين أرسلوا من مصر كالله المرابع المائة ، انظر السودان عبر القرون ـ مرجع سابق (ص ١٢٨)،

⁽٣) انظر د-شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ۲۶ مرجع سابق(ص ۱۶) ۰

⁽٤) انظر عبدالرحمن الرافعي ـ عصر محمد علي مرجع سابق (ص١٩٠) ٠

وبذل خورشيد جهداً كبيراً فى تعمير البلادكما عمر مدينة الخرطوم (٢)
وبنى بها مسجداً، أقيمت أول جمعه به فى ٧ جميدى سنة ١٢٣٥ه٠ كمين نظم دواوين الحكومة وعلم الأهالى استخدام الطوب والأخشاب فى المباني بعد أن كانوا يبنون بيوتهم بالغاب والجلود ٠

هذا وقد وصل سكان الخرطوم فى فترة حكمدارية خورشيد الى خمســـة عشر ألفًا ، كما أُسس خورشيد كذلك سراى من دورين للحكومة وثكنــــــة (٤) للجنود فى شرقها،كما أُنشاً بها مصنعاً للبارود ،

وفى سنة ١٨٣٨م مرض خورشيد مرضاً شديدًا فالتمس من محمد علــــــى اعفا ٥٠ من منصبه والسماح له بالرجوع إلى القاهرة فوافق محمد علــــــا على طلبه ،ولكنة قبل توجهه إلى القاهرة سمع أنّالاً حباش يعدون جيشـــا كبيرًا للاغارة على السودان فاستنجد بمحمد على الذى اهتم بالموضوع وبعث له بقوة عظيمة على رأسها قائد برتبة أمير لوا ١ هو أحمد باشا المعــروف بأبى ودان ٠ وتحرك خورشيد باشا رغم مرضه بجيشه إلى حدود الحبشـــقولكن الاحباش يخرجوا للقائه فعاد إلى الخرطوم وتقابل مع أحمد باشا أبــوودان (٥)

⁽۱) انظر د، شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل ۲۶ ـ مرجع سابـــق (ص ٤٩) ۰

⁽٢) انظرمخطوطة كاتب الشونة (ص ١٢١) ٠

⁽٣) انظر مكى شبيكة _ السودان عبر القرون _ مرجع سابق (ص١٢٧) ٠

⁽٤) د.شوقی الجمل-تاریخ سودان وادی النیل(ج۲ ص٤٩) وعبدالرحمـــن الرافعی ـ عصر محمد علی ـ مرجع سابق (ص١٩٤) ٠

⁽٥) انظر د مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص١٣٢) ٠

"إن رحيله صعب على الأهالى جميعاً وصاروا يتباكون بالدموع حتى قيل أُنَّ الشيخ عبدالقادر الزين هجر نفسه من الأكل والشراب يومين حزناً (١) على فراقه " ٠

هذا وقد شهد لخورشيد الأجانب الذين زاروا السودان خلال فت رق ادارته ، وقد استرعى انتباههم التغيير الذي شمل مختلف نواحى الحياة (٢) في السودان والأمن الذي أصبح مستتباً يعكس ماكان معروفاً في الماضي ،

تحدث هؤلاء الأجانب عن ظاهرة الرق التى لاحظوها فى المجتمع السوداني كما لاحظوا كذلك أنّ بعض الجند والفباط يعطون رواتبهم رقيقاً لانقطفة فنقلواهذه الملاحظات إلى قنصل إنجلترا العام فى مصر المستر كامبال الذى كان يتمتع بثقة محمد على وتقديره لهنقل بدوره هذه الملاحظ الذى كان يتمتع بثقة محمد على وتقديره في السودان يأمره بابطال الله وعندما استلم الحكمدار هذا الأمر جمع مجلساً كبيراً للنظر في وفي بعض الأمور الأخرى التي تتعلق بالأمن العام والمالية وفاجتم المديرون في الخرطوم ومعهم ٢٧ من مشايخ الأخطاط والأقسام على رأسها شيخ مشايخ جزيرة سنّار الشيخ عبدالقادر الزين وقرروا العمل بالأميال الكريم وتوزيع هذا الرقيق على الجهات ليباع، وتدفع أثمانه مرتبات والكريم وتوزيع هذا الرقيق على الجهات ليباع، وتدفع أثمانه مرتبات والكريم وتوزيع هذا الرقيق على الجهات ليباع، وتدفع أثمانه مرتبات والكريم وتوزيع هذا الرقيق على الجهات ليباع، وتدفع أثمانه مرتبات والكريم وتوزيع هذا الرقيق على الجهات ليباع، وتدفع أثمانه مرتبات والمناه والأله المناه والمناه والمناه والمناه والأله والأله والأله والأله والأله والأله والأله والأله والمناه والمناه والأله والأله والأله والأله والأله والمناه والأله والمناه والمنا

وهذا الاجراء في اعتقادي نوعمن التحايل على النظام،فبدلاً من الغاء الرق وتحرير هؤلاء المساكين بيعواودفعت أثمانهم مرتبات للجند •

وقد كان هذا المجلس أول مجلس من نوعه يعقد في الحكمد اريـــــة

⁽١) مخطوطة كاتب الشونة (ص٥٠) ٠

⁽٢) من هؤلاء الأوربيين الذين زاروا السودان في هذه الفترة رويلل الالماني وادولف يثاث دى يلفوق والرحالة الفرنسي كومعها وبالوهوسكنس الانجليزي وعالم الآثار ليسيوس٠

⁽٣) انظر ده مكى شبيكة _ السودان عبر القرون _ مرجع سابق (ص١٣١) -

للنظر في الشئون العامسة •

وبعد سفر خورشيد والى القاهرة خلفه على الحكمدارية أُحمد باشـــا ابو ودان ٠

> ر (۱) حکمداریة احمد باشا ابو ودان :

يعتبر أحمد باشا من أقدر حكام السودان ودامت فترة حكم السودان خمس سنوات تقريبا ،حيث تولى الحكم في ربيع الأول سنة ١٢٥٤ه اشر مفادرة خورشيد إلى مصر وقد أوصاه خورشيد بالشيخ عبدالقادر الزين فقربه ،ولم يقطع أمراً يتعلق براحة الرعية الا بمشورته ،وشرع في الحكم بحسن سياسة وبعد نظر، فنظم الدواوين والمديريات وحسنحال الكتب والموظفين وثم التفت الى أمر الفبط والربط فمنع تعدى العساكر على الفلاحين ووطد الأمن في البلاد، حتى أمن المسافر والمقيم في كل نواحل البلاد وبذلك اطمأن الأهالي وزادت عمارتهم وخصبت أرفهم حتى صار أردب الذرة بخمسة قروش وأوقع الله هيبته في قلوب العباد ومع أنه ليكن بذي اللسان ولاسفاكا للدما ،بل كان وقوراً كثير الصمت وكانسا أوامره ونواهيه مقصورة على ماقلً ودلّ كقوله افعلوا أو لاتفعلوا ،وليم يجسر أحد على مخالفتها ، وسرت هيبته إلى جميع فروع الحكمدارية حتى قيل أن الموظفين والمامورين في الجهات كانوا يتوهمون أنه مقيم بينهم

⁽۱) أحمد باشا جركس المعروف بأبى ودان كان من مماليك مصطفى بـــك شقيق زوج محمد على • اقترن باحدى بنات محمد على • رافق ابراهيم باشا في حملة الشام كما اشترك في حروب الحجاز • أرسل وللسودان على رأس قوة من الجيش لمساعدة الحكمدار خورشيد باشويسلم الحكمدارية منه • في عهده زار محمد على السودان • توفيل بالحمى وقيل أنه مات مسموما بواسطة زوجه وكانت وفاته فرمضان سنة ١٢٥٩ه • شيدت له زوجته مقبرة رائعة البنا • في الخرطوم • انظر عبد الرحمن زكى _ حكمدارو السودان _ المجلة التاريخييسة المصرية _ المجلد الأول _ مرجع سابق (عبه ١٤٣١) •

⁽٢) انظر عبدالرحمن زكى ـ حكمدارو السودان ـ المجلة التاريخيــــة المصرية ـ المجلد الأول ١٩٤٨م (ص٤٢٨) ٠

٣) انظر د شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل (٥٠/٢) ٠

(۱) یسمع ویری فیحذرون فیما یفعلون کل الحذر "۰

وقد تم فيعهد أحمد باشا فتح التاكمة واخضاع الاقليم الشرقي وريارة محمد على للسودان •

زيارة محمد على للسودان:

بعد نحو عشرين عاماً تقريباً من امتداد الادارة المصرية والسحب السودان ١٠٠ قام محمد على باشا في أكتوبر سنة ١٨٣٨م برحلة والسحب السودان وكان عمره إذاك سبعين عاماً تقريباً،وقد تحمل في هذه الرحلية الكثير من المشقات والصعاب وكاد يهلك غرقاً في النيل بسبب وانكسار (٢)

(٣) وقد نشرت جريدة الوقائع المصرية نص تقرير هذه الرحلة ٠

هذا وقد اختلف المورخون في أهداف هذه الرحلة إذ يرى محمد فــواد شكرى أن محمد على باشا عندما فتح السودان كان يستند الى نظريـــة "الخلو" بمعنى أن محمد على عندما فتح السودانكان السودان خاليـــا من تبعيته لأية سلطة وعليه كانغرض الباشا من رحلته اذاعة نظريـــة الخلو والاستناد عليها في صون وحدة وادى النيل ،أي بقاء شطريـــه

⁽۱) نعوم شقير ـ تاريخ السودان ـ مرجع سابق (ص٢٢٠) ٠

⁽۲) انظر شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادی النیل (۲/۲ه)۰

عدد رقم ٢١، صدرت بالاسكندرية في ٦ صغر ١٢٥ه الموافق ٢١ أبريال ١٢٥٩ محلة كلية آداب القاهات ١٨٣٩ النظر د، محمد فؤاد شكرى – مجلة كلية آداب القاهات العدد الشامن المجلد الثاني (ص٤٤) وهذا النعي موجود في مركات ابحاث تاريخ مصر المعاصر، عملية السودان ، رحلة ساكن الجنان مولانا الكبير محمد على الى السودان – مترجمة عن وثيقة تركية – محفوظة في ملف المتفرقات من المحفظة نمرة ١٢٣ عابدين ، انظر د، حسان أحمد ابراهيم – رحلة محمد على باشا إلى السودان ١٨٣٨ – ١٨٣٩ حراسة رقم ١٥ معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية – جامعة الخرط وم

(۱) مصر والسودان في نظام سياسي واحد ٠

على أن معظم المؤرخين يرون أن محمد على فى هذا العام كان يعلم بازمة مالية حاده دفعته إلى البحث عن مصادر ذات عائد سريع و ولم كانت له محاولات لاستخراج الذهب فى السودان فقد قام بهذه الرحلة ليقف بنفسه على هذا الموفوع و ويدلل مكى شبيكة على أزمة محمد على المصروفات دون أن توازن بما يعادلها من ايرادات ولذا كان الباشيل على أحمد باشا حكمدار السودان فى ارسال الصمغ ليفرج بعنى الشيل من الفائقة المالية ولمّا ظلب أحمد باشا ربط مرتبات لمشايخ القبائل والقرى أبدى الباشا اعترافه دون أن يمنعه منعًا باتنًا وأخيرا فكر للهذا الغرض وظلب أولا أن ياتى إلى مصر مصطفى بك الذى كان مشرف على شئون المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولهي على شئون المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولهي على شئون المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولهي المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولهي المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولهي المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولمي المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولميد المعدن وسافر بالفعل بمعية خورشيد ولمي المعدن ولمي المعدن ولمي المعدن ولمي المعدن ولم المعدن ولم المعدن ولمي المعدن ولم المعدن

ولعل محمد على باستدعائه للمشرف على شئون المعدن أراد أن يأخـــد

وتقرير الرحلة يؤكد على الغرض الذي من أجله قامت إذ يقول:
" ويتضح من هذا أن معدن الذهب موجود بالفعل في هذه البولاد ولهذا اعتزم جنابنا العالى زيارة السودان لما في هذه السياحة مبررات حسنة ، وقرر الوصول إلى حقيقة هذا التبر " ،

⁽۱) د محمد فؤاد شكرى _ مصر والسودان، تاريخ وحدة وادى النيل السياسية في القرن التاسع عشر _ القاهرة ١٩٥٨م (ص ١٢) • والغريب أن الدكتور شكرى نفسه ينقل عن محمد على في موضع آخر أن هيدف رحلته الحصول على المال حتى يتمكن من إرضاء الباب العاليب أو الانفصال عنه • انظر مجلة آدب القاهرة _ الجزء الثامن _ المجلد الثاني (ص ٣٥ - ٣١) •

⁽۲) انظر المؤرخون شوقی الجمل ـ تاریخ سودان وادیالنیل (۲/۲۵٬۳۰۵)، نعوم شقیر ـ تاریخ السودان (ص۲۲)،مکی شبیکة ـ السودان عبر القرون (ص۱۳۶)،د، حسن أحمد ابراهیم ـ رحلة محمد علی باشا رالدی السودان (ص۱۲)،

⁽٣) انظر مكى شبيكة - السودان عبر القرون - مرجع سابق (ص ١٣٤) . (٤) د حسن أحمد ابراهيم - رحلة محمد على باشا إلى السودان - مرجع سابسق (ص ١٤) ٠

كذلك قابل محمد على فى رحلته هذه المشايخ المحليين فقد استقبال الشيخ عبدالقادر الزين والشيخ إدريس ولد عدلان شيخ الهمج والشياب أحمد أبو سن شيخ الشكرية وسائر مشا يخ العربان والقرى فقابلهم بالبشار (۱)

تبين لمحمد على من خلال لقاءاته مع الأهالى والحكام استغلال كثير من الموظفين أسلطتهم من أجل الاثراء والاتجار في الرقيق إلى حصد أن ارتفعت الأصوات بالشكوى منهم ، فألغى محمد على منصب الحكمدار وجعل أحمد باشا مديرًا للخرطوم وسنّار والجزيرة وجعله كماجعل بقية المديرينين يتصلون به في القاهرة رأساً في كلأمر من أمورهم كي ياخذهم بالشده والحزم وجعل الحكمدار لايزيد عن كونه منظماً للعمل بين المديرين ،

كما عمل محمد على على القضاء على أسباب الاستياء بتقييد سلط الحكّام والمأمورين، وعزل من ثبت عليه سوء ادارته، كما فعل حين عرزل حاكم كردفان وهيئة أركان حربه وعدداً من الكتبة وقدّمهم جميعاً إلى المحاكمة وصودرت أملاكهم ،كما أفهم الباقين أنّ خطة الحكومة ترمولي التقدم بهذه البلاد وأهلها نحو الحكم الصالح ، فأوصاهم بتكريم شيوخ السودان وروسائه الذين قلدهم الأوسمة وألبسهم كساوى التشريف وقربهم إلى مجلس الحاكم واستمع إلى آرائهم وطلب منهم النصح في كثير من الأمور، فكان ذلك سبباً في اختفاء كثير من أسباب الشكوى و المحكم واستما والمحكم واستما المحكم واستما والمحكم واستما والمحكم والحكم والمحكم و

وصل محمد على إلى مناطق فازوغلى فى ١٨ يناير ١٨٣٩م بصحب قالحكمدار أحمد باشا وهناك أنشأ مدينة عرفت بمدينة محمد على كانعبارة عن معسكر متكامل بغرض التنجيم عن الذهب وقد بنيت فى هدده المدينة مساكن العمال وشيدت المستشفيات وثكنات الجند وقصر محمد على ٠

⁽۱) انظر نعوم شقير - تاريخ السودان - مرجع سابق (ص ٢٢١) ٠

⁽٢) انظر د. زاهر رياض- السودانالمعاصر - مرجع سابق (ص٦٦) ٠

⁽٤) انظر د٠مكى شبيكة ـ السودان عبر القرون ـ مرجع سابق (ص ١٣٥) ٠

وبعد أن شاهد محمد على العمليات الأولى لتصفية وصهر المعادن قفيل راجعاً من فازوغلى إلى الخرطوم التى أقام بها أياما قليلة ،ثم عاد إلى مصر عن طريق صحراء النوبة من أى حمل إلى وادى حلفا في مارس سنة ١٨٣٩م وقضى في رحلته خمسة أشهر (١) .

_ فتح التاكسة :

بعد سفر محمد على إلى القاهرة فكر أحمد باشا فى توسيع رقعة ادارته بأن يفتح بلاد التاكة الغنية بمواردها ، فتجهز لذلك وسار بجيشه إلى شندى ومنها الى فوز رجب فخفعت له بعض القرى وتقدم فى هذا الاقليم الشرقى وللمعدد مقاومة إلا من قبائل الهدندوة التى قاتلت الجيش ولكنهم طلبوا الصلح والمفاوضة فتم لهم ذلك (٢) وأقام معسكره فى المنطقة التى عرفت فيما بعدد بمدينة كسلا التى أنشا فيها الاستحكامات وشيد بها مبانى لمقر الحكوم وكانت هذه هى بداية تأسيس مدينة كسلا التى أصبحت عاصمة الاقيم الشرقيما بعد فيما بعد (٢) .

وقد دهش أحمد باشا لخصوبة الأراض حول كسلا التى يرويها نهر القاشى وبنى سداً يحول المياه نحو أراض جديدة حتى تجف الغابات التى كانت ترويها هذه المياه حتى لاتكون كميناً طبيعياً للعربان الخارجين على سلطة الحكومة ووجد أنّ الاهالى يستخدمون أنواعاً من السدود ويزرعون القطن والذرة ومسن الأقاليم التى بسط أحمد باشا سيطرته عليها رتّب مديرية جعل كسلا عاصمة لها و

⁽۱) عبدالرحمن الرافعى ، عصر محمد على : مرجع سابق ص ۱۹۲ ويذك الرافعى ان البحث عن الذهب لم يفضالى نتيجة ترضى محمد على ·

⁽۲) انظر د٠ مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص١٣٦٠

⁽٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ، مرجع سابق ص ٢٢٢٠

وبعد ان أقام شهرًا ترك بها مديرًا وحامية عسكريةورجع إلى الخرطوم (١)

بعد فتح التاكة رسمت خارطة السودان وقسمت إلى سبع مديريات وهـــى فازوغلى وسنار وكسلا وبربر ودنقله وكردفان • وجعل قمندان الجنود فـــى كلمديرية مديراً عليها وجعلت الخرطوم مركز السودان ومقر الحاكم العام (٢)•

بدأت الاشاعات حول نية أحمد باشا أيو ودان في الانفصال بالسودان عن مصر وذكرت تلك الاشاعات أنه بدأ يكاتب سلطان تركيا بذلك فأرسل له محمدعلى عدة خطابات لكيياتي الى القاهرة ولكنه تباطأ مما أزعج محمدعلى فأرسلل له قوة من الجيش ولكن أبو ودان مات فجاة وقيل أنة مات مسموماً حتى اضطر محمد على أن ينفى عن نفسه تهمة قتله وذلك حين قال لورثته " واللاسما العظيم وبالله الكريم أنني لا أحمل في نفسي للباشا المرحوم شيء مليان السخط ولا أشك في اخلاصه واني لأقدر مبلغ جهوده وقيمة خدماته وأعرف ماكليان يكنه لي من المودة والولاك وأنا واثق من ذلك "(٣) .

وبوفاته تفعفع حال الحكمدارية واختل نظامها واستغل كل مديــــر بمديريته وصار يفعل فيها مايشاء (٤) .

لقد حذا أحمد باشا حور خورشيد باشا فأحسن السيرة بين الأهال وحبب فيه الأمراء ورو ساء القبائل من السودانيين وأتم عمل خورشيد باشان في تعمير مدينة الخرطوم وتنظيم المديريات وضم العرب الرحل الصناوي في أوديتها وبذلك انتظمت ادارتها وجلب من مصر كثيراً من الحيوان التعلق المديريات

⁽۱) انظر مكى شبيكة : تاريخ السودان عبر القرون ، ص ١٣٧٠

⁽٢) انظر نعوم شقير : تاريخ السود ان ص ٢٢٣ ومحمد صبرى : الامبر اطوريـــة السود انية في القرن التاسع عشـر ص ١١٠

⁽٣) مكى شبيكة : السودان عبر القرون · مرجع سابق ص ١٣٧٠

⁽٤) نعوم شقير: تاريخ السودان • مرجع سابق ص١٢٣٠

والنباتات النافعة فتحسنتالرراعة وارتقت شئونها ونشطت الصناعة فيسلب ترسانة الخرطوم واستكثر من السفن الاميرية فى النيل وزاد من طرق المواصلات فاتسعت حركة التجارة والمعاملات بين مصر والسودان والبلاد القاصيات فى أواسط أفريقيا ، وصارت الخرطوم ملتقى المتاجر وكثر ورود التبسير وريش النعام والعاج والصمغ إليها (١) .

دفن أُحمد باشا فى الخرطوم وخلفه فى ادارة السودان أُحمد باشــــــا المنكلي ٠

<u> ادارة أحمد باشا المثكلي : (٢)</u>

بموت أحمد باشا أبو ووان انتهى كهد الحكمداريينالعظام فللسودان ، ولم يفكّر محمد على في عيين حاكم قوى الشخصية حتى لاتحدثه نفسه بالانفصال بالسودان عنادارة محمد على الله ولذلك نجد محمد على يلجأ إلى نظام اللامركزية حيث نجده قد عين أحمد باشا المثكلي منظماً للسودانلاحكمداراً إذ جعل مهمته تنحصر في تنظيم عمل المديرين الذين أصبحوا يتصلون القاهيرة مباشرة ، وكان محمد على قد أصدر امره بتعيين اللواء حسن باشا لمديريية دنقله التي وسعت حدودها حتى المتمحة وشندي وأمين باشا للجهات العليا من البسودان وهي التي تبدأ من المقمة وشندي وتشمل الخرطوم والنيل الأبيسي والجزيرة حتى ود مدنى والأقسام الشرقية للنيل الأزرق وسليمان باشا لمديرية سنا حسوهي ما المقارف ورشاد وأرض العطيش والقلايات وسليمانا لمديريات الأزرق كأقسام القضارف ورشاد وأرض العطيش والقلايات وسليم اشا لمديريات

⁽۱) انظر عبد الرحمن الرافعي - عصر محمد على - مرجع سابق ص ١٩١٠

⁽٣) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون • مرجع سابق ص١١٧ •

باشا لمديرية كردفان (١) .

وكانت وظيفة المنظم هي التنسيق بينعمل هؤ لاء المديرين وتورياتهم وكذلك توزيع الكتبة والموظفين والمساعدة فللمستباب الامن وكان محمد على يستبشر خيراً بالنظام الجديد ويقر بأن مسن كانوا يحكمون البلاد قيل هذا النظام وخاصة في المديريات لم يكونوا مسن ذوى الكفاءة والمعدرة ويقول للمنظم في احدى مكاتباته أن بلاد السودان مسن البلاد التي تدر الكثير من الخيرات غير أن الذين عينوا لادارة مختلف جهاتها حتى الآن لم يكونوا من طراز اللواءات الذين اختيروا أخيرا لتوليي شئونها ولذا لم تتقدم البلاد السودانية وظلت في حاجة إلى الادارة الرشيدة الحازمة "(۲) .

لمتكن مهمة المتكلى بالمهمة السهلة ولاكان النظام الجديد بالنظل المفيد كما توقع محمد على و فقد بادره المديريون بعدم الطاعة والانقيل المؤامرة لعلمهم أنه ليس حكمد اراً ولاسلطة له عليهم وكانوا يتطون بالقاهرة مباشرة وأصبحوا مستقلين بمديرياتهم خاصة مدير الخرطوم الذي أعلت للأهالي أنه الحاكم والمتصرف ولاسلطة فوقه فاذا تقدم الأهالي بعرائض شكواهم السمتكلي وحولها المتكلي إليه قامهو بالتنكيل بالأهالي لأنهم تجاوزوه وبلغ من غضب المتكلي على مدير الخرطوم أن شكاه في مكاتبة طويلة إلى الباشا الساسمان معمد على قد أدرك أن الاحوال في السودان لايمكن أن تملح إلا بعسد عودة الحكمدارية ولكن من ينتخب لهذا المنصب يجب ألا يكون في قوة ومطامع أحمد باشا أبو ودان و

⁽۱) المرجع السابق ص١٣٨٠

⁽٢) دفتر ٦٣٩ معيةتركى وثيقة رقم ٣٥٣٧ بتاريخ ٢٤ ذى القعدة ١٢٥٩ ه نقلًا عن مكى شبيكة: السودانعبر القرون • مرجع سابق ص ١٣٩٠

⁽٣) المرجع السابق ص١٤٠٠

على الرغم من ان أحمد باشا المتكلى كان لايتمتع بسلطات و اسعال الله أنّه استطاع أن يقضى على ثورة أهالى التاكة وجنودها الذين ثاروا لسوء ادارة الموظفين وعدم كفائتهم اضافة الله تأخير مرتباتهم لأكثر من ستأشهر، حيث جدّد المتكلى جيشاً كبيراً وسار لقتالهم ومعه الأرباب محمد فع الله والشيخ عبد القادر النوين و الشيح أحمد أبوسلا كبير الشكرية فأسر رؤوس العصاة وعاد بهم إلى الخرطوم حيث تم اعد امهم (١) .

امتازت فترة المتكلى فى السود ان بالاهتمام الرائد بترحيل المواشرورة منكردفان والنيل الأبيض لمصر وكانت ترد المكاتبات من مصر ملحة بفرورة ارسالها وجهزت لها محطات على النيل مبتدئة من الترعة الخفراء (۲) علي النيل الأبيض ومنتهية بأسوان وعددها خمس وتسعون محطة مكما نشطت فى عهده حركة التجارة بالمراكب فى النيل الأبيض ورأى المثكلى أن تحتكر الحكوم التجارة فى سن الفيل و الريش وهى التجارة التى تأتى من جنوب السودان، بدلاً من أن تترك للأجانب ولكن محمد على خشى أن يفسر هذا الاحتكار بأنت من عدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب فى ممتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب فى ممتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب فى ممتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب فى ممتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب فى ممتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب في ممتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب في ممتلكات الدولة العثمانية ويمتلكات الدولة العثمانية ويعدياً على الامتيازات التى يتمتع بها الأجانب في ممتلكات الدولة العثمانية ويمترا المتيازات التى يتمتع بها الأجانب في معلى خشى أن يندياً المتيازات التى يتمتع بها الأجانب في ممتلكات الدولة العثمانية ويمتلكات الدولة العثمانية ويمترا المتيازات التى يتمتع بها الأميان المتيازات التي يتمتع المتيازات التي يتمتع بها الأميان الربيش ويمترا المتيازات التي يتمتع بها الأميان الامتيازات التي يتمتع بها الأميان المتيازات التي يتمتع المتيازات التي يتمتع بها الأميان المتيازات التي يتمتع بها المتيازات التي يتمته المتيازات التي يتمته بها المتيازات التي يتمته المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي يتمتع المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التي المتيازات التيازات التي المتيازات الت

كما نلاحظ فى فترة المتكلى ورود المكاتبات من مصر بارسال بدرة القطين المزروع فى السودان إلى القاهرة ٠ كما اهتمت ادارة كردفان برفاهيا الأهالى وحمايتهم من الآفات الزراعية حيث أنها جندت العساكر والأهليات لمقاومة خطر الجرادوابادته ٠

⁽۱) انظرعوم شقیر ـ تاریخ السودان · مرجع سابق ص ۲۲۳۰

⁽٢) الترعة الخضراء ترعة بدأ الخديو محمد سعيد فى حفرها فن النيلل الأبيض الىكردفان ولكن توقفالعمل فىحفرها ٠ انظر محمود طلعت : غرايب الرمان فى فتح بلاد السودان مطبعة الاسلام بمصر ١٣١٤ هـ ص ٣٣ -

⁽٣) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص ١٤١٠

حاول المثكلى التخفيف عن المواطنين حيث طلب من محمدعلى تخفي الضرائب المربوطة على الأهالى ، ولكن الباشا رد عليه بقوله . يا أحمد هل مرادك أن اتخلى عن بلاد السود ان باستئذانك منى بالتجاور عن تلالمقادير من النقود من المديريات المذكورة من غير موازنة يداعى أن الوارد لايقوم بالمنصرف أم تريد أن تتظاهر بانك مخلص فى عبوديتك ؟ اجملل الباشوات المديرين واعمل معهم مقايسة بين كل مديرية مصرفاً ووارداً بعدت تنزيل ما أردت تنزيله فان كان الوارد يغطى المنصرف فيكون ذلك التنزيل في محله وأمّا إذا كان الوارد أقل فانظر في صورة حسنة توجدها للموافق بين المنصرف والوارد و أخبرنى بها "(۱) .

عموماً كانت الادارة في هذه الفترة رشيدة لاباً سبها سوى ماظهر ماختلافات ومشاكسات بين الحكام أنفسهم •

بقى أحمد باشا المتكلى فى الخرطوم الى أو اخر سنة ١٢٦١ه /١٨٤٥م شـم عاد إلى مصر ومعه الأوباب محمد دفع الله و الشيخ عبد القادر الزين فأنرلهما محمد على باشا فى المسافر خانة وأمر باكرامهما وبعد ثلاثة أيام طلبهمـا وكلمهما بلاو اسطة فأعجب بذكاء الشيخ عبد القادر وفصاحته وقال: "ماكنــت أظن أنّ بلاداً ليس فيها شيء من أسباب التمدن و التهذيب كبلاد السودان يفــرج منها مثل هذا الرجل "(٢) . وأمر له بنيشان وعين لضيفيه ياوراً فطــاف بهما في جميع دو اوين الحكومة و الأماكن المشهورة في مصر (٣) .

⁽۱) دفتر رقم ۳۷۲ صادر عن ديوان المعية وثيقة رقم ۲۸۷۷ بتاريــــخ ۲۷ جمادى الاخرة ۱۲٦٠ ه نقلا عنالمصدر السابق ص ۱٤٠٠

⁽٢) نعوم شقير ـ تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ١١٣٠٠

⁽٣) انظر محمد صبرى: الا مراطورية السودانية في القرن التاسع عشر. مرجع سابق ص ١٥٠

ـ حكمداريةخالد باشــا ؛ (۱)

بعد تجربة المنظم ونظام اللامركزية أرجع محمد على نطام الحكمد ارية فعين خالد باشا خسرو حكمد اراً على السود ان وأكد ذلكفى فرمان تعيين الذي بعث به الى المديرين والقضاء والعلماء والنظار والمشايخ ، وكلم الحكمد ار الجديد ورعًا تقياً هادىء النفس ولكنه ليس على غرار خورشياباشا وأحمد باشا أبوود ان من حيث القوة والكفاءة ، (٢)

فى محرم سنة ١٢٦١ ه الموافق يناير سنة ١٨٤٦م حضر إلى الخرط ومعدد الموافق يناير سنة ١٨٤٦م حضر إلى الخرط والحكمدار الجديد ومعه الأوباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر الريان الذين كانا فى زيارة إلى مصر كما سبق أن ذكر وكذلك حضر معه الشيخ الهيتمى قاضياً على السودان (٣) .

والظاهر أن محمد على فى هذ هالمرة بث عيونه و أرصاده كما يقول أحـــد الباحثين وذلك ليرى مسلك الحكمدار الجديد فكانت النغمة الغالبة فـــــى مكاتباته للحكمدار هى بلغنا واتصل بنا (٤) .

بعد تاسيس مديرية كسلا كان عربانها يهربون إلى سواكن ومصوع اللتيات كانتا تحت السيادة العثمانية وذلك فراراً من دفع الضرائب أو أى الترامات حكومية أخرى فرأى محمد على أن يطلب من البابالعالى ضم سواكنومصوع الى ممتلكاته فى السود ان ظير مبلغ من المال يدفع سنوياً الى خزينا حده فوافقت حكومة الاستانة على ذلك (٥).

⁽۱) خالد باشا خسرو من استانبول ویحتمل أن یکون ترکیاً بالرغم مصدد آن البعض یرون ان جنسیته یونانیة ۰ یعرف فی السود ان بائل عهود الله ۱۱۱۱ , Richard - Egypt In the Sudan - op cit p. 82.

⁽٢) انظر د٠ مكى شبيكه : السودان عبر القرون ٠ مرجع سابق ص ٣خ١٠

⁽٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ١١٢٠٠

⁽٤) انظر د٠ مكى شبيكة : السودان عبر القرون ٠ مرجع سابق ص ١١٤٠٠

⁽۵) انظر: محمد صالح ضرار : تاریخ سواکن والبحر الاحمر ۰ الدارالسودانیة للکتب ۰ الطبعة الاولی ، ۱۶۰۱ ه ، ۱۹۸۱م ـ ص۰۵۰

قض خالد باشا اكثر مدته فى الأسفار فذهب إلى التاكة ثمعاد منها الى جبال فازوغلى ومنها إلى كردفان ليشرف على استخراج الذهب (٢) .

فى هذه الفترة تدهورت صحة محمد على باشا لما أصاب مص من الأولئيسة ولم يعد قادراً على القيام بمهامه فتولاها ابنه الأكبر ابراهيم باشا فستصف سنة ١٢٦٤ ه / ١٨٤٨م وكان ابراهيم نفسه مريضاً فاشتد عليه المرض بغتة وتوفى فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨م فتولى زمام الأمور عباس باشا بن طوسون ابن محمد على ، وفى ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩م توفى محمد على بعد أن اسس لأبنائسه دولة عظيمة استمرت حتى قيام الثورة المصرية فى ١٩٥٢م (٣) ٠

استمر خالد باشا حكمدارًا على السودان حتى أوائل عهد عباس ولكن فــــى أواخر عهده " وجدت الفرصة أمام الموظفين الماليين الأقباط في استغلال جهــل رؤ سائهم الأتراك للتعقيدات الحسابية ولم يوجد بذلك من يقف بينهم وليـــن الشعب السوداني لمنع الاستغلال والظلم وزاد الأمر سوءً موت محمد على سنــة المحرك الفعال المؤثر في أحداث السودان "(٤) .

⁽۱) انظر مكى شبيكه : السودان عبرالقرون مرجع سابق ص ١١٤٣٠

⁽٢) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٢٤٠

⁽٣) انظر المرجع السابق ص٢٢٤٠

⁽٤) د ۱ ابراهیم شحاته حسن : مصر والسودان ۰ مرجع سابق ص ۰۱/۰

ر اهم منجزات ادارة محمد على :

حكم محمدعلى السودان حوالى تسعة وعشرين عامًا كانت السنوات الدورة من احرار بعضف الست الأولى منها في بعض لمجالات نذكر منها :

أولاً: العمارة وتأسيس المدن:

أ ـ مدينة الخرطوم:

يقول المؤ لف الفرنس مسيو ديهيران في كتابه السودان الممرى في عهد محمد على : " إنّ المصريين حينما فتحوا السودان لم يختاروا بلدة مين بلاده القائمة مثل بربر أو سنّار أو الأبيض عاصمة لأملاكهم بل أنشاوا عاصمة جديدة هي الخرطوم ولم يكن في مكانها قبل الفتح المصرى سوى محلة صغيرة حديدة هي الخرطوم ولم يكن في مكانها قبل الفتح المصرى سوى محلة صغيراة عبارة عبحوارى ضيقة وبحالة قذرة بسبب تراكم أكوام القمامة التي يتكاثر عليها الدباب والبعوض ، وكان يسكنها عدد قليل من السكان "(1) ، وفي سنية الممراة أسس بها معسكر ثابت للجنود ، وفي سنة ١٨٣٠ اتخذها خورشيد باشرام مقراً للحكم بعد أن سبقه اليها عثمان باشا جركس ، فصارت الخرطوم منذ ذليك الحين عاصمة السودان ، وقد تم اختيار هذا الموقع لأهميته الاستراتيجية حيات يلتقي النيلان الأبيض و الأزرق وهو موقع وسط بالنسبة للسودان ، كما أنها في ماتتي الطرق بين مصر وأفريقيا، وقد أقيمت فيها العمائ والمباني منذ انشائها وأهمها سراى الحكومة التي كانت مبنية بالطوب الأحمر ومؤلفة من دورين وكانيت فضمة المنظر ، وسراى مديرية الخرطوم مقر مدير المدرية والموظفين ومسجدان، أخده ما كبير بناه خورشيد و الآخر صغير أقيم من بعده ، كما كانت به

⁽۱) هرست ـ النيل •ترجمة احمد الشربينى ص ٢٨٤ نقلاً عن السيد يوســـف نصر الوجود المصرى فىالفريقيا • مرجع سابق ص ١١٤٠

دار لاحدى البعثات الدينية النصرانية أنشئت سنة ١٨٤٨م في أو اخر عهدد محمد على ٠٠ كما أنشئت بها ثكنة كبيرة للجنود في شرق المدينة ومستشف ومعمل للبارود تصنع فيه ذخائر الجيشومخان للمؤن والمهمات ٠٠ كذلك كانت بها ترسانة كبيرة كانت تشمل مسبكاً للحديد ومعملاً للنجارة وفيه بنيت السفن النيلية التي أُخذت تنقل الجنود والمتاجر على النيل ويتخلل تلك العمائر الكبيرة بهوت للسكن ٠ وكان خورشيد باشا قد وزع الأخشاب ومواد البناء على السكانحتي يشيدوا منازلهم على طراز حديث (١) ٠ وقد أكسب المدينة موقعها على النيل روعة وجمالاً كما زادها الحدائق التك أنشأها المصريون حولها رونقاً ونفرة وكانت هذه الحدائق كما ذكر بعد الكتاب تشغل مساحات واسعة من الأرض كما أنها موضع عناية القائمين بها ولهامنظر بديع وكان معظمها يحاذي النيل الأزرق ولايفصلها عنه إلا رصيف فيق وفيها كل ما تنبت الأرض من الخضرة والتين والبرتقال والليمون والمسور والنخيل والدوم ويتألف من مجموعها منظر بهيج يدخل السرور في نفسوس القادمين (١) .

وبعد تأسيس المدينة صارت ملتقى للتجارة القادمة من أنحاء السودان ، وباطن أفريقيا أو الواردة إليها من مصر والخارج فازدهر العمران فيه وصارت محطة تجارية عظيمة على مستوى أفريقيا • كما أنها صارت مركز اللرحلات والاكتشافات الجغرافية والعلمية ومرسى للسفن النيلية التى تنتقل في أنحاء النيل الأزرق والأبيض •

كما تزايد مع الزمن عدد سكانها فقد جاءها الناس من مختلفاً و الرمن عدد سكانها فقد جاءها الناس من مختلفاً و السود ان كستار ويربر ودنقلة وشتدى وغيرها وقدموا اليها للتجارة كما أقام

⁽۱) انظر الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم : تاريخ الخرطوم ، دار الجبــل، بيروت ، ط٠ الثانية ١٩٧٩م ، ص١٧ -١٠٠

⁽۲) انظر دیهیران - السودان المصری فی عهد محمدعلی ، ص ۱۲۰ نقلا علی درج الرافعی : عصر محمد علی ، مرجع سابق ، ص ۱۹۹۶۰

فيها الموظفون ورجال الجاوية وبلغ عدد سكانها في نهاية عصر محمد على صحيد حوالى الثلاثين ألف نسمة (۱)

ب ـ مدينة كسلا ب

بعد فتح اقليم التاكة وضمه إلى المكومة المصرية فللسودان أنشأ أحمد باشا أبوودان حكمدار السودان في ذلك العهد مدين كسلا وكان أغلب سكانها من المصريين وكانت محصنة بسوف منيع من الحجارة وبه أبراج ومعدات الدفاع متوفرة في المدينة منذ انشائها (٢).

وقد ذكر المسيو ديهران أن مدينة كسلا أنشئت على عهد أحمد باشود وذلك أنه أثناء فتح التاكة اتخذ معسكره على نهر الفاشى بسفح جبل كسول ولمنا غادرها ترك بها حامية ثائِية من الجنود فأقبل عليها الأهال المجاورون وأتخذوها موطناً لهم وبذلك تأسست مدينة كسلاالتى تعتبر مالهم مدن السودان (٣) .

ج ـ مدينة محمدعلي :

كذلك أنشئت مذينة محمد على على النيل الأزرق سنة ١٨٤٠م فلي اقليم سنّار على بعد ٢٥ ميلا جنوب الرصيرص وجعلت عاصمة مديرية فازوغلو وقد بنى محمد على باشا نحو خمسة أميال جنوبا قصراً ومعملًا لاستخراج الذهب وكانت أبعاد القصر هي ١٦ × ١٦ × ٨ أمتار وأمّا أبعاد المستشفى فكانوب وكانت أبعاد القصر هي ١٦ × ١٦ × ٨ أمتار ونصف ارتفاعاً ٠ كما أنشئت وكنات للجنود المكلفين عراسة تلك الجهات (٥) وكان بها شونتين ومبنوب

⁽۱) انظر د السيد يوسف نصر : الوجود المصرى في أفريقيا · مرجع سابق ص ١١٤ - ١١٥

⁽٢) انظر ابر اهیمفوزی : السود ان بینیدی غردون و کتشنر القاهرة ، ۱۳۱۹ه ص ٥٦٠

⁽٣) ديهيران السودان في عهد محمد علىنقلاً عن الرافعي • عصر محمد علــــي مرجع سابق ص ١٩٦٠

⁽٤) انظر عبدالرحمن البرافعي وعص محمدعلي ص١٩٦٠

⁽٥) د السيد يوسف نصر : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا فى القرن التاسع عشر • دار المعارف ط • الأولى ١٩٨٠م ص ٩٨-٩٩٠

للجبخانة وديوان على شاطى النيل الأزرق كما حفر بها بئران ولكن هــــنه المدينة لمتعمَّر إذ أنها هجرت بمجرد وقف أعمال التنقيب عن النهبولكن بقيــت

ر. ـحفر الأبار :

قامت الادارة المصرية فى السود انبحفر عدد من الآبار فى عهسد الحكمدار محو بك وفى عهود أخرى و والغرض من حفر هذه الآبار هو توفير ميساه الشرب فى المناطق البعيدة عن مصادر المياه وخاصة فى المنطقة الواقعة بيسن كورَ سكو و أبو حمد وقد بدأ الحفر فى هذ الآبار منذ سنة ١٨٤٠م وكان محمد علسى قد عين البكباشي (٢) محمد أفندى للاشراف على حفر هذ الآبار بعد أن زوده بعدد من القرفي بلع حو الى ٢٤ قرية من الحجم الصغير وستة قرب من الحجم الكبير بالاضافة الى تزويد البعثة بما يلزمها من مؤن وخلافه (٣) .

وكان من المهندسين الأجانب الذين عينوا في هذه البعثة المهندس ايموبك الذي رفض السفر مع البعثة بحجة أنه يعمل في منجم الفحم لهي السود ان ولك لما عمد محمد على بذلك أصدر أمره إلى مجلس الشوري لكي يعين مهندساً غير فاختير المهندس حافظ أفندي ومعه رزق الحتاني خبير حفر الآبار والذي صرف لهمقدماً مرتب شهرين زيادة على حصوله على يومية قدرها ستة قروش (٤) ٠

⁽۱) ده حسن أحمد ابراهيم • رحلة محمدعلى باشا إلى السودان •مرجع سابق ص ١١٠

⁽٢) ينهاشى او بكباشى كلمة تركية مركبة وتعنى رأسالألف وهى رتبـــــــة عسكرية عثمانية استبدلت بها الآن كلمة مقدم ٠ انظر د٠ احمد السهــــد سليمان تأصيل ماورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ص ٤٤ ٠

⁽٣) دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليم وثيقة ٦٩٨ في ١٧ رجب ١٢٥٦ نقلاً عن الوجـــود المصرى فيأفريقيا ص١١٢ ٠

⁽٤) دفتر ٢١٠ صادر ديوان المعاونة وثيقة ١٤١٩ في ٢٠ جمادي الاولى سنة ١٢٥٩ الموافق ١٨٤٣م ٠

كان محمدعلى يتابع سير العمل فيحفر الأبار فكان يسأُل من وقت لاَخَر عــــن عدد الآبار التي تم حفرها وعن المسافة التي تقع بين كل بئر والأُخرى وكان يحــث رئيس البعثة أُن ينجز حفر هذه الآبار في وقت قصير (١) .

لم يقف محمد على عند حفر الآبار فقط بل نجده يصرر أو امره في سنة ١٨٤٣م الـــي ديوان المدارس يطلب منه حفر قناة في طريق العتمور الكائن بين كورسكو وأبــو حمد وقد أسند ديوان المدارس هذه المهمة إلى المهندس دارنو الذي اصطحمه معه كلا من المهندس محمد سليمان وعبد الرحمن عمر وهما من مدرسة الهندسوقد زود أعضاء هذه البعثة بالأدوات والمهمات اللازمة لعملية الحفر وكان قـــد صرف مقدماً لدارنو جميع مرتباته بالاضافة إلى تخصيص ذهبية لكي تنقله من القاهرة إلى أسوان ومن هناك يركبون الجمال إلى مواقع العمل (٢) .

هذا ولم يقتصرحفر الآبار علىمنطقة كورسكو و أيم مد فقط بل امت الله المنطقة الواقعة بين سواكن وبربر وذلك بحفر عدد آخر من الآبار وقد عين للكشف عنهذه المنطقة اليوزباشي أحمد أفندي الذي كان برفقته حسنخليف شيخ قبائل العبابدة وكان الغرض من ارسال هذه البعثة هو معرفة المناط التي يمكن حفر الآبار فيها (٣) .

_ الأمن ووحدة البلاد :

لعلمن أعظم انجازات ادارة محمد على أنه أعطى للسود انيين حكومة مركريــــة موحدة بسطت سلطانها وقانونها علىمساحة واسعة من البلاد وهي وإن لم تكـــــن حكومة مستبدة عادلة إلا أنها وضعت الاسس الأولى لتوحيد السودان من الناحيــــة

⁽۱) دفتر ۳۲۱ المعاونة وثيقة ۱۵۶۲ في ۸ ربيع ۱۳۵۹ نقلا عن الوجود المصــري في افريقيا ص ۱۱۱۰

⁽۲) دفتر ۲۸۹ دیاان المعاونة وثیقة ۱۹۲۸ فی ۲۸ جمادثانی ۱۲۵۹ ه نقلا عــــن الوجود المصری فیافریقیا ص۱۱۱۰

⁽٣) دفتر ٢٠٩ معاونة اقاليموثيقة ٣٩٤ في غرة ربيع الثاني ١٢٥٩ ه نفسالمرجع والصفحة السابقة ٠

القومية والادارية والمالية والقانوية ، فقوضت بذلك أركان الممالك الصغيرة التى تقسم البلاد وتفعفها ، ووفعتنظماً أحدث على كل حال مما كانك عليه السلطنة الزرقا ، وباخضاع القبائل السودانية إلى حكومية استطمع محمد على ان يقضى كذلك على الحروب الاهلية التى كانت تقوم بين القبائل لل بين العشائر المختلفة من القبيلة الواحدة "(1)،

وقد تحدث عناستتباب الأمن في الديار السودانية في الفترة المشار اليها عدد من الرحالة الذين زاروا البلاد كما سبقت الاشارة الى ذلك (٢) .

_ الرحلات الكشفيــة :

اهتم محمحهلى بالرحلات العلمية لاكتشاف أصقاع السودان النائية وبـــذل مجهوداته فى الكشف عن منابع النيل وتشجيع الباحثين والعلماء حتى صـــارت الخرطوم مركزًا للرحلات الجغرافية بغرض الكشف عن منابع النيل وأوسط أفريقيا (٣) ولمّا عاد محمد على من رحلته إلى السودان تولى بنفسه تنظيم الحملات والرحـــلات البعيدة المدى للكشف عن منابع النيل ، فأرسل البكباشي سليم بك قبطان فــــي ثلاث حملات متعاقبة كانت موضع اعجاب علماء الجغرافيا ورواد الاكتشاف حتـــي أن المسيو ديهيران الفرنسي قد قال " إنَّ محمد على بانفاذه الرحلات والبعثــات لاكتشاف منابع النيل قد حقق الأمل الذي كان يطمح اليهعلماء الجغرافيـــة وكافة رجال العلم في عصره "(٤)

بدأت الحملة الأولى لاكتشاف منابع النيل سنة ١٨٣٨م فقد طلب محمد على مـن حكمدار السودان أن يعد عدداً منالمراكب اللازمة لنقل الجنود الذين يقوم

⁽۱) فرار صالح فرار : تاريخ السودان الحديث · مرجع سابق ص ٦٦ ·

⁽٢) انظر شوقی الجمل: تاریخ سودان وادی انیل ج۲، ص ۵۰۰

⁽٣) انظر الرافعى : عصر محمد على ممرجع سابق ص٠٢٠٠

⁽٤) المرجع السابق ونفس الصفحة •

بالكشف عن منابع النيل ويتضح ذلك من خطابه الذى جاء فيه "لقد صدر الأمير العالى بتجهيز الذهبيات الثلاث التى ستقوم الى البحر الأبيض (النيل الأبيين مزودين بمدفعين خفيفين لاستعمالهما ضد اللصوص وقطاع الطرق فينبغى لذاتكريمة أن تنتخبوا ستة مدافع متينة جداً من هذا النوع بكافة مهماته وقذائفها وأن تكون سليمة من كل عيب وخلل بحيث يتم ذلك بمعرفة القميرودان: سليم الذى سياتى من أجل السفر الى النيل الأبيض نظراً لان المسافة التى ستقطعها هذه الذهبيات طويلة (۱).

أمًّا الحملة الثانية فقد غادرت الخرطوم في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٤٠م لاكمـــال مابداته الحملة الاولى التي كانت قد وصلت الى جزيرة جانكير عند خط العـــرض ٤٢ ، ٤٠ ولم تستطع المسر نحو الجنوب أبعد من ذلك ٠

أمثًا الحملة الثالثة فقد غادرت الخرطوم في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤١م ولكتها لم تحرز نجاحا يذكر إذ أنها عادت من نفسالموقع الذي عادت منه الحملاتية ٠

وكان من أهمنتائج هذه الحملات الثلاث أنها ألقت الضوعلى القباعل الرنجية التى تقطن المنطقة الممتدة على طول النهر ابتداء من الخرطوم وحتى جزيلجانكير زيادة على ذلك فأنهذه الحملات الثلاث تمكنت من ربط شمال السلودان بجنوبه وفتحات الطريق أمام تجارة الجنوب لتتجه نحو الشمال وبالعكاما أنها مكنت الاوربيون من التوغل إلى قلب أفريقيا (٢) .

وهذه الاكتشافات كما يشير الرافعى قد مهدت السبيل للرحلات التى جـــائت من بعد الى أن الرحلات والحمـــلات

⁽۱) دفتر ۳۰۲ معاونة الجهادية وثيقة ۳۱۰ في ۳ جمادي الاخرة سنة ۱۲۵۶ ه الموافق ۱۸۳۸م نقلاً عن د٠ السيد يوسف نصر : الوجود المصرى في أفريقيا ٠ مرجع سابق ص ١١٧٠٠

⁽٢) انظر د٠ السيد يوسف نصر ٠ المرجع السابق ص ١١٩-١٢٠٠

فيعهد محمد على قد عبدت الطريق للمكتشفين و أنارت لهم السبيل وفتحسب بلاداً ومناطق لم يكن في مقدورهم أن يجوبوها لو لم يبسط الحكم المصرى رواق ، الأمن في أنحائها فالفتح المصرى فضلاً عن نتائجه القومية قد ساعد العلم والحضارة مساعدة كبرى من تلك الناحية وقد كان العامل الأول في الرحلات التي تمت في عهد محمد على اتجاه فكره وفكر أبنائه إلى اكتشاف المنابع التي كانت إلى ذلسبك الوقت مجهولة لعلما الجغرافيا (أ) .

هذاوقد حققت ادارة محمد على فىالسودان الكثير من النجاح فصحصال مجال الزراعة حيث شجعتالمواطنين عليها وعملت علىتطويرها وكذلك فى مجلسالات التجارة والصناعةوالتعدين التى سنتحدث عنها ان شاء الله بالتفصيل فى الفصل الخاص بالنظام الاقتصادى والمالى فى عصر محمدعلى ٠

أما فى الجانب السلبى لادارة محمد على فنجد أن حملات الدفتردار الانتقامية قد كانت مثالاً سيئاً لنوعية الحكم الجديد وقد جعلت هذه الحملات الكثير مسن السودانيين لاينظرون إلى الايجابيات التى أحدثتها ادارة محمد على أثناء تقييمهم لهذه الفترة بل يركزون على بشاعة الانتقام ومثال ذلك ماقاله الأستاذ فسرار صالح فرار "لقلف كان محمدعلى قد أزال الفوارق القبلية ومنع الحروب المغيسرة إلا أنه أباد من السودانيين في عامين على يد الدفتر دار أضعاف ماكاد يُقتسل في الحروب الاهلية "(۲) .

الجانب السلبى الآخر بجانب الحملات الانتقامية هو بشاعة الضرائب التسبب فرضت على المواظن السود انى الذى كان لايملك شيئاً والقسوة فى تحصيلها مما تسبب فى تشريد آلاف العائلات من مناطقهم وسكناهم • وبدلاً من أنتنتج الارض أجدبت فنتسج من هجرها نقص فى المواد الغذائية فى البلاد بأسرها كما تسبب ذلك فى هبسوط مستوى المعيشة (٣)

⁽۱) انظرعبدالرحمن الرافعى ـ عصر محمدعلى ، مرجع سابق ٢٥-٢٠٠٠

⁽٢) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث • مرجع سابق ص ٥٦٦

 ⁽٣) المرجع السابق ونفس الصفحة •

الجانب السلبى الآخر فى هذه الادارة هو فساد الموظفين الذين غلب عليه الطمع " فقد كانوا آفة الادارة فى السودان إذ كان شغلهم الشاغل هو الاثسراء عن طريق الرشوة وابتزاز الأموال من السكان واحتكار بعض التجارة لأنفسه والاختلاس أحياناً ولبعدهم عن القاهرة كانوا آمنين من أعين محمد على وبذل أدخلوا الفساد فى الحكم الى بلاد لم تعرف عن ذلك شيئاً من قبل بسبب بدائي نظامها الادارى السابق الذي لم يعرف الفرائب أو احتكار التجارة "(1).

- الحكم على الادارة المصرية خلال عهد محمد على :

اختلف حكم المؤرخين والباحثين على الادارة المصرية فى السودان اختلاف متبايناً فبعضهم اعتبرها شراً محضاً ولعل هؤلاء كانوا ينظرون إليها من خلل حملات الدفتر دار وفداحة الفرائب وسوء الاداريين وبعض الباحثين غلّب عليها صفة السوء مع ذكر بعض المحاسن "على أنه يجب أن يعترف بأن الحكم المصرى التركى لم يكن شراً كلم بل كانت لم حسنات فى النظام التربوى وفى الادارة والتنميات الاقتصادية "(۲) وبعضهم اعتبراً ن معظمها كان خيراً (۳) ومعظمهم ذكر السلبيات بجانب الايجابيات (٤) وهؤلاء هم أصحاب النظرة الموضوعية من الكتاب والباحثين و

ولكنهناك حقائق هامة يجب أخذها فىالاعتبار عند الحكم على هذه الادارة ،

- ا المعرد المداد الادارة المصرية المصرية المداد الادارة المصرية المص
- آ وجود استحالة مادية لاحداث تغيير شامل وذلك لبعد المسافات فـــى السودان ٠

⁽۱) فرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث • مرجع سابق ص ٠٦٨

⁽٢) محمد أحمد محجوب: الديمقراطية فى الميزان • دار النهارللنشر • بيروت ، ١٩٧٣ ص ٢٤ •

⁽٣) كمثال على ذلك انظر : د٠ نسيم مقار :الاُسسالتاريخية للتكاهل الاقتصادى ٠مرجع سابق٠

⁽٤) كمثال على ذلك انظر الدكتور رافت غنيمى الشيخ · مصرو السود ان فى العلاقات الدولية · عالم الكتب ١٩٧٩م ص ٠٠ ومابعدها ·

انعداموسائل المواصلات إلا القديم منها٠ قيام حكومةواحدةيخفع لهلا الجميع أمر مفاجىء وجديد أعلل المجتمع السوداني • هناك عادات متأصلة في هذا المجتمع تحتاج لعشرات السنيـ لاستئصالها كتجارة الرقيق مثلاً٠ إنَّ امتداد الادارة المصرية للسودان وماتبعه من استتباب للُّمن أتــاح الفرصة لزوار كثيرين للحضور للسودان فبدأوا يكتبون عن السودان ولللذا ظهرت أُشياء كثيرة قديمة قرنت خطأً بالحكومة الجديدة • ارتبطت الادارة في السودان بالادارة في مص فنظم الادارة في الســـودان، نقلت منمص والمديرون الذين أوفدتهم الحكومة المصرية للسودان تكونهوا وتدربوا في الادارة المصرية • البيئة السودانية كانت لها خواصها المختلفة عن البيئة المصرية ونذك من أُوجِه الاختلاف مثلاً: بعد المسافاتوقيام عقبات ممًّا يترتب عليه معوبات خاصة في ذلـــك الزمن • تنوعموارد معيشة السكان ففيالسودان بعض الآقاليم زراعيـــــ وبعضها رعوى بينما في مصر نجد الزراعة والتجارة • المجتمع السوداني في ذلك الوقت يقوم على العصبية القبليا بينما في مصر نجد أنّ القبليات لا دور لها ٠ الحكم الموحد في السود ان جديدوغير مالوف بعكس مصر • الاقتصاد السوداني في ذلك الوقت اقتصاد بدائي قوامه التبادل بالسلع بينما التعامل في مصر بالنقود، (١)

⁽۱) انظر د مشوقی الجمل : تاریخ سودان وادی النیل ، ج ۲ ، مرجع سابــق ، ص ۳۱ــ۳۱ ۰

وأُخيراً فان كانت لنا كلمة يمكن أنتقال في خاتمة هذا الفصل هــــــــى أن ادارة محمد على في السودان كجهد بشرى فيها السلبيات والايجابيات ولايمكــن أن تكون إلا كذلك مادام أنها جهد بشر ٠

. . .

الفصل الآياني المنطق النظام الإداري في الستفودان في النظام الإداري في الستفودان في النشاء المنطق من 1818-1819م

ولاً: النظام الاداري في عهد عباس الأول: (١)

اهتم عباس بحكم مصر وشغلته مشاكله مع أُفراد أُسرة محمد على عن الاهتمـام بالسودان أُو اكمال كشف منابع النيل التي كان جده محمد على قد بدأفيها (٢) .

عندماتولي عباس مقاليد الحكمفى مصر كان الحكمدار فى السودان هو خالصد باشا خسرو الذى يبدو أن عهده قد انتهى إلى عكس مابدا به ففى بداية عهده وصفته المصادر والمراجع بالورع والتقوى ولكنة فى نهاية عهده حسب بعض هده المراجع قد اتخذ منصبه أداة للغنى " ولميكفه ماكانياخذ من رشوة أو ابترار الأموال الناس بل امتدت يده أيضًا إلى الأموال الحكومية حيث حول مبالغ كبير للمطحته الشخصية وفى نوفمبر سنة ١٨٤٩م وُجد أنّ هذا الحكمدار قد اختلس حوالللم نصف مليون جنيه مصرى مما كان له أسوا الأثر على تقدم البلاد ، كما سبب للدارة ضاعقة مالية "(٢)

⁽۱) تولىعباسالأول بنطوسون بن محمد على حكم مصر فى حياة جده محمد على فـــى ٢٦ تولىعباسالأول بنطوسون بن محمد على حكم مصر فى حياة جده محمد على فـــى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٤٨م بعد وفاة عمه ابراهيمباشا • وعلى اثر توليه مقاليد الحكم ذهب الى الاستانة لتقديم فروض الطاعة و الولاء للسلطان العثمانــــى وعاد منها فى ١٣ فبراير ١٨٤٩م و استمر يحكممصر حتى سنة ١٨٥٤م حيث أدى عدم وفاقه مع أسرة محمدعلى إلى اغتياله •

انظر عبدالرحمنالرافعی : عصر اسماعیل ۰ دار المعارف ۰ الطبعة الثالثــة ۱۹۸۲م ص ۱۵ ومابعدها ۰

⁽٢) انظرعبد الرحمن الرافعي عصر محمد على ـ مـرجع سابق ص٠٢٠٠

حاول عباس باشا تلمس مشكلات السود ان الادارية فعرف أن من أسباب سوء الادارة إعتقاد الاداريين بأنهم في منفى وأنهم يجب عليهم أن يغتنوا في المدة التي يقفونها في السود ان٠٠ « وكان لهذا الشعور السائد أثره النفسي عليي الاداريين المصريين والأتراك إذ يبلغ الضيق بهم مبلغاً عظيماً وينظرون إلى السود ان و السود انيين بمنظار أسود وليس لديهم الاستعد اد للعمل من أجل رفاهيا السود انيين "(1).

ولذلك نجد أن عباس قد قرر أنيجعل فترة الخدمة فى السودان محددة فكان على الاداريين الذين يعملون فى دنقله فى شمال السودان أن يمكثوا ثماني الموام وفى الخرطوم ست سنوات وفى كل من كردفان وسنار وفازوغلى والتاكة أربع سنوات ولايصح لأى موظف أن يغادر مقر خدمته إلا إذا حضر من يحل محله ولايسم له بالذهاب إلى مصر أثناء تلك الفترة إلا بشهادة طبية تمتحن صحتهافى القاهرة ويعاقب الطبيب والموظف إذا ثبتت اللياقة الطبية وإذا ألف الموظف الاقامة فى مركز خدمته وطلب البقاء وكانت الشهادة عن عمله مرضية فله أن يبقى مصدة أخرى (٢) .

أما في مجال تخفيف حدة الرشوة والتي كانت منتشرة بينالاد اريي والموظفين كبارهم وصغارهم فقد حاول عباس أن يعالجذلك الداء بوضع موظفي برتب عالية في الوظائف المسئولة ، وكانت أولخطوة قام بهاهي تعيين المديرين من رتبة الأميوالاي (أمير لواء) بعد انكان في رتبة القائمقام من قبل (٣) ويري باحثآخر أنّ العكس قد حدث حيث يقول " وجاء عباسالأول بسياسته التي ترم إلى أضعاف قوة موظفيه وممثليه واختار لحكم السودان حكاماً أقل من رتب أمير لواء وكان يقوم بارسالهم لفترات قصيرة يحل بعدها حكام غيرهم فلا تتلال

⁽۱) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث ، مرجع سابق ص ٧٠٠

⁽٢) د مكى شبيكة : السودان عبرالقرون ٠ مرجع سابق ص ١٤٨٠

⁽٣) ضرار صالح ضرار : المرجع السابق ص ٥٧٠

لاحد منهم فرصة ادراك حقيقة الظروف المحيطة بالسودان وادارته (١) •

وللحقيقة فأن محمدعلى هو الذي كان يعين الحكّام من ذوى الرتب الصغيلي في أو اخر أيامه وذلك خوفاً من المطامع كما أشرنا و أمّا عباس فقد رفع رتب الحكلام و الموظفين اعتقاداً منه بأنّ الموظف المسئول إذا كان في رتبة عالية وتنلول مرتباً أعلى خفت حدة رغبته في استلام الرشاوي كما أنّ رتبته العظيمة وكبريا وسوف تمنعانه من قبول الرشوة (٢)

كذلك أعادعباس توزيع بعض المديريات حيث كانت تتداخلفى بعضها أحيانو أو تكون المديرية أكبر من أن يديرهامدير واحد ولذلكنجد أن عباس قد فم دنقلة عن وبربر وجعلهما مديريتين بدلًا من واحدة وهذا أفاد كثيراً في أنه جعوف في تلك المساحة الشاسعة الامتداد مديرين يقومان بتصريف شئونها بدلاً من مديرين واحد ولماً كانت فازوغلى وسنار مرتبطتين بعضهما دون اتساع كبير فقد دمجهما في مديرية واحدة حتى يوحد بين مشكلات السكان في تلك المنطقة (٣) .

وفى عهده ظهر أنّالسودان مازال فى حاجة الى أعداد كبيرة من الكتبية والمحاسبين حتى يتم تنظيم الادارة الحكومية وخاصة النواحى المالية ، ووصعا أسس صحيحة للحسابات والمراجعة المالية ونتيجة لهذه الحاجة فقد وفدت على السودان أعداد كبيرة من الأقباط للقيام بذلك العمل وكان التعدين والبحث عسن الذهب من أبرز المعوبات التى واجهتهم لأنهم بعد مراجعة الصرف والدخل وجهدوا أنّ استخراج الذهب يكلف أكثر مما يربح وهذا مما جعل عباس باشا يأمر بابطال العمل في استخراج الذهب من السودان (٤) .

⁽۱) د ابراهیم شحاته حسن : مصر والسودان ، مرجع سابق ص ۱۰۸-۰۱۰۹

⁽٢) انظر ضرار صالح ضرار: تاريخ السودانالحديث • مرجع سابق ص ٧٠٠

⁽٣) انظر المرجع السابق ص ٧١٠

⁽٤) نفس المرجع والصفحة •

حكمدارو السودان في عهد عباس :

(۱) عبداللطيف باشا (۱)

رأى عباسباشا أنّ الحكمدارية لايصلح لها مثلخالد باشا و أنه لابد من ايجاد نوع أصلح لمنصب الحكمدار و فاستدعى خالد باشا و أرسلبدلاً من عبداللطيف باشا في ربيع الآفر سنة ١٢٦٦ ه الموافق فبراير سنة ١٨٥٠م وصل عبداللطيف باشا إلى الخرطوم حاكماً عاماً على السودان و وكانت الأحكام قد اختلت كثيراً في مدة سلفه فما أن دخل الخرطوم حتى انهالت عليه الشكاوي فد خالباشا (٢) فكانمن الأعمال الأولى التي قام بها عبد اللطيف باشا أن أثبت على خالبد باشا اختلاس بعض أمو ال الحكومة فاستعفى منه ألف كيس وردها إلى الخرينات العمومية (٣) . ثم شرع في الأحكام فأز ال المظالموبث روح العدل في البلاد و العمومية (٣) . ثم شرع في الأحكام فأز ال المظالموبث روح العدل في البلاد و العمومية (٣) .

أقر الحكمدار لائحة يسير العمل بمقتضاهافي السودان كما تم في عهده دمج فازوغلى فيستار كما فطت دنقله من بربر ٠ كذلك دعمت الادارة الحكومية في عهده بعددمن الكتّاب والمحاسبين والأطباء ٠ كذلك اهتم عبد اللطيف باشبيا بعمارة الخرطوم فجدّد من المباني الحكومية ديوان الحكمدارية وديبوان المديرية وأنشأ المطبعة الحكومية ومحكمة العموم والأجزفانة وقشلاقبالطوبجية وكلهابناها بالطوب الأحمر ٠ كذلك أنشأ لطيف باشا مدرسة أميريسة برئاسة رفاعة رافع الطهطاوي الذي حضر الى الخرطوم ومعه كثير من الكتبسية والمعلمين (٦)

⁽۱) جركسى الاصل من أمرا الأسطول المصرى كان قد حكم عليه بالاعدام ثم عفى عنه وعين حاكماً على الصعيد قبل أن يعين حاكماً على السود ان الرحمن ركين حكمد ارو السود ان و المجلة التاريخية المصرية في ١٩٤٨ ص ١٩٤٨

⁽٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخالسودان الحديث • مرجع سابق ص ٧١•

⁽٣) انظ مِكى شبيكة : السود انعبر القروق ، مرجع سابق ص ١٤٧٠

⁽٤) تعنى معسكرات المدفعجية · انظر تاصيلُ ماورد فىتاريخ الجبرتى مــــن الدخيل ص ١٤٣٠

⁽٥) لترجمته انظر عبد الرحمن الرافعي : عصر محمدعلي • مرجع سابق ص ٠٤٧٠

⁽٦) للمزيد منالتفاصيلحول هذه المدرسة انظر فصلنظام التعليم في عصرعباس من هذا المبحث ٠

كذلك عزل لطيف باشا الشيخ إدريس عدلان من شياخة جيال الفونج ووليه ابن أخيه عدلان محمد مكانه • كما ضرب حسن مسمار ملتزم الجمارك وصادر أمواله ثم حبسه كما عزل حسن خليفة العبادى ملتزم سكة عتمور ألله حمد من المشيخة وصادره أيضاً وقلد المشيحة أخاه حسن خليفة • ويلاحظ أن عبد اللطيف باشا كلمساعزل شيخاً أو مسئولا عين قريباً له وذلك لاستحكام النظام القبلى في اعتقادى حيث أن القبيلة يمكن أن ترضى بعزلشيخها أو أحد أبنائها ولكنها لاترضان توخذ المشيخة أو أي وظيفة أخرى منها لتعطى اليغيرها من القبائل •

كذلك قلد لطيف باشا الشيخ عبدالقادر الرين وظيفة معاون الحكمداريسة مع مشيخة مشايخ الجزيرة كما أحسن معاملة الشيخ أحمد أبوسن (١) .

وفى هذا العهد تو الى دخول الرهبان و المبشرين فى السود ان و أنشئ القنطيات بالخرطوم وكانت الولها القنطية النمساوية وقد طلب لطيف باشا مسن مصر ارسال مترجم يكون و اسطة للمخاطبة بين الحكومة و القناصل ورد الجنساب العالى بأن تكون المكاتبات باللغة العربية كما فى مصر آنذاك • كماشهدت حكمدارية لطيف باشا أيضاً نشاطاً من التجار الأوربيين فى أنط السود ان وخاصة بعد إنشا القنطيات وزادت الحركة التجارية فى النيل الأبيض زيادة ملحوظ (٢) قودا النشاط جعل الحكمد اريلجا إلى بعض الإجراءات التى يمكن أن تمنع نشاط التجار الأوربيين أو تحد منه •ومن هذه الإجراءات إقتراحه بمنع هوالاء التجار فيما من المحكومة وبالمزاد • كذلك حاول الحكمد ار أن يجعل تجارة الصمغ صعبة

⁽۱) انظر نعوم شقیر : تاریخ السودان ص ۰۲۲۶ ود محمد صبری :الامبر اطوریــة السودانیة فیالقرنالتاسع عشر ۰ مرجع سابق ص ۱۱۰

⁽٢) انظر د٠ مكى شبيكه : السودان عبر القرون ٠ مرجع سابق ص١٤٨٠

المنال بالنسبة للتجار الأوربيين فأصدر الأوامر الصارمة للمديرين وخاصصة في كردفان بأن يحدّد سعقر قنظار الصمغ بستين قرشًا وأن الحكومة تقبله بذلك الثمن مقابل الضرائب المطلوبة • وأمر بألا يسمح للأهالي ببيع صمغهم بأقصل من ذلك الثمن وإذا خولفت هذه الأوامر فالعقاب يحل بالبائع والمشترى فالبائع يعاقب بالضرب إذا ماباع بأقل من السعر المحدّد وكذلك شيخ بلدته وكذلك التاجر والمشترى وقد روى القصنل الإنجليزي أنَّ مدير كردفان ضرب أحد التجار الإنجليز بيده تنفيذً لذلك الأمر (١) •

ولهذا فأنالقناصل الأوربيين في الخرطوم وقعوا عريفة ضد لطيف باشيا اعترضوا فيها على منع التجارة التي هي من امتيازات الأوربيين في البليدان العثمانية كما ادعوا بأنّالحكمدار أساء إلى الرهبان الكاثوليك في الخرطيوم وظلمهم مما اضطر عباس باشا إلى استدعاء لطيف باشا إلى القاهرة وتعيين رستيم باشا مكانه .

- رستمباشا ^(۲):

فى سنة ١٢٦٧ ه الموافق ١٨٥١م عين رستم باشا حاكماً على السودان ، فذهب إلى الخرطوم ومنها إلى وادى مدنى التى عاد منها مريضاً حيث توفى فالخرطوم سنة ١٢٦٨ه الموافق ١٨٥٢م ودفن هناك ، وكل الذي تذكره المصادر عن فترة حكمه أنه حضرت فى هذه السنة من مصرل چنة للنظر فى أحوال السودان (٣) وقليد خلفه على الحكمدارية اسماعيل حقى أبوجبل ،

⁽۱) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص١٤٨٠

⁽٢) جركسى الأصل ٠ قيل أنه تلقى تعليمه فى فرنسا ٠ أصابه المرض فى واد مدنى وتوفى ودفن بالخرطوم انظر المجلة التاريخية المصرية ـ المجلـــد الاول ١٩٤٨م ص ١٩٤٨

⁽٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ٠مرجع سابق ص ٢٢٦٠

٣- اسماعيل باشا أبوجبــل : (١)

حضر إلى السود ان فى رمضان سنة ١٨٥٦م حيث قام بجولة تفتيشيه شملست الجهات الشرقية من السود ان ثم رجع إلى الخرطوم وبقى فيها حتى صدور الأمسر برجوعه إلى مصر وكانت مدته قصيرة ولم يحدث فيها تغيير يذكر فى الادارة (٢)

٤ - سليمباشا الجزائرلي (٣):

فى شعبان سنة ١٢٦٩ ه الموافق مايو سنة ١٨٥٣م عين سليم باشا حكمداراً على السودان بدلاً مناسماعيل حقى أبوجبل فذهب إلى الخرطوم على غير ارادت وأقام بها متمارضاً مدة قصيرة ثم استدعى إلى القاهرة ليرسل بدلاً عنه على باشا سرى ولم يحدث خلال فترة سليم باشا أى حدث غير عادى (٤) .

ه _ علی باشا سری :(۵)

فىجمادىالاولى سنة ١٢٧٠ ه الموافق فبراير سنة ١٨٥٤م عين على باشا سرى حكمداراً على السودان فذهب إلى الخرطوم ولم يخرج منها إلا إلى سنار ثم عاد إلى

⁽٢) انظر نعوم شقير : تاريخ السود ان ٠ مرجع سابق ص ٢٢٦٠٠

⁽٣) تولى عدة وظائف فى السود ان منها حاكم فازوغلى ثم استدعى ليتولى حكسم الصعيد ثم أرسل حاكماً للسود ان ولكنه مرض بالحمى فأعيد إلى الصعيدد المجلة التاريخية م١ ١٩٤٨م ص ١٩٠٣٠

⁽٤) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٢٧ ٠

⁽ه) توفى فى ٢٤ نوفمير سنة ١٨٥٥م ـ انظر المجلة التاريخية المصريــــة م١ ١٩٤٨م ص ١٤٣٤٠

مصر بعد فترة قصيرة وقد ملا جيوبه من مال البلاد ولاسيما منجزيرة سنار (١) .
وفي شوال سنة ١٢٧٠ ه يوليو ١٨٥٤م توفيءباس الأول مقتولاً في قصرو

ويمكن أن نلاحظ على ادارة عباس الملاحظات الاتية :

- (۱) إنّ اهتمام عباس باشا بالسودانكان اهتماماً أقل بكثير مناهتمام جــده محمد على وربما يرجع ذلك إلى انشغال عباس بمشكلاته مع بقية أفراد أسرة محمد على الذين اختلفوامعه واتهمه بعضهم بالرجعية بينما هاجـــر جزء منهم إلى الاستانة خوفاً من بطشه ٠
- (٢) أُعتبر بعض المورَّرخين آنَّ عباس باشا اتخذ من السود ان منفى ينفى فيه مـــن يغضب عليهم لدرجة ان اسمالسود ان أُصبح مجرد سماعه مرعباً (٣) .
- (٣) إنَّ هذه الادارة لم تحقق أية نجاحات باستثناء فترة الحكمدار عبد اللطيـــف باشا وذلك راجع في ظنى إلى التغير السريع الذي كان يتم في منصــــب الحكمد ارية حيث يلاحظ أنه مابقي حكمدار في منصبه أكثر من عام وبعضهــم بضعة أشهر فقط ١ الأمر الذي لم يمكنهم من التعرف على البلاد ومشكلاتهـــا وبالتالي عجزوا عن وفع تصور لحلولها ٠

ABBAS made Free use of the sudan as a place of banishment. In Egypt Fazughli came to be popular word for dire punishment, men in danger of the law were seen to shudder when the word was spoken.

Hill a Richard - Egypt in the Sudan. op cit P. 87.

⁽۱) نعوم شقیر : تاریخ السودان • مرجع سابق ص ۲۲۲۰

⁽٢) انظر عبدالرحمنالرافعي : عصر اسماعيل ج1 مرجعسابق ص ٢٤ ومابعدها٠

⁽٣) عبر عن هذه الحقيقة ريتشارد هل بقوله :

- (٤) لم تفلح هذه الادارة فى منع الرشوة واستغلال النفوذ وكان عباس بالسلام فى بداية حكمه قد عزم على منعها •
- (ه) ظهرت في فترة هذه الادارة الجاليات والبعثات التنصيرية التي استقـــرت في الخرطوم وبد أت حملاتها التنصيرية ٠

ثانياً: نظام الادارة في عهد سعيد باشا .(١)

تولى محمد سعيد باشا حكم مصر والسودان في ١٨ يونيو سنة ١٨٥٤م أي بعدد وفاة ابن أخيه عباس الأول مباشرة • وقد اعترف به السلطان العثماني وسافسعيد الى الاستانة لتقديم فروض الطاعة وعاد في نفس العام إلى مصر • وقد كانست ثقافة سعيد باشا أوربية وذلك لتعلمه في أوربا واجادته اللغة الفرنسية والأنجليزية وقد أثرت فيه هذه الثقافة وجعلته أكثر قرباً من الأوربهين (٢) •

بعد توليه الحكم شغل سعيد نفسه فى البداية بمشكلات مصر الداخلية فاهتم بالتنظيم الادارى فى مصر فأنشأ المجلس الخصوص وجعل من إختصاصه مناقش الوائح الأوامر ذات الصفة العامة وذلك قبل عرضها على الوائل ، وكذلك مناقشة اللوائح الادارية ، ريادة على ذلك فانه أنشأ ثلاثة دواوين هى ديوان الداخلي الادارية والحربية ، اضافة الى ذلك فأنه أصدر قانون ملكية الأراضى الزراعية سنة ١٨٥٤م الذى بمقتضاه خول للفلاحين الحق فى ملكية الأراضي والانتفاع بها وحصق

⁽۱) سعید باشا ابن محمد علی ولد سنة ۱۸۲۲م بالقاهرة ۱۰ اهتم به والسده اهتماماً شدیداً وثقفه ثقافة عالیة حیث بعثه الی أوربا لتلقی العلی بعدها اختار له السلك البحری حیث تدرب فی البحریة و اُصبح قمند انا لاُحدی بوارج الاُسطول المصری ولی السلطة فی ۱۸ یونیو سنة ۱۸۵۶م ۱۰ انظلی الرافعی عصر اسماعیل د ۲ مرجع سابق ص ۲۹۰

⁽٢) انظر د السيد يوسف نصر : الوجود المصرى في أفريقيا ، مرجع سابق ص ١٣١٠

⁽٣) المرجع السابق ص١٣٢٠

التوريث والتأجير والرهن والبيع •

وكذلك اهتم سعيد باشا بالسود ان اهتمامًا عظيمًا و أبدى نحو أهله عنايتــه وعطفه وكان يحب الشعب السود انى ولذلك اتخذ حرسه الخاص من السود انييـــن ، كما أنّه عمل على ترقية الجنود السود انيين فى الجيش إلى مراتب الضباط (١).

اعتبر سعيد أنَّ مصر والسودان بلداً واحداً فألغى الجمارك التى كانسست قائمة بين مصر والسودان كما أصدر أُمرًاصيحاًبابطال تجارة الرق التى كسسان الأوربيون قد أقاموا لها الشركات والمؤ سسات وقد أُرسل إلى حكمدار السسودان خطابا فيهذا الشأن(٢) .

وقد سبق أنذكرت أنّه عندما توفى عباس كانالحكمدار علىالسودان هو على باشا سرى الذى أشتهر بالرشوة والاختلاس وكان يجاهر بهما مما أسقط هيبت عند الموظفين والمواطنين علىالسواء حتى أنّ أعضاء مجلس الأحكام فى الخرط وم عديضة مسهبة أبانوافيها جوانب فساده ومخالفاته ولكنّه حاول أن يكسب ود الوالى الحديد فأرسل إليه الفا وستمائة وخمس وعشرين قطعة ذهبية من خرينة السودان ولكن هذه لم تؤثر فى نفسية سعيد الذى أصدر أو امره بعزله ، بل طلب من الحكمدار الجديد التحقيق فيما نسب الى الحكمدار السابق من فساده فأسف التحقيق عن إدانة على باشا سرى وتضمن كشفا طويلاً بأسماء الذين أقروا بدفع الرشوة لم وتعرض أثناء التحقيق للتعذيب والاهانة حتى أنّه قدم عريضة إلى سعيد باشسا يشكو فيها ممّا يلاقيه من إهانة وتعذيب فكان رد سعيد أن ترسل التحقيق الى ممر (٣)

⁽١) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون ص ١٥١٠

⁽٢) المرجع السابق ص١٥٢٠

⁽٣) نفس المرجع السسابق ص١٥٣٠

عين سعيد أخاه الأمير عبدالحليم (١) باشا حكمدارًا علىالسودان وذلك لشدة اهتمامه بحل مشكلات هذه البلاد وقد جاء في فرمان التعيين الذيوجه سعيد باشا إلى أهل السودان مايلي: " تحيطونعلماً وتدركون معرفة وفهما أنه لما كان من أقصى آمالنا إدخال جميعكم في سلك العمار والرفاهية وقلد كثرت إلى الحكمدارية السلف أو امرنا العديدة وأستمرت إليهم التنبيهات الأكيدة باقامة شعائر العدلونشر الوية اليمن والإيمانوهم عجزوا عن القيام بالوفي وهكذا كان من اللازم أن أجرى ذلك بتعيين من نثق به بالاهتمام باجرى (هكذا) هدفه الأمور وبذل كمال الاعتنى (هكذا) ١٠ وقتضت ارادتنا بذل كمال المنة إليك بان عينًا جليل المقام كبير الكبراء الفخام ذو المجد العزيز عبد الحلي باشا حكمداراً عليكم "(٢) .

وفى أول مدته ذهب الأمير عبدالحليم إلى الخرطوم وبقى فيها فترة وجيسرة ذهب بعدها الى النيل الأبيض ولكن انتشر فى هذه الفترة مرض خبيث أطلقت عليه المصادر الهواء الأصفر ولعله مرض الكوليرا وقد مات به من أهل السود ان عدد كبير منهم الشيخ عبد القادر الزين شيخ مشايخ الخرطوم وسنّار وقدكان رجلاً فاضلاً سديد الرأى وقد حضردفنه الحاكم العام ووكيله وجميع وجهاء البلاد وعيان ابنه الزبير مكانه فخدم فى الخرطوم مدة ثم سافر إلى مصر حيث عين معاوناً فى نظارة الداخلية و كما توفى بنفس المرض الشيخ ياسين شيخ مشايخ كردفان وعدد مسسن العلماء والأعيان ولمن اشتد المرض نصح الاطباء الأمير عبد الحليم بترك الخرطوم والسفر إلى القاهرة و فسافر إليها ولم يعد لمقر حكمد اريته ثانية (٣) و

⁽١) الامير عبد الحليم هو نجل محمد على وشقيق سعيد الاصغر ٠

⁽٢) انظرمكي شبيكه : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص ١٥٣٠

⁽٣) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ص٢٢٦٠

وفىجماد الثانى سنة ١٣٧١ ه الموافق فبراير سنة ١٨٥٥م وصل الخرطـــوم على باشا شركس حكمدارًا علىالسودان خلفاً للأمير عبدالحليم ٠

وفى عهده وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا إلى السودان لتفقد وفى عهده وبعد زوال الوباء ذهب سعيد باشا إلى السودان لتفقد الأء أحواله فوصل الخرطوم فى ١٦ يناير سنة ١٨٥٧م فساءه حاله جداً وفكر فى اخطار البلاد لمّا رأى الظلم الذى لحق بالرعية ولكن أعيان البلاد ومشايخها توسلوا الما إذا أخليت البلاد عمت الفوض وقالوا له إذا أخليت البلاد عمت الفوض وعدل عن رايه (١) .

وكان سعيد باشا قد اصطحب معه في هذه الرحلة فرقة سودانية وجهرت له نحو الفوخمسمائة جمل لنقله وحاشيته وجنده عبر الصحراء وقد وضح الفررض من رحلته هذه في منشور أصدره إلى ناظر الجهادية جاء فيه " إن عدم دخول بلاد السودان التي هي أجزاء من ممتلكاتنا تحت الاتقان والنظام حتىالان ، مصح أن مقصدنا ومطلوبنا تقدمها وعمرانها لأمر موجب للأسف جداً والحق يقول وليس بقاؤها على ماهي عليه الآن من الأمور التي يجوز تحملها وبما أنني صمحت العزيمة منذ مدة على أن أرى تلكالبلاد وأتبين أحوالها وأوضاعها وأقف عليما مايجول فيها أولاً بقصدالسياحة وثانياً تحت حاجة النزهة فعزمت على أن أذهب إليها بذاتي لكي نفع لها فيما بعد النظم التي تكفل عمران تلك البلاد والحوالي وتكون بها الرفاهية للرعايا والاهالي "(٢) .

وما إن وصل سعيد باشا إلى بربر في طريقه إلى الخرطوم حتى انهالت عليه العرائق من كثير من السكان يتظلمون فيها من حكامهم ومشايخهم وأقاربه فراعته تلك الحالة ورأى بعينيه حالة البؤس التي كانت بادية على الأهلي فراعته

انظر ۱) نعوم شقير ص ۲۲۸ ومحمد صبرى: الا مبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ١٦٠

⁽٢) مكى شبيكه : السودان عبر القرون • مرجع سابق ص ١٥٤٠

واستنتج أنَّ هذه الحالة التى تردت فيها البلاد بسبب ظلم الحكَّام وتخمرت فيها ذهنه فكرة اللامركزية • وتنظيف البلاد من الجيش الجرار من الحكَّام والعساكــر ورأى أن يناط جمع الضرائب بالأهلين انفسهم وأنتؤ لف مجالس وجمعيات دوريـــة منهم تنظر فى الشئون العامة مع المديرين (١) •

بدأ سعيد بتنفيذ هذه الأفكار وهو في طريقه من بربر إلى الخرط وحوم، حيث أصدر أمراً بالغاء الحكمدارية وارسال سجلاتها إلى القاهرة وصار كل اقليم يتبع مباشرة لحكومة القاهرة وصارت مصر والسودان وحدة ادارية واحدة وأنقسم السودان الى أربع مديريات هي مديرية التاكة ، مديرية كردفان ، مديرية دنقلم مع ضم بربر إليها وشملت المديرية الرابعة اتحاد مديريات سنّار والخرط ومأمورية النيل الأبيض (۲) .

اضافة إلى هذه الاجراءات قام سعيد باشا بتخفيض ضريبة الاطيبان الرراعيسة وضريبة السواقى ومنع الجند من جمع الضرائب واناطة ذلك بمشايخ القرى بعسد الحماد لاقبله وقد أمر سعيد بعقد مجلس فى الخرطوم للنظر فى راحة الأهالى مسن بدو وحضر ويتألف من جميع المديرين فى المديريات وأعيان البلاد ومشايخه اضافة الى أنة الفى الضرائب المتأخرة وسن القوانين لجمع الضرائب وأمر باعطاء سركى "لكل مزارع بيده ليدفع ماعليه من الضرائب على أقساط فى السنة وكلمسا دفع قسطاً قيد ذلك فى السركى الذى بيده كما قيد فى يومية الصراف وجعل مسسن الأهالى مديرين ومأمورين ونظار أقسام ومعاونين بمرتبات شهرية من الحكومسة وأمرهم بلبس الملابس العثمانية مثل الحكام الاتراك (٣) .

⁽۱) انظر الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادىالنيـــل ، مرجع سابق ص١٤٦ • ومحمد أحمدالجابرى : فى شأن الله أو تاريـــخ السودان كما يرويه أهله • الناشر : دار الفكر العربى ، بدون تاريــخ ص٢٤٠

⁽٢) انظر د٠ ابراهيم شحاته حسن : مصر والسودان ٠ مرجع سابق ص ١١٠ ٠

⁽٣) محمد أحمد الجابرى : في شأن الله • المرجع السابق ص ٢٤-٢٠٠

وقد حاول سعيداًن يثبت سياسته في صورة لائحة تأسيسية يرسى بهروم جهاز الادارة في السودان على أسسسليمة فأصدر مرسومه الأول في الخرطوم في ٢٦ يناير سنة ١٨٦٧م وقد وجهه إلى مديري المديريات (١) ٠

تحدث سعيد في بداية هذا المنشور عن المعاناة التي يعانيها الأهاليي بسبب الظلم والفنك الذين يتحملهما الشعب كما تحدث عن زيارته لبربر ومافعال فيها من إجراءات فرائبية طالباً من المديرين أن يحذوا حذوه ليحققوا العلم ويزيلوا الظلم واقترح تكوين مجلس في الخرطوم • كذلك أمر سعيد بتسريح الكشاف الذين كانوا يحكمون الأقاليم • كما حث في مرسومه المديرين بأن يشجعوا المواطنين على الاستقرار والزراعة •

أماً فيما على المناواحي القضائية فقد طلب أن تقسم هذه السلطة بيلسن المشايخ والمديرين كما اقترح عليهم تنظيم الارض وتوزيعها ٠

وتحدث المرسوم كذلك عن الضرائب وكيفية جمعها من البدو الرَّحل وسكان الجبال كما طلب من الحكّام الاهتمام بسكان الجبال و العمل على ترقيتهم و السيسب بهم نحو التمدن و الاستقرار ، كذلك أمر في مرسومه بألا يترك إنسان في السجسن مدة طويلة دون محاكمة ، وفي نهاية المرسوم حاول سعيد أن يفع وسيلة تمكنسه من متابعة مايدور في السودان فاقترح تنظيما للبريد ومحطاته ، كما طلب مسسن المديرين اخباره سريعًا إذا تعرضت مديرياتهم لأية إعتداءات و أخبرهم عسسن استعداده للحضور إلى السودان متى مايحتاجون إليه ، كما أكد لهم أنهم لن يفلتوا من عقابه إذا أصاب الأهالي مكرون من قبلهم أو من قبل المشايخ،

أمًّا المرسوم الثاني من المراسيم الأربعة التي جعلها سعيد أساساً لحكمـــه فقد كتبه من القاهرة يؤكد فيه على سياسته الضرائبية وذلك خوفاً منه علـــــى

⁽١) انظر نص هذا المرأسوم في ملاحق هذا البحث ٠

المواطنين حيث اعتقد أن المرسوم السابق غير مفسر بصورة واضحة ولم الكان معظم المواطنين حيث اعتقد فشى سعيد أن يعتقدوا أن المتاخر اطلسابقة لازالت عليهم وأنهم مدينون بها إلى الحكومة ولذلك أراد أن يطمئنهم وبعث بهذا المرسموم الذى هو عبارة عن مذكرة تفسيرية لما سبق أن أعلنه في موضوع الضرائب (١) و

أما المرسوم الثالث فقد تناول فيه الأراض ومساحاتها وكيفية قياسهـــا ووجه المديرين للحمل بماجاء من نظام منعاً للتظالم (٢) .

وسنتناول هذه المراسيم الثلاث عند الحديث عن النظام الاقتصادى والماليي في هذه الفترة بشيء من التفصيل والدراسة •

وفى المرسوم الرابع تحدث سعيد عن توزيع العساكر والضباط بين مديريسات السودان المختلفة •

اثناء وجود سعيد باشا بالسودان أُرسل خطاباً إلى ملك الحبشة يعرف فيه بطبيعة هذه الزيارة حتى لاتفهم على أنها نوع من الاستعداد لحرب الأحب وقد جاء هذا الخطاب " تعلقت ارادتنا بالمرور على من كان تحتاً نظارنا مسسن الأقاليم السودانية الملحقة بجهاتنا المصرية فوصل الآن ركبنا إليها وحل موكبنا لديها بقصد النظر فيما عليه أهلها من الأحوال والتثبت بأسباب ابلاغهم في كيفية معاشهم لدرجة الرفاهية واكمال هذا غاية قصدنا ، لاقصد لنا سواه ، و إنّ لكل أمرىء مانوى ، وحيث كان بيننا وبين حضرتكم من حسن الجوار وقرب الدار ، وصلة المصالح التجارية التي هي أقوى صلة بين أعضاء العائلة البشرية ، فقد ر أينا مسن الاقتضاء أن نوجه لحضرتكم هذا الخطاب لتعلم به حقيقة ماقصدناه لقربنا مسن هذه الجهة من حسن النعاشرة لحق المجاورة "(٣) ،

⁽١) انظر نصهذا المرسوم في ملاحق هذا البحث ٠

⁽٢) انظر محمد فؤاد شكري : الحكم المصرى • مرجع سابق ص٥٦٠٠

⁽٣) دفتر رقم ١٨٨٦ او اخر عربى وثيقة ١٣ ص ١٠ في جمادي الاولى ١٢٧٣ ه نقسلاً عنالوجود المصرى في أفريقيا ص ١٣٥٠

ومن خلال هذا الخطاب نلاحظ الروح الودية التى سادت العلاقات بين مصـــر والحبشة والتى انتهت بتبادل الهدايا حيث رد سعيد بهدية كانت عبارة عــــن مدفعين من النحاس ومائة بندقية ومائة وست وعشرين نراعاً من القماش الحريـــر ومائة وعشرة دراعاً من القطيفة اضافة إلى خمس خيام مبطنة بالحرير ومـــرودة، بالأعمدة (۲) ،

كذلك حرص سعيد على اقامة علاقات طيبة بسلطنة دارفور والتى لم تضحت حتى ذلك الوقت إلى الحكم المصرى و وكان سعيد باشا حريصاً كل الحرص على حسسان الجوار مع هذه السلطنة حتى لاتدخل معه في حرب تصرفه عن خدمة البلاف وترقية أهلها كما أنه كان حريصاً على استمر ار العلاقات التجارية بين دارفور ومص ولذلك انتهز سعيد فرصة وجوده في السود ان وأرسل خطاباً إلى سلطان الفور طمأنه فيلك

⁽۱) محفظة ۱۹ وثيقة ۱۷ في ۲۰ ربيع اول سنة ۱۲۷۶ هـ الموافق ۱۸۵۷م نقلاً عــن المرجع السابق ص ۱۳۲۰

⁽٢) انظر د السيد يوسف نص : الوجود المصرى في أفريقيا ، مرجع سابق ص ١٣٦٠

بأنة لايقصد القيام بأى عمل عسكرى ضده وقد جاء فى هذا الخطاب " بالرغمم سن توفر قواتنا البرية والبحرية إلا أننا لانفكر فى القيام بأى عمل يتناف مع الانسانية "(1) ويعلق آحد الباحثين على الكتاب بقوله: " واضح من هده العبارة أنّ سعيد كان يريد أن يفهم سلطان الفور بان مصر تتعامل معه من مركز القوة وليس من مركز الفعف حتى لا تسوّل له نفسه التفكير فى القيام بأى عمسل عسكرى ضد السيادة المصرية فى السود ان ورغب سعيد أن يفهمه أيضًا أنه رغم هذه القوة إلا أن مصر لاتفكر فى شن العدوان بقدر ماتفكر فى نشر السلام والأمسن فى ربوع هذه البلاد حتى ينعم أهلها بالسعادة والرفاهية والرفاء ولكى يدعم شملت فى خمسة سيوف ، كان واحداً منها مذهباً ومرصعاً بالجواهر وكان الباقسى مرصعاً بالفضة وخيمة مبطنة من الداخل بقماش مقصب وعربة ركوب بأرب

عاد سعيد باشا إلى مصر في ١٠ديسمبر سنة ١٨٥٧م وقد رأى في سفرته هـذه ضورة تقريب السود ان من مصر وتسهيل مشقة السفر إليه ، فعند عودته إلى مصر كلف المسيو مونجل المهندس الفرنساوي فرسم له خريطة سكة حديد بين حلف والخرطوم ولكن مالية مصر آنذاك لم تسمح باخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود وكان قد صحب سعيد باشا في هذه الرحلة الدكتور أباته باشا فكتب عنها كتاباً نفيساً باللغة الفرنسية (٣) كما صحب معه كذلك في هذه الرحلة إلى السودان أراكيل بك الأرمني الملقب بالفرنساوي ، ولمّا ألغي سعيد الحكمدارية وأعاد تنظيم المديريات عين أراكيل بك مديراً على الخرطوم وذلك في سنة ١٨٥٧م ، وقد امتاز بحسن السياسة ولين العريكة ولكن المواطنين والمشايح أنكروا على سعيد تعيينه

⁽۱) د ۱۰ السيد يوسف نصر ۱۰ الوجود المصرى في افريقيا ٠ مرجع سابق ص ١٣٦٠٠

⁽٢) نفسالمرجع ص١٣٧٠

⁽٣) انظر: نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٢٨٠

حاكماً نصرانياً عليهم فابوا مقابلة أراكيل واستعدوا للثورة عليه ولكنه تصرف تصرفاً يدل على حسن سياسته حيث ذهب إلى الثوار بمفرده وخاطبهم بقول "إن كنت أنا السبب في عصيانكم فها أنا الآن بينكم فافعلوا بي ماتشا ون على أنتعودوا إلى الولاء إذ يعز على ان تخرجوا عن طاعة ولى أمركم بسببي " فعجب زعماء الثورة من جراته وحسن اسلوبه وطابت نفوسهم ورجعوا عما عزموا علي وصحبوه إلى الخرطوم وقد كتب أراكيل خبر هذه الحاهثة الى سعيد باشفي مصر فبعث في طلب رعماء الثورة فأرسل له الشيح أحمد أبوسن والفقيه ابراهيم عبد الرافع صاحب كتاب سنار فسجنهما بالاسكندرية مدة ثم أفرج عنهما وأر جعهما إلى السودان بعد أن حلفا له يمين الطاعة وبقي أراكيل مديراً على الخرط ومن الى النورة في الموافق سبتمبر سنة ١٨٥٢م (١) والله الله الموافق سبتمبر سنة ١٨٥٥م (١) والكيل مديراً على الخرط والله الله الموافق سبتمبر سنة ١٨٥٠م (١) والكيل مديراً على الخرط والله الله الموافق سبتمبر سنة ١٨٥٠م (١) والكيل مديراً الموافق سبتمبر سنة ١٨٥٠م (١) والموافق سبتمبر سبة ١٨٥٠م (١) والموافق سبتمبر سبة ١٨٥٠م (١) والموافق سبتمبر سبع والموافق الموافق سبتمبر سبع الموافق الم

ويعلق أحد الباحثين على هذا الموضوع فيقول: " إن اعتراض السودانيين على تعيين أراكيل بكالأرمنى ليس بالحدث الذى يمكن تجاهله ، بل يجب أن يوخصن بعينالاعتبار إذ يدل على أن السودانيينيتمسكون بدينهم ولايقبلون أن يولصعين عليهم غير مسلم "(٢) .

وفى اعتقادى أنتعيينهذا المدير خطأ كبير وقع فيه سعيد باشا إذ أنه لــن يعدم رجلاً من المسلمين في علم وكفاءة هذا النصراني الأرمني ٠

خلف أراكيل فى ادارة الخرطوم حسن بك سلامه الشركسى الذى عين فى رجـــب
سنة ١٢٥٧ ه الموافق ١٨٥٩م ولم تطلمدته فيها وقد وصف بأنه كان فظ الأخـــلاق
سى الادارة قليل الخبرة فى سياسة البلاد ، والا أنهكان متديناً كثير الصلــوات،

⁽۱) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان • مرجع سابق ص ٢٢٩ •

⁽٢) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث • مرجع سابق ص ٧٦ •

فىمحرم سنة ١٢٧٨ ه الموافق ١٨٦٢م عزل سعيد باشاحسن بك سلامة وعيــــن بدلاً منه محمد بك راسخ الذى كان مديرًا على التاكة ،فحض والى الخرطوم فى شهـر صفر وذكر أنهكان يحب الطرب والغناء ٠

فى أو اخر أيامه ألغى سعيد نظام اللامركزية الذى لم يحقق الأهــــداف المقصودة وأرسل سعيد قبل موته بشهور موسى حمدى باشا من أجل اعادة الحكمد ارية فى السود ان (۲) •

وقد فشلت هذه السياسة التى عول عليهاسعيد كثيراً ووقع لها التنظيمات ولكنالعبرة ليست بطبيعة الحال فى الهيكل الادارى وإنما فى التنفيذ واستعدد الأعضاء لأن يتصرفوا التصرف المناسب وبطبيعة الحال كانت هذه تجربة حديثــة لابد وأن تكون أخطاؤها أكثر من صوابها بسبب قلة الخبرة لدى القائمين عليها ولهذا فقد أخفقت فى تأدية الغرض الذى طبقت من اجله (٣) .

ويعلل أحد الباحثين هذا الفشل بكثرة التعيينات حتى صار من الصعب تتبع أو امر التعيين أو الاستدعاء كما يقول ولنا أن نتصور مايمكن أنينتج في ظلل هذه العياسة من خلل في الادارة وانحرافات مختلفة ويضاف إلى هذا أن والى مصرلم يعد يقوم بمراقبة كل وجه من وجوه عمل موظفيه وخاصة سعيد الذي كليميل إلى توريع سلطاته وعدم تركيزها وصار الحكمد اريون تقوم بتعيينهم مجالس خاصة تقدم قائمة قصيرة بأسماء المرشحين إلى الوالى الذي يختار منهم

⁽۱) انظرنعوم شقير: تاريخ السودان ، مرجع سابق ص ٢٢٩٠٠

⁽۲) انظر : د ابراهیم شحاته حسن : مصر والسودان ، مرجع سابق ص ۱۱۰

⁽٣) انظر : ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث • مرجع سابق ص ٧٥٠

واحدا لمنصب الحكمدارية • ولم يعد تعيين حكام الاقاليم يتم مباشرة عن طريق الوالى إنما بواسطة مجلس منكبار الضباط فىالخرطوم (١) .

هذا وقد وصل موسى باشا حمدى إلى البلاد فى صفر سنة ١٢٧٩ ه الموافــــق أغسطس ١٨٦٢م كحكمد ار للسود ان بينما بقى محمد بك راسخ مديرًا على الخرطـــوم وقد قامموسى حمدى بعدد من الاصلاحات وفى ٢٦ من رجب سنة ١٢٧٩ ه الموافــــق ١٢٧ يناير سنة ١٨٦٣م توفى سعيد باشا إلى رحمة مولاه وتولى حكم مصر والسودان بعده اسماعيل باشا ثانى أنجال ابراهيم باشا بن محمدعلى (٢)

...

⁽۱) انظر داابراهیم شحاته حسن : مصر والسودان ، مرجع سابق ص ۱۰۹۰

⁽٢) انظر : نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٣٦٠

الفصل الآليث المتعام الإداري في المسودات

في الفترة من ١٨٦٣ – ١٨٨٥م

الادارة في عهد اسماعيـــل :(١)

تولى اسماعيل حكم مصر وملحقاتها في ١٧ يناير سنة ١٨٦٣م اثروفاة عمه سعيد ولما كان معجبًا بأوربا فقد قرر أن يجعل من مصر قطعة منها، فعاش كما يعيش ملوكو أباطرة أوربا في ذلك الوقت ونتيجة لهذا السلوك فقصد أغرف البلاد في الديون ، الأمر الذي أدى المحتد الدول الدائنة في شؤون مصرالداخلية وبلغ بهم الأمر في النهاية إلى عزله وتولية ابنه بدلا عنه مع أنه كان قد تعهد لشعب مصر بالمحافظة على الأموال العامة وذلك في أول خطاب له بعد توليه الحكم حين قال: "إن أساس الادارة هو النظام والاقتصاد في المالية وسأبذل كل جهدى في اتباع قواعد النظام والاقتصاد وقد عرمت أن أرتب لنفسي

⁽۱) هو اسماعيل بنابر اهيم بن محمد على باشا وهو ثانى أنجال ابراهي باشا ولد فى ۳ ديسمبر ۱۸۳۰م فى قصر المسافر خانة بالقاه بنى أبوه بتربيته فتعلم مبادى العلوم و الرياضيات ومن اللغات العربية والتركية و الفارسية ، فى الرابعة عشر من عمره أرسله و الده إلى النمساء التى قضى بها عامين ثم رحلمنها إلى باريس حيث انضم إلى تلامي البعثة المصرية هناك وكان من بينهم الأمير وأحمد رفعت أخوه و الأمي ران عبد الحليم وحسين أبناء محمد على وفى باريس نالحظاً من العلوم الهندسية والرياضية و الطبيعة مع إتقان اللغة الفرنسية ، عاد رالى مصر فولاية و الده ابراهيم وبعد وفاته اختلفاً مع عباس باشا فذهب السائدة حيث عين بمجلس أحكام الدولة العثمانية ومنح رتبة باشاء الأمير احمد رفعت و أثناء حكم سعيد أصبح ولياً للعهد وبوفاة أخيه الاكبار من و الوالى وحصل على لقب خديو بدلاً من و الى من السلطان العثماني فى عينيو سنة ١٨٦٨م ،

انظر الرافعي : عصر اسماعيل ج١ المرجع السابق ص٧٤ ٠

⁽٢) د مكى شبيكة : تاريخ شعوب وادى النيل ، مرجع سابق ص ٥٢٠ ولكن يبدو أنّ اسماعيلنسى هذه الكلمة وتصرف فى أموال البلاد بصورة أدت إلى عزلـــه ومكنت الدول الدائنة منالسيطرة على مصر،

كان ابراهيمباشا يقول: إن عظمة مصر الحقيقية وميدان توسعه وما المعاملة في السودان ، حفظ اسماعيل هذه العبارة وجعلها محور سياسته حيثاهتم اهتماما بالغاً بأمر السودان (١)، خاصة بعد فشل سياسة اللامركزية الادارية التسمى أوجدها عمه سعيد والتي حاول اسماعيل انها المعودة والي نظام الحكمد ارياق وذلك عندما كان وكيلاً لعمه سعيد في أيام مرضه الأخيرة •

وعندما تولى اسماعيل السلطة "كانت الأحوال التى وصلت اليها الادارة المصرية فى السودان تستدعى تغييرًا جذرياً نتيجة للأخطاء المتكررة التمام مارستها منذ أن دخل السودان فى حكم محمد على • وبالرغممن التجارب الكثيرة فى الحقل الادارى التى حدثت فى عهود الولاة السابقين إلا أنّ السودان ليستطع أن يتمتع مطلقاً بالحكم الانسانى الذى يتفق ورغبات السكان وطبيعتها لذلك كانت من أهم الظواهر التى حدثت فى أيام اسماعيل التغيير المستمر فلوع الادارة والاداريين ممما كان بمثابة ثورة بعد ثورة فى مدى فترة حكمه •

وقد كان لذلك التغيير آثارًا بعيدة على السود انيين إذ كان عليه والم أن يتمشوا مع التطورات المختلفة السريعة ولم يكن ذلك الأمر بالأمر اليسيور عليهم (٢) .

ظهرت بوادر سياسة اسماعيل الجديدة بادخال العنصر الوطنى فى الادارة والحكم فى مصر والسودان فى السنة الأولى من حكمه وكما بدأ بتعيين المصريين الأصليين مديرين للأقاليم ، وافق فى السودان على تعيين الشيخ أحمد أبوسن كبيل مشايخ قبيلة الشكرية مديراً على الخرطوم وسنّار وهى منطقة من أوسع وأهم المناطق فللملا السودان وكان أحمد بك خير مثل ، فبقاؤه فى وظيفته لمدى عشر سنوات وعلى مدرم

⁽۱) انظر زاهر رياض : السودان المعاصر ، مرجع سابق ص١١٠

⁽٢) فرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، ص ٨١-٨٠٠

تعرض منطقته للاضطرابات برهنت على كفاءة العنصر السودانى ومقدرته الاداريــة ونزاهته كذلك ^(۱) •

حکمداریة موسی حمدی باشا (۲):

عندما جاء اسماعيل إلى الحكم كان الحكمد ار في السود ان هو موسى باشا حمدى سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٥م وقد كان ذو خبرة طويلة بشئون البلاد، وكان يريد و فصحح حد لشكاية السكان من فداحة الفرائب وعلى الأخص الطريقة المتعسفة التي تجبيا، فأصدر قرارات تحدّد مقد ار كل ضريبة في سجلات الحكومة وسلم دافع الفرائب دفاتر يقيد فيها الموظف المختص كل مبلغ يدفع من أصل المبلغ الموزع على ثلاثة أقساط في العام، وعين من السكان رؤساء ووكلاء مراكز (٣).

هذا وقد أعجب الخديو من ادارةموسى حمدى للسودان فبعث اليه بخطـــاب فىالثانى من ذىالقعدة سنة ١٢٧٩ه الموافق أبريل سنة ١٨٦٣م جاء فيه :

" ارادة الىموسى باشا حكمدار السودان • كما هو معلوم لدى الجميـــع أنالبلاد السودانية هى أقطار جسيمة صار الاستيلاء عليها بصرف مساع عظيمة وتكاليف باهظة باقتحام مشاق ومعوبات لاتعد ولاتحصى وأنالواجب يقتضى بأنتكون مربوطـــة

⁽۱) انظر مكى شبيكة: السودان عبر القرون، مرجع سابق ص ١٥٩٠

⁽٢) جركسى من مماليك أحمد باشا أبوودان الذى كان قد عينه فى هيئة اركان حربه ومن ثمقائداً لحامية الخرطوم • جاء فى معية سعيد باشا ثانية الى السودان وكان إذ لا اك يشغل منصب مدير جرجا • مالبث أن صار على رأس قوات كردفان فمديراً للخرطوم • كان ابنه الاكبر الدكتور ابراهيم باشا هو الطبيب الخاص للخديو اسماعيل وقد تزوج احدى بناته ورافقه فى منفاه • انظر عبدالرحمان زكى حكمدارو السودان : المجلة المصرية المجلد الأول ١٩٤٨م ص ١٩٤٥-٢٤٣٠

⁽٣) انظر دوزاهر رياض: السودان المعاصر و مرجع سابق ص١١٠

وملحقة بالمملكة المصرية وحيثانة لاغنى عن الايضاح أن مواقع هذه البــــلاد صالحة لقبول أسباب العمران وأن سكانها مستعدة لتعلم الحرف والصنايــــع والأُخذ بأسباب التمدين والحضارة ، بناءً عليه قد أُصبح إعمار وإصلاح ذلـــك الاقليم الواسع والمحافظة على حقوقه وحدوده أمر مرغوب وملتزم لدينا ، وحيث أنه مامول منكم حسناد ارق تلك الجوالى من كل الوجوه بمناسبة اقامتك وسكنكممدة فيها ووقوفكم على ُصيال (هكذا)وطباع سكانها فضلا عن كفا ّتكـــم الذاتية وأنكم في يوم انتخابكم وتعيينكم حكمداراً جاءت أكثر أفعالك واجراءاتكم محمودة وحسنة ، وبما أن رضاء الأهالي عنكم وسرورهم بكم حســـــ ماوصل إلى سمعنا قد أُوجب سرورنا وارتياحنا ، فمكافاة على أعمالكم الحسنسة والمرضية وغيرتكم الواقعة قد استحصلنا هذه المرة على ارادة شاهانية بتوجيه رتبة (روم ايلى بكلير بكى) (٢) الرفيعة وقطعة من النيشان المجيدى من الدرجة الثانية إلى عهدتكم وأرسلنا اليكم الفرمان والبراءات الخاصـــة بالرتبة والنيشان المذكورين ، فمأمولي منكم من الآن فصاعداً أن تجتهــدوا في اصلاح واعمار الأقطار الفسيحة المذكورة وحيث أن وجود الرعايا الأجانب فـــي هذه البقعة من جهة ، ودقة أحوال الممالك المجاورة لها من جهة أخرى قد أكسبها أهمية وخطورةعظيمة ، بناء عليه يجب أن تكونوا على حدر تام من اتيان الأفعال المكروهة في نظر الأجانب (٣) والمخلة بامن الأهالي وأن تسهروا عليي راحتهم ببصيرة كاملة فبادر إلى صرف الدقة والعناية في هذه الشئــــون ، نشکر مساعیکم "(٤) .

⁽۱) يقصد ميول ورغبات ٠

⁽٢) رتبة أمير أمراء الروم •

⁽٣) هذه العبارة تؤكد حرص اسماعيل على سمعته أمام الأوربيين وحرصه على ارضائهم •

⁽٤) محفوظات عابدین دفتر ۲۱ه ترکی جزء ثانی مکاتبة رقم ۱۸ صفحة ۷۰ نقــلاً عن ده محمد فؤاد شکری ـ الحکم المصری فیالسودان ـ مرجع سابق ص۲٤٦-۲٤٧

وقد احتفلت البلاد بهذا الانعام على الحكمدار احتفالاً عظيماً وأقيم والمهرجانات وزينت البلاد وفي ٢٣ من محرم سنة ١٢٨٠ ه الموافق يولي المرام ذهب موسى باشا حمدى إلى مصر فادى الشكر لاسماعيل على انعام وأطلعه على حال البلاد وعاد إلى الخرطوم فبقى فيها إلى أن توفى في ٨ شوال سنة ١٢٨١ ه الموافق مارس ١٨٦٥م وقد سارت البلاد في أيامه على أحسن نظام (١)

بعد وفاة موسى باشا قام عمر فخرى بك بشئون الحكم إلى أن حضر جعفــــر باشا صادق من مصر حكمدارا على السودان ^(۲) .

_ حكمدارية جعفر باشا صادق (٣) :

بعد وفاة موسى باشا حمدى أُصدر الخديوى اسماعيل أُمره بتعيين وعفر باشا صادق حكمداراً على السودان في ١٤ من ذى القعدة سنة ١٢٨١ هالموافق أبريل ١٨٦٥م وقد جاء في هذا الأمر مايلي: " بناءً على انتقال موسى حمدي

⁽۱) انظرنعوم شقیر : تاریخالسودان ۰ مرجع سابق ص۲۳۱۰

⁽٢) المرجع نفسه ص٢٣٧٠

⁽٣) جركسىالاصل كان يعمل جنديًا بالشام وترقى من الصفوف حتى بلغ رتبة اللوائر في فبر ايرسنة ١٨٥٠م عين مديرًا للشرقية ثم القليوبية وفي عام ١٨٥١عين مديرا للدقهلية ثم محافظًا للسويس سنة ١٨٥١م وفي مايو سنة ١٨٥٦م تولى قيادة آليات المدفعية في حرب القرم ثم أعيد محافظًا للسويس وعين أميرًا للحج في عام ١٨٥٦م. خلف موسى حمدى في حكم السودان ولكنه مرض وعاد إلى مصر سنة ١٨٦٦م حيث عين رئيسًا لمجلس استئناف قبلي في أسيوط ثم وكيلاً لمجلس الأحكام وفي ظل في هذا المنصب حتى ١٨٨٤م/٣/١٥م حيث استقال بسبب كبر سنه ١٠ظر عبد الرحمن ركى : حكمدارو السودان و المجلة التاريخيات

باشاحكمداراقاليمالسودان إلى دار البقاء بأجله الموعود اقتضت الحال انتفلل وتعيين حكمدارًا بدلاً منه وحيث أنّ اهمية الموقع المذكور أمر ظاهر وإنّلياقتكم وأهليتكم المشهورة والمسلّمة كفيلة بحسن ادارته فبناءً عليه اقتضت ارادتلل تعيينكم حكمدارًا للأقاليم المذكورة فعندما تحيطون علمًا بذلك يجب أن تتاهبوا للسفر إلى جانب(1) مأموريتكم وأن تبادروا ببذل المساعى والاقدام في حسلت ادارة أمورها كما هو مأمول منكم (٢) "٠

بعد صدور هذا القراش رأى اسماعيل أن يجرى تعديلاً فى الادارة نظلسود الانفمام سواكن ومصوع وملحقاتها للسود ان مرة أخرى (٣) ، ونظرا للتنظيم السنوى تحقيقه ونظراً لاتساع ممتلكاته فى النيل الابيض و التعديل الجديد يقسلم السود ان الى ثلاثة مناطق ، يحكم كل منها حكمد ار منفصل يتعاونون فيما بينهم على المصالح المشتركة (٤).

ويظهر هذا النظام الجديد فى الخطاب الذى بعث به الخديو فى ٢٩ محسرم سنة ١٢٨٦ م الموافق يونيو سنة ١٨٦٥م والى سليمباشا (٥) الجزائرلى حكمسدار جزيرة الخرطوم وملحقاتها وقد جاء فيه " إنّ اقليم السودان قد ظل تحت ادارة حكمدار واحد مع سعته وعظمته ، كما لايخفى على أحد ، و ان جهة البحر (النيل) الأبيض كانت ملحقة بحكمدارية السودان منذ عهد أفندينا جدنا الأمجد (٦) ساكن الجنان وقد كان نصب لهاموظفون ولكن لم يكن قد تمتنظيم ادارتها لكونهامستجسدة ولا التفت أحد الى تنظيمها فى عهد المرحومين عباس باشا وسعيد باشا فظلت منسذ عهديهما مهملة ، وحيث أنّ الجهة المذكورة هى من ملحقات السودان ولايجسور

⁽۱) يقصد إلى مكان عملكم

⁽٢) أمينسامي : تقويم النيلوعص اسماعيل المجلد الثاني الجزُّ الثالث • القاهــرة ، (٢)

⁽٣) بعد وفاة محمدعلى رجعت سواكن ومصوع وملحقاتها رالى أملاك السلطان العثماني٠٠

⁽٤) انظر مكّى شبيكة :السودان عبرالقرون، مرجع سابق ص ١٦١٠

⁽٥) كان حكمدارًا على السودان فيعهد سعيد وسبقت ترجمته ٠

⁽٦) يقصد محمد على باشا ٠

ر تركها على حالها وقدسبق أن عينا لها مديراً وموظفين · وبما أنّ دائـــرة السودان ازدادت سعة وعظمة بمناسبة وضعنا لها نظاماً جديداً لتلك الجهــــة والحاق سواكن ومصوع وملحقاتها الوسيعة إلىحكومتنا فمن الضرورى أنتكثـــر اشغالها وتتسع امورها • ولمَّا كانت آمالنا متجهة إلى تسهيل مصالح عباد اللــه وانجاز الأعمال في آونتها واماطة الصعوبات والموانع عن طريق سيرها ، فقـــد اقتضت ال دتنا تقسيم السودان إلى ثلاثة أقسام يدير كل منها حكمدار علــــــى حدة ، على أن يكون القسم الأول منها عبارة عن التاكة وسواكن ومصوع وملحقاتها الفسيحة وأن ينحص القسم الثاني فيجزيرة الخرطوم كاملة مع جهات البحر الأبيض الواقعة في غربي الجزيرة ، وفي الشرق بالنسبة للبحر الأبيض • وأن يشم لل القسم الثالث كردفانودنقله وبربر مع جهات البحر الأبيض الواقعة في غربيي البحر الأبيض التي تقرر أنينشاً فيهامديريات • وقد حددت مدة ثلاث سنيـــــن لكل من الثلاثة الذينسيتولون الحكمدارية ليمكث في منصبه خلالها وللملا أراد أن يعود إلى مصر بعد انقضائها فيجب أنيعرض علينا أمره قبل حلـــول الميعاد بستة أشهر حتى نتمكن من تولية غيره • ولابأس أن يطيل المدة بعــد أن يتمها، وحيث أنَّه ينبغى تولية حكمد ار لكل من تلك الاقسام ، قدخولناكــم حكمدارية عموم جزيرة الخرطوم وجهات البحر الأبيض السالف ذكرها التي هيم للم ملحقاتها لما عهدنا وشهدنا فيكم الاخلاص والاستقامة والشهامة ، ولايخف عليكم أهمية هذه البقعة القسيحة نظراً لاتساعها وكثرة تردد التجار والسياح وسائر القادمين عليها • فاذاً ينبغي أن تقوموا باصلاح هذا القسم وتنظيم للم متوسلين بحسناد ارتكم وصائب تدبيركم وأن تنصبوا الموظفين والخدّمة الللزم تعيينهم لضبط ادارتها وربطها ، وأنتضعوا كل شيء في موضعه وتبنوه علــــــــــ أساس متين واأن ترفقوا بالواردين والمترددين والسياح وتعاملوهم بلطف وتهتموا بعمران البلاد وترفيه العباد وتحكموا بينهم بالعدل والانصاف طبق القانصون والأصول كما هو واجب علينا أجمعين وتصرفوا في ذلك كل المجهود وفي ايصلا البريد في أُوقاته المعينة وتعتنوا بتسهيل الطرق وتوطيد الأمن فيها الى آخـر

حدود حكمد اريتكم وأنتنشئوا محطات في المواضع التي يوجد فيها الماء ، وأن تسيروا أبناء السبيل والمسافرين الذين يفدون من هذه الجهات على هيئ ___ة القوافل وتأذنوا لهم في المرور في كل شهر مرة أو مرتين وتأخذواعلى مشايسخ القبائل والعربان عهداً قوياً علىمرور أموال التجار أو المترددين بالأمن والسهولة ولاريب أن حكمد اريتكم تحتاج إلى طائفة من الجنود الموجوديـــن بالسودان • فأذا وصلتم الىمقر وظيفتكم وأقمتم به شهرًا لتتمكنوا مـــن تنظيم الحكمدارية فخابروا الحكمدارين الآخرينواجتمعوا بهما وبامــــ اللواء الموجودين في السودان وشاوروهم في تخصيص العدد اللازم من العساكــــر لكل من الحكمداريات وأُفرزوا العساكر والضباط المخصصين بحكمداريتكـــ على حسب القرار المتخذ في ذلك الاجتماع ، وأُقيمو في المراكز والمواضـــع اللازمة ، ونظرًّا لتأسيس هذه الحكمد اريات جديدًا فيجب أن يهتم ويعتنى بحســـن ادارتها وتسوية أمورها على الوجه الأتم كما أنه لوحدث اعتداء منالخارج والعياذ باللهومست الحاجة إلى احضار قوة عسكرية من كل من الحكمد اريتين الأُخريين ، عدا القوة العسكرية المقيمة في حكمد اريتكم فيجب أن تخابروهما تستعينوهما وعليكم أن يساعد بعضكم بعضاً بدون اضاعة وقت وأوصوا المديرين الذين بالحدود ، يتوادوا ويعامل بعضهم بعضًا بالحسنى ولايختلفوا • ولايأبى احد منهـــم يساعد الأَخْرين عندالحاجة ويسهَّل أمورهم ولاينبغى له أُن يقول إنى خاضع لحكمدار آخر فلا أُستطيع أن أُقوم بهذا الأُمر إلا أن يأمرني الحكمدار الذي أتبعه ، وليحـذر ر أن يؤخر المسائل المهمة الضرورية ويعرضها على الأعضاء وليسارع إلى اجـــراء ماهو خير لذات المصلحة ، وحيث أنه لايبعد عن الملاحظة أنكم تظنون بعــــف الظن وتذهبون مذاهب أخرى حينما ترون أن السودان التي كانت تحصيت ادارة حكمد ار واحد قد قُسمت إلى ثلاث حكمد اريات و أنكم وليتم حكمد اراً لأحد أقسامهـــا ارى منالواجب أن اشرح لكم ما أُدجى إليه منالمقاصد والأغراض وهي أن التجوال

فى اقليم متسع كالسودان أو الاطلاع على تفاصيل أموره اطلاعا تاماً والبت في انجازها أمر لا يطيقه رجل واحد ، والدليل على ذلك عدم وصول تلك الأقالي منذ سنين إلى الدرجة المطلوبة من العمران والتمدن وأنى لأرغب كل الرغب في مندين هذه الأقاليم وعمرانها للقابلية والاستعداد المشهورين فيها ولذلك قد لاحظت أنهذه الأمانى الخاصة لاتحصل الا بقسم تلك الديار الى أقسام يمكر أن يدير كل منها رجل واحد ، فأولى حكمداراً ومديراً ذا دراية على كل مافي تلك الاقسام فاذا اطلعتم على الحقيقة بوضوحها من البيانات السالفة فاعلموا أننا أمدرنا هذا كى تصرفوامساعيكم وجهدكم فى تحقيق آمالنا المنتظرحقيقها منكم "(1) .

ولكن يبدواًن سليم باشا الجزايرلىكان غير راغب فى العمل بالسحودان فاعتذر بمرضه فارسل له اسماعيل خطاباً شديد اللهجة يخبره فيه بوصول اعتذاره عن الوظيفة وقرر فيه فصله من الخدمة وأمره بالرحيل خارج البلاد للمعالجحة في أقرب وقت وحذره من التاخير (٢) .

بعد فترةوجيرة عدل اسماعيل النظام الادارى الذى اقترحه لحكم السودان وأعاد نظام الحكمدار الواحد على كل أنحاء السودان بدلاً من الثلاث حكمدارييسن وقد أعاد الحكمدار جعفر باشا صادق حكمداراً على السودان وأرسل له خطبببهذا الخصوص .(٣) كما أصدر اسماعيل فرماناً آخر وجهه إلى المشايخ والحكام والقضاة في السودان يخطرهم فيه بتعيين جعفر باشا صادق حكمداراً عليهم وكسان ذلك بتاريخ ٢٤ محرمسنة ١٢٨٢م الموافق يونيو سنة ١٨٦٥م ٠ وطلب منهم الالترام

⁽۱) عابدین دفتر ۳۷ه ترکی ص۰۵ نقلاًعن الدکتور محمد فؤاد شکری ۱۰ الحکاستم المصری فی السودان ص۱۱۸-۱۰۰۰

⁽٢) انظر د م مكى شبيكة : السودان عبرالقرون مرجع سابق ص ١٦٢٠

⁽٣) انظر د، محمد فؤاد شكرى المرجع السابق نفسه ص ٢٥١ ومابعدها٠

بطاعته كما طلب فيه منالحكمدار الجديد العملعلى راحتهم وسياستهم بالعصدل والانصاف (۱) .

بعد تولى جعفر باشا صادق الحكمدارية اندلعت في كسلا ثورة عظيه استمرت لعدة أشهر وأزهقت فيها أنفس كثيرة وذلك عندما تمرد الجنود والفباط الجهادية من السود انيين وذلك بسبب سوء الادارة وتأخر الحكومة عن دف مرتبات الجند لمدة ستة أشهر وقد كانت بداية هذه الثورة في مارس سنة ١٨٦٥ مرتبات الجند لمدة ستة أشهر وقد كانت بداية هذه الثورة في مارس سنة ١٨٦٥ الخديو تمور الحالة السيئة الترومل إليها الأمن في السودان فأمر الخديو بأن يحضر جعفر باشا مظهر وكيل الحكمدارية من كسلا إلى الخرطوم ويساف المهادية من مصر إلى السودان ويتعاون الاثنان مع الخكمدار جعفر باشا صادق على استقرار الأحوال العامة وتبيا ن عوامل الخلل الذي أصاب الادارة الحكومية ومايرونه من اصلاح .غير أنّ اسماعيل عدل بعض الشيء في أو امصره هذه فأمدر لجعفر باشا صادق بالتخلي عن الحكمدارية وتعيين جعفر باشا مخمر من الحكمدارية وتعيين جعفر باشا مادق بالتخلي عن الحكمدارية وتعيين جعفر باشا مادق الليفو اللي السودان وتفاوض مع الحكمدار الجديد في اصلاح حال الجندية واتباع القوانين العسكرية بالنسبة للجنود السودانيين وبترحيل بعضهم السي ممر هدأت الاحوال في السودان "

⁽١) انظر نصالفرمان في الملاحق في هذا المبحث ٠

⁽٢) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان • مرجع سابق ص ٢٣٧٠

⁽٣) انظر مكى شبيكة : السودان عبرالقرون • مرجع سابق ص١٦٣-١٦٤٠

- حكمدارية جعفر مظهر باشا

جاء في خطاب تعيين جعفر باشا مظهر حكمدارًا على السودان والذي مسدر في شعبان ١٢٨٢ الموافق يناير ١٨٦٦ مايلي: "إنّ المساعي المنتجة والأعمال المشكورة التي وفقتم إلى القيام بها وفقاً لمقاصدنا الخيرية في مأموريتكالتي انتدبتم إليها أخيراً بعنو انوكيل حكمدارية السودان بناءً على ماشوها وعرف فيكم قديماً من المقدرة والجدارة والاخلاص و الاستقامة ، قد لاقت منتال قبولاً وتحبيداً وضاعفت ثقتنا بكم واعتمادنا عليكم أضعافاً ولما كالمناه والمحتال أسباب المدنية والعمران في اقليم السودان المتسع هو من أهم مانفكر به ونأمل تعقيقه منذ القدم ، وكما أنه من المحقق لدينا أنكم تبذلون الجهد في هذا المشروع وتوفقون في انجاره بعون الباري وعنايت قد منحناكم رتبة الفريق الرفيعة وأقمناكم حكمدارًا للأقاليم السودانية فهلموا إلى العمل ليلاونهاراً وتوسلوا بالأسباب المؤدية للاطلامات والتنظيمات اللازمة الممكنة واعتنو اجيدًا في توسيع الزراعة والتجارة اللتين هما الأساس الأعظام المدنية والعمران واكفلوا الأمن ورخاء العيش للأهالي والسكان الذينهم وديعالله وعاملوهم بالعدلو الانصاف وقوهم الفبن والضرر وضاعفوا بذلك سرورنا منكم الله وعاملوهم بالعدلو الانصاف وقوهم الفبن والضرر وضاعفوا بذلك سرورنا منكم

ورضانا عنكم "(1) .

من أهم أعمال جعفر باشا مظهر انشاء المحاكم والمدارس وتحسين ترسانــة الخرطوم وكانت سياسته في مجموعها سياسة اصلاحية (٢) .

ويذكر نعوم شقير أنه عندما قدم جعفر باشا مظهر إلى الخرطوم حدثت مجاعـة واشتد الغلاء حتى هاج الناس فأرسل الحكمد ار بعض التجار بنقود من الخزينــــة إلى الجهات فاتوا بالغلال فرخصت حتى صار ربع الذرة بقرش بعد أن كان بخمســـة قروش (٣) .

وفى أو اخر سنة ١٨٦٦م ذهب جعفر باشا مظهر إلى سنار وفازوغلى وكردفان فاستطلع أحو الها ثم عاد إلى الخرطوم فطلب من مصر رد العساكر السود انيالذين أوفدوا إلى مصر بعد ثورة الجها دية فى كسلا ٠ كما يشير نعوم شقير الى أنه فى هذ فالسنة (١٨٦٦م) تخلت الدولة العثمانية فن سواكن ومصوع الى المحومة المصرية بزيادة ١٦ الف جنيه مصرى على جزيتها السنوية (٤) ٠

- القضاء على تجارة الرقيق في عهد اسماعيل:

وجه اسماعيل جهوداً كبيرة للقضاء على تجارة الرقيق التى أُضحت تمارس بو اسطة شركات تضم أوربيين ومصريين وشوام وميدان نشاطها هو جنوب السودان ، الأمر الذى جعل اسماعيل يشدد في أو امره للحكمدارية بالقضطاء على هذه التجارة ، وفي السنة التي تولى فيها اسماعيل السلطة ألقى القيض على سبعين مركباً مشحونة بالأرقاء وأتى بهم الى الخرطوم ثم أُخض ملك الشلك (٥) مسسن

⁽۱) محمد فواد شكرى الحكم المصرى في السودان و مرجع سابق ص ٢٥٤٠

⁽٢) انظر د٠ زاهر رياض: السودان المعاص ٠ مرجع سابق ص١٩٠

⁽٣) انظر نعوم شقير: تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص٢٤٦٠

⁽٤) نفس المرجعو الصفحة ٠

⁽o) الشلك من قبائل جنوب السودان الغبيلة ويسكنون في محافظة بحر الغزال ، انظر حسن محمد جوهر وحسنين مخلوف: السودان أرضه وتاريخه وحياة شعبه مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٠م ص ٩٠٠٠

ن اشودة وسُلم الرقيق الذي أخذ من بلاده ، وأرجع بالهدايا وزج بالتجار فليسي السجن (۱) .

وفى سنة ١٨٦٥ فى عهد جعفر باشا صادق احتلت العساكر المصري فاشودة احتلاً رسمياً فسدت طريق النيل الأبيض فى وجه تجار الرقيق فى بحر الغزال وخط الاستوا ، وكان التجار الأوربيون قد باعوا شركاتهم إلى وكلائه العرب سنة ١٨٦٠م فوضع جعفر باشا الضرائب عليها ثم احتكرها السيد أحمد العقاد (٢) من الحكومة بخمسة آلاف جنيه فى السنة على أن لايتاجر بالرقيق ومع ذلك ظل رجاله يتاجرون فيه ، وأصبحت بلاد خط الاستوا ، وبحر الغزال تعمها الفوضى فرأت الحكومة أنه لايمكن اصلاح الحال وابطال تجارة الرقيق إلا إذا ضمت بدر الغزال وخط الاستوا ، إلى السنودان فعولت على ذلك وبادرت إلى تنفيد فذه الفكرة ،

⁽۱) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان • مرجع سابق ص ٢٥٠ •

⁽۲) محمد أحمد العقاد أحد تجار أسوان وممن عملوا في تجارة العصلي والرقيق بالنيل الأبيض مع الأوربيين ولما منعت الحكومة التجال الأوربيين من ممارسة هذه التجارة استولى العقاد على شركاتهم وتوفي سنة ۱۸۷۰م و ووفاته انتقلت أعماله الى حقيده أبوالسعود وانظر الدكتور جميل عبيد : المديرية الاستوائية حدار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ۱۹۲۸م ص ۲۲۰

فتح منطقة خط الاستواء وضمها للادارة المصرية :

اختار اسماعيل باشا السير صمويل بيكر (١) مكتشف بحيرة ألبرت ليقوم بغم منطقةخط الاستواء للادارة المصرية وقد جاء اختيار صمويل بيك نظراً لمعرفته بهذه المنطقة وعقد له على جيش قوامه الفوسبعمائة رجووقد تم تعاقد صمويل بيكر مع الحكومة المصرية على أنيفتح منطقةخط الاستواء باسم الحكومة المصرية ويكون حاكماً عليها لمدة أربع سنوات مقابل عشرة آلاف جنيه فى السنة (٢) وقد أعطاه اسماعيلفرمافاً يخوله فيه فتح تلك البلاد وابطال تجارة الرقيق فيها وتأسيس نقاط عسكرية من غندكرو الى البحيرات وادخال السفن فى نيلها وتنشيط تجارتها (٣)

⁽⁾ ولد في الندن سنة ١٨٢١م وعم المسلسل بالتجارة أولاً في بريطانيا ثم رحل لجزيرة موريشيوس حيث كان لأبيه بعض الأملاك وفي سنة ١٨٤٠م ، تزوج ورحل الى سيلان حيث استهوته حياة الصيد والمغامرة وقدم للاستعمار البريطاني العديد من الخدمات و تجول بين آسيا و أوربا وفي سنالم المربط الى أفريقيا مستكشفاً لمنابع النيل حيث زار مصر و السود ان وأثيوبيا وفي رحلته في أعالى النيل الأبيض التقى بالمكتشفي سنيك وجرانت فاطلع على خرائطهما واستفاد من تجاربهما حتى تمكن من اكتشاف بحيرة ألبرت والتي هي احدى البحيرات التي ينبع منهالنيل الأبيض عاد بعد اكتشافه لهذه البحيرة إلى بلده إنجلترا بعد فترة استدعى لمرافقة ولي عهد إنجلترا في زيارته لمصر حيث وقع عقد مع الحكومة المصرية يفتح منطقة خط الاستواء وتوفي في ٣٠ ديسم سنة ١٨٩٣م بانجلترا و

انظر د م جميل عبيد : المديرية الاستواطية ، مرجع سابق ص ٢١-٢٠ انظر نص العقدفي ملاحق البحث ،

 ⁽۲) انظر نصر العقدقى ملاحق البحث ٠
 (۳) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص٢٥١٠٠

نجح بيكر فى الاستيلاء على أراض و اسعة امتدت إلى حدود يوغندا الحاليـــة ولم يتمكن منذلك إلا بعد أن خاض معارك عديدة مع القبائل الساكنة فى تلـــك المناطق ولكى يحصل على غذاء لجنوده أغار على تلك القبائل و استولى علـــي أبقارها بالقوة ، كما ألزمها بأمداده بما يحتاج إليه من لحوم و أغذيـــة وكانت ادارته خالية من التروى و الحكمة وكثيرًا ما كان يستخدم عضلاته فـــي معاملة زعماء القبائل (۱) . ولم يستبشر تجار الرقيق خيراً بقدومه ولذلـــك فانهم كانوا يبتعدون عن مناطق نفوذه مستمرين فى تجارتهم بالرغم من المعطات العسكرية الثلاث التى نجح فى اقامتها فى كل من غندكرو وفيا تبكو وفوير ا(۲).

وقد أرسلالفديو اسماعيل إلى بيكر خطاباً فى فبراير سنة ١٨٧٣م أبدى فيه بعضالملاحظات علىتقرير كان قد بعث به بيكر الىالقاهرة •

فى بداية الخطاب أثنى اسماعيل على نجاح بيكر وشجاعة جنده ودعاه السي معاملة الأهالي معاملة كريسمة وعدهم سلب أموالهم حكما اعترض على فكرة أراد بيكر تطبيقها وهي الاستفادة من قوات تجار الرقيق فيجيشه ولكن اعتسراض اسماعيل كان بسبب خوفه من عدم اطمئنان السكان عندما يرون أنّ العساكر الجسدد هم نفسالعساكر الذين كانوا يمارسون النخاسة حكما تطرق خطاب اسماعيل لموضوع احتكار التجارة في الجنوب (٣) .

⁽۱) كتب المكتشف الايطالى رومولو جيس كتابا أسماه سبع سنوات فى السودان المصرى صوّر فيه الحكم القاسى لصمويل بيكر فى خط الاستواء • انظـــر د • جلال يحي ــ مصر الأفريقية ص ٧٠ •

⁽٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث • مرجع سابق ص ٨٤٠

⁽٣) د محمد فؤاد شبكرك: الحكم المصرى فى السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٥٩ ، ومابعدها ٠

ولكن يبدو أن نجاح صمويل بيكر كان ضئيلًا جداً خاصة اذا ماقيس بالتكاليف الباهظة التى دفعت له نظير مرتبه السنوى الضغم والبواخر التى أعطيت للله لتكون تحت تصرفه دون أن يستطيع الوصول بقواته الى البحيرات الاستوائي قدم صمويل بيكر استقالته وعاد إلى وطنه مخلفاً وراءه استياءاً عاماً ملل المواطنين بسبب سياسته ، الأمر الذى جعل اسماعيل يفكر في رجل آخر يخلصف بيكر في تلك المناطق وذلك حتى لاتذهب الجهود التي بذلت فيها أدراج الرياح (1)

أوصى ولى عهد النجلترا اسماعيل باشا بتعيين الكولونيل غردون باشا (٢) خلفاً للسير صمويل بيكر على مديرية خط الاستواء • وقد وافق اسماعيل علـــــى

(T)

انظر جميل عبيد : المديرية الاستوائية - مرجع سابق ص١١٢٠

⁽١) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، مرجع سابق ص ١٨٤٠

شارلسجورج غردون ـ ولد من اسرة عسكرية في ٢٨ يناير ١٨٣٣م التحـــق بالاكاديمية العسكريةوبعد تخرجه عمل كملازم ثانى في سلاح المهندسين لمدة عام ونصف حيث أخذ تدريباً على أعمال الميدان ورسم الخرائط اشتــرك فىحرب القرم سنة ١٨٥٥م وبانتها ُالحرب اختير لتحد**هد** مع**ال**م الحــــ بين تركيا وجيرانها عمل عمل ذلك فى البعثة البريطانية الفرنسي التي أُرسلت الميالصين حيث بقي فيها أُربعة أعوام من سبتمبر سنة ١٨٦٠م إلى نوفمبر ١٨٦٠م حيث عمل بنجاح في الدفاع عن شنفهاي ٠ بعد عودتـــه من الصين اختير للاشراف على بعضالحصونيانجلترا حيث بدأت تتغلــــ على اتجاهاته المبادي و الأفكار المسيحية • وفي عام ١٨٧١م غادر إنجلت را ممثلاً لها في روماينا • وفي طريق عودته من رومانيا قابل نوبار فــــي القسطنطينية في ربيع سنة ١٨٧٢م حيث أخبره عن الاستوائية،في أكتوبـــر ١٨٧٣م وصلته برقية رسمية منمصر تعرض عليه قبول منصب حاكم المديريـــة الاستوائية فترك رومانيا في نوفمبر سنة ١٨٧٣م ومر بالقاهرة فـــــ طريقه لانجلترا ثم ترك إنجلترا في ٢٨ يناير ١٨٧٤م وله من العمر٤١ عاماً ليصل القاهرة في ٦ فبراير سنة ١٨٧٤م • عمل مديرا للاستوائية حتابي عام ١٨٧٦م ثم عمل كحاكم عام للسودان واستقال عقب عزل الخديــــ اسماعيل • وعند قيام الثورة المهدية أرسلته الحكومة المصرية لاخـــلاء السودان حيث قتل بالخرطوم •

تعيين الكولونيل غردون الذى وافق على التعيين مقابل الفي جنيه في العصام • وقد فطت مديرية خط الاستواء عن حكمد ارية السود ان •

وقد جاء في الخطاب الذي أُصدره اسماعيل بهذا الخصوص لفردون فـــــــــ محرم سنة ١٢٩٢ ه الموافق فبراير سنة ١٨٧٤م مايلي : " أنَّه بحسب المشهـــود فيكم مناللياقةوالأهلية قد عيناكمماموراً على جهات خط الاستواء التابعية (١) الحكومة ، وصار فرز هذه الجهة من تبعية حكمداريةالسودان وصارت قائمــــة بنفسها غير تابعة الحكمدارية (٢) إنما كافة لوازمها التي يقتضى الحصصال لتداركها من طرف الحكمدارية هذه يجرى تداركها بمعرفة الحكمدار وصرف ثمنها من طرفه مقابلمحاسبة المالية بذلك (٣) كما أمرنا الحكمدار المؤمري إلي من بأمرنا الصادر له في تاريخه ومرسل لكم طي هذا لتوصيله إليه عن يدكــــم وبما أن أمور التجارة في ذلك الطرف هي يد واحد يقتضي أن الذي يتحصل ...وا عليه من تلك الجهات من انواع التجارةبعد صرف كفاية مرتبات العساكروالتعيينات ترسلوه إلى حكمد ار السود ان لقبوله من أصل مايصرفه من أثمان اللو ازمات (٤)التي تطلبوهامنه ، وعند ومولكم الآن لتلك الجهات واختياركم أحوالها تجـــروا ترتيبها بحسب يتراعى لكم وتستحسنوه سواء كان باجعال مديريتين أو اجعال أقسام أو نحو ذلك مما يتوصل اليه به انتظام الجهات المذكورة واستعدادهـــا مع معاملة أهلها بالرفق ولين الجانب والتأليف والمراعاة لما فيه عمارتيهم (٥) وترغيبهم وتشويقهم إلى العمارية (هكذا) ودخولهم في سلك الانسانية شيئ الما

⁽١) يعنى الحكومة المصرية ٠

⁽٢) يقصد بالحكمدارية حكمدارية السودان ٠

⁽٣) يريد انيأخذ غردون لمديريته مايحتاجه من حكمدارية السودان على انيحاسب وزارة المالية بذلك ٠

⁽٤) المراد اللوازم والاحتياجات ٠

⁽٥) يقصد عمرانهم ٠

فشيئاً وهكذا مما يلزم اجرى (هكذا) على حسب التعليمات التى أعطيت لك الفرنساوى وها هو موجود هناك رؤوف بك (١) قومند ان العساكر الموجودة بذاك الطرف وتحرر له أمر من طرفنا ومرسول طيه لتوصيله له بمعرفتك وأمرناه به أن يكون هو والعساكر تحت امرتكم فيما يجب اجراه (هكذا) ف مالح المملحة ، وأن المؤمى إليه ومن معه من العساكر صار لهم مدة زايدة في تلك الجهات ولذلك منظور في ارسال خلافهم من هذا الطرق (هكذا) لتغييره مب أصول وقو انين الجهادية ، وعلى هذا وما منظور لنا فيكم من حسن الغيدرة والأهلية مؤملين الاستحصال (هكذا) على مافيه عمارية (هكذا) جهات خطول الستواء المحكى عنها وراحة أهاليها وحسن توطينهم وتأليفهم على الدخطول في سلك الانسانية شيئاً فشيئاً كما هو مطلوبنا (٢) ،

لم يجد غردون عند وصوله لمديرية خط الاستواء غير ثلاث محطات هــــى غندكر وفاتيكو وفويرا وكان عليه أن يعمل علىتدعيم سلطة مصر ويمدها إلــــى منطقة البحيرات ولقدروده الخديوى بأركانحرب له قيمة كبيرة لمساعدته علـى القيام بمهمته على أحسن وجه فوضع تحت امرته البكباشى شاليه لونج الأمريكي(٣)

⁽۱) أبوه من المعيد وأمه حبشية عمل كقائد للكتائب المصرية التي رافقـــت صمويل بيكر • أبكره غردون بعد أن أصبح مديراً لخط الاستواء • كلف باحتالال هرر سنة ١٨٧٥م فأبعده غردون عنها كذلك• أصبح حكمد ارا على الســود ان خلفاً لغردون في الفترة من ١٨٨٠ - ١٨٨١م توفي بالمنيا سنة ١٨٨٨م • انظر د • جميل عبيد • المديرية الاستوائية • مرجع سابق ص ٧٦٠

⁽٢) نعوم شقير ٠ تاريخ السودان ٢٥٠ مرجع سابق ص ٢٥٣ - ٢٥٤٠

⁽٣) شاليه لونج فرنسى الأصل هاجرت أسرته إلى أمريكا الشمالية ولد سنة ١٨٤٢ م، اشترك كضابط فى الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨٦١م – ١٨٦٥م عمل كصحف وانضم لخدمة مصر سنة ١٨٧٠م صحب غردون الى المديرية الاستوائي وزار يوغندا واكشتف بحيرة كيوفا التى أسماها بحيرة ابراهيم كتب عدد كتب عن أفريقيا هاجم فيها غردون وسياسته وفي سنة ١٩١٧م ويعتبر من المخلصين لمصر وانظر جميل عبيد المديرية الاستوائية ومرج سابق ص ١٢٠-١٢١٠

و ابر اهيم فوزى (۱) ورومولو جيسى الايطالى و المهندس لبنان (۲) الفرنسيين وغيرهم من الضاط و المهندسين (۳) .

وصلت الحملة الىفاشوهم بعد مسيرة سبعة أيام فى النيل فاستقبله مديرها بالحفاوة والتكريموشهد غردون وابراهيم فوزى بما وصلت اليه البلاد كنالعمران والتقدم وذلك للفضل عناية الحكومة المصرية (٤).

تابعت الحملة سيرها جنوباً حتىوصلت غندكر والتى سميت بالاسماعيليـة نسبة الى الخديو اسماعيل وكان يقيم فيها رؤوف باشا الذى استخلفهبيكـــر فى ادارة مديرية خط الاستواء فقابل غردون الحفاوة و اُطلعه على اُحوال البــلاد وشئونها وقد اُبقاه غردون قليلاً ثم مالبث اُن اُقاله ٠

رأى غردون أنَّ مناخ الاسماعيلية ليس صالحاً فنقل مركز الحكومة الله اللادو التى أُصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة مديرية خط الاستواء ٠

⁽۱) ابراهيم فوزى من ضباط الجيشالمصرى • حضر للخرطوم فى سنة ١٨٧٤م فـــى طريقه إلى الاستوائية عمل بالاستوائية رابتداءً من سنة ١٨٧٤م وفى سنة ١٨٧٦ تولى ادارتها خلفاً لبروت • اتهم باستغلال نفوذه وتعرض للمحاكمة حيــــث ثبتت برائته • خلفه على ادارة المديرية الدكتور أمين ناصر الحركة العرابية عمل كحكمد ار لبوليس القاهرة • اشترك فى قيادة القوات المصرية المدافعة عن الخرطوم ضد حصار المهدية كتب كتاباً عن ذكرياته فى السود ان اسمـاه السود ان بين يدى غردون وكتشر • انظر المرجع السابق ص ١٣٠٠

⁽۲) مهندس فرنسى قدم إلى مصر سنة ١٨١٨ أحيث عمل فى خدمة محمد على ثم استقال واشترك فى رحلات كشفية فى النيل ثمعاد لخدمة مصر سنة ١٨٣١ عين للاسراف على الشئون الداخلية سنة ١٨٦٩م ومنح الباشوية سنة ١٨٧٣ اشترك فى تصميم مشروع قناة القوائل، تزوج من حبشية ، انظر د، جميل عبيد: المديريسة الاستواطية ،مرجع سابق ص ١٢١٠

⁽٣) انظر ف و جلال يحي ـ مص الأفريقية ص ٧٢٠

⁽٤) انظر ابراهیم فوزی السودان بینیدی غردون وکتشر ۰ مرجع سابق ح ۱ ص ۰۰

بعد أنتولى شئونالحكومة فىتلك الجهات تابع غردون سيره جنوباً حتى بلغ بحيرة ألبرت التى اكتشفها بيكر من قبل وأستولىعلى عشرة مراكب من سفسن الأهالى استخدمها لاكتشاف شواطى البحيرة • كما استقدم من الخرطوم العلمالكافى من البواخر النيلية ومن آلات الترسانة المصرية بالخرطوم وعمالها وأنشأ شمالى بحيرة ألبرت ترسانة لتنظيم الملاحة فى أعالى النيل •

أنشاً غردون عدة نقاط عسكرية حصينة على شاطى النيل كما حصن النقلط التى أنشاها بيكر من قبل فمن ما أنشاه نقطة سوياط على ملتقى نهر السوباط بالنيل ونقطة الناص على نهر السوباط وشامية وبور واللاثو ولايورى والرجاف والدفلاى على النيل الأبيض ومكركة جنوب بحر الغزالومرولى على نيل فكتوريا ومقانقو الواقعة على مصب نيل فكتوريا في بحيرة ألبرت (٢).

أراد غردون أنيتجنب الأُخطاء التى وقع فيهابيكر وخاصة فىعلاقته مصع قبائل البارى التى كان يهاجمها بيكر واستطاع غردون بمعاونة موظفي

قام غردون بسحب الحامية المصرية التى كانت موجودة بأوغندا رغم عــدم موافقة اسماعيل علي هذا الأمر وذلك مين شعر غردون أن ملك أوغندا حول ولاءه مــن مصر (٣) .

ولكن الدكتور جلال يحي يرى أنْ غردون لميكن مخلصاً للاد ارة المصريـــــة وانماكان ينفذ السياسة البريطانية فى أفريقيا ويقول فى ذلك " ولما كانـــت مهمة غردون في مديرية خط الاستواء قد قاربت على الانتهاء عاد الىمصر ومنهــا إلى لندنتاركاً الحرية التامة للانجليز لكى يعملوا من شرق أفريقيا متجهيــن

⁽١) هي جوبا الحالية •

⁽٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السود ان الحديث ، مرجع سابق ص ١٨٥٠

⁽٣) د٠ جلال يحي _ مصر الافريقية ٠ مرجع سابق ص ٧٥٠

جنوب هضبة البحيرات ، وشهدت هذه السنة إنشاء شركة شرق أفريقيا الامبراطوريـة البريطانية ، لاستغلال الأراض الواقعة بين زنزباروهضبة البحيرات (١)".

ويشاركه فيهذا الراى المؤرخ عبد الرحمن الرافعي إذ يقول في كتابيه عنعصر اسماعيل " وغني عن البيان أن غردون لم يكن يبغى من استغلال اوغندا دفاعاً عن مطحتها ، بل كان مايبغيه أن تكون بعيدة عن التبعية المصرية حتى تصير فيما بعد لقمة سائغة لانجلترا وقد بسطت فعلًا حمايتها عليها بعد فصلل السودان ، وهكذا يتبين لنا أنغردون لميكن خالص النية لمصر مثل شاى لونب بل كان يخدم السياسة الإنجليزية أثناء تقلده منصب الحكم في مديرية خطلا الاستواء وكذلك عند ولايته حاكماً عاماً على السودان سنة ١٨٧٧م (٢) .

حقيقة كان غردون ينفذ السياسة البريطانية فى أفريقيا • فمراسلاته مع أخته تكشف أنه كان يفع سياسة بلاده فوق كل الاعتبارات ويسعى لخدم امبراطوريته وإذا تذكرنا أن تعينه فى السودان قد تم وفق نصيحة ولى عهانجلترا أدركنا الغرضالذى جاء من أجله • اضافة إلى ذلك الراتب الصغيلل الذي قبل به نظير القيام بهذه المهمة يدل على أن للرجل اهدافاً أخرى •

⁽١) د مجلاليمي : مصر الافريقية ، مرجع سابق ص ٧٥٠

⁽٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ٠ مرجع سابق ج ١ ص ١٢٨٠

بلغ نجاح غوردون في مهمته عدا أبعد من بيكر ، لأن غردون استطان الله يكسب مودة بعض القبائل وذلك بمعاونة الاداريين الذين اختارهم للعمال معه ، كما أنة أقام حوالي عشر معطات عسكرية في تلك المناطق ساعدت كثيراً في تثبيت الأمن ومطاردة تجار الرقيق ، كذلك جعل الاتصال بين الشمال والجنوب أمراً مأمونا لاتحفه المخاطر مما جعل من الممكن للتجارة بيان الشمال والجنوب أن تسير بنجاح ، ولكن ممالاتك فيه أن غردون قد تسبب في ضياع أوغندا التي كانت تنظر شمالاً في ارتباطها بالعالم الخارجي ، ولكن منذ استقلالها اضحت تتجه شرقاً نحو كينيا وشرق افريقيا وانقطع اتصالها بمجرى النيل (1) .

بقى الكولونيل غردونمدير العموم خط الاستوا ً إلى أناستقال من منصبه سنة ١٨٧٦م وعاد الى القاهرة ومنها لانجلترا التى لم يلبث فيها أكثر مـــن ثلاث سنوات حتى تدخلت الحكومة البريطانية لدى اسماعيل لتعيينه حاكمـــاً على السودان •

عندما غادر غردون مديرية خط الاستواء استخلف عليها وكيله الكولونيل بروت (٢) وهو ضابط أمريكى التحق بخدمة الجيش المصرى وخدم تحت لعرون باشا ، وبعد استقالة بروت تولى ادارة هذه المديرية اللواء ابراهيم

(Y)

⁽۱) انظر ضرار صالح ضرار : تاریخ السودانالحدیث • مرجع سابق ص ۸۵–۰۸۳

بروت بك أمريكى الاصل ١٨٤٥ - ١٩٣٧م ١٠ اشترك فى الحرب الأهلية الامريكية ثم جمل على شهادة فى الهندسة الميكانيكية من جامعة ميتشجيان الستحق بخدمة جيش مصر سنة ١٨٧٧م ١٠ اشترك فى قيادة بعثة بالسبب كردفان سنة ١٨٧٥ وقدم تقارير هامة عن كردفان ودارفور وقى إلى رتبة قائمقام ونقل إلى الاستوائية ليخلف غردون ١ بقى مديراً على الاستوائية من ديسمبر ١٨٧٦ الى مايو ١٨٧٧م حيث ذهب لانجلترا للاستشفا وشم استقال من الحكومة المصرية وعاد بإلى أمريكا حيث عمل كمحرر صحفى شممديل لشركة هندسية وتفرغ للتأليف فى آخرحياته ١٠نظر جميل عبيد: المديريات

فورى ثم فصل منها وعين مكانه الدكتور أمين (۱) وقد بقى مديراً عليه حتى عنى مديراً عليه حتى قيام الثورة المهدية (۲) .

ادارة السود ان الشمالي في هذه الفترة :

ذكرت أن اسماعيل بعد ثورة الجهادية في كسلا قد أعفى جعفر باشصاد مادق من الحكمد ارية وعين بدلاً عنه جعفر باشا مظهر الذي دامت فترة حكمه الى الثاني منجمادي الأولى سنة ١٢٨٨ ه الموافق يوليو ١٨٧١م وكان رجسلاً عفيفاً صادقاً محمود الحكم • وقد خلفه ممتاز باشا (٣) محافظ سواكن (٤) •

كاناسماعيل قد أُجرى تعديلا اداريا فصل بموجبه مديرية بربر مــــن (٥) الحكمدارية رجعلها مديرية قائمة بذاتها وتتبع فىادارتها للمعية السنية

⁽۱) اسمه الأصلى اد ورد شينتزر، ولد في ۲۸ مارس ۱۸٤٠ بألمانيا ، لأب بروتستنتى المذهب وليس يهوديا كما ورد في بعضالمصادر التحسين بدراسة الطبوكان شديد التأثر بأى نقد يوجه له سافر خارج بلاده حيث أصبح طبيبا للحجر الجمركي فيمينا الباني خافع لتركيا الدمسج في الحو الشرقي وتعلم اللغة العربية ، في سنة ۱۸۷۰م ترك عمله السابق وتحول لخدمة حاكم البانيل التركي وظل فيحاشيته إلى أن وفلسابة الحاكم فتروج زوجته ثم اختفى من ألبانيا واتجه إلى سوريا ومصر حيث ادعى أنه تركيوغير اسمه وديانته ، فادعى الاسلام وتسمى باسلام الدكتور أمين ، ولكن كثيراً من المراجع تشير إلى أن ادعا اه للاسلام لميكن خالصا ، اتجه من مصر نحو الخرطوم التي وصلها في ديسمبر ما مرادون من الخرطوم وعينه طبيباً في الاستوائية ثم عين مديراً عليها وظل بها الى قيام الثورة المهدية ،

انظر: د جميل عبيد: المديرية الاستوائية و مرجع سابق ص١٢٦-١٠٢٧

⁽۲) انظر عبدالرحمنالرافعی : عصراسماعیل، مرجع سابق ج ۱ ص ۱۳۰۰

⁽٣) توفى سنة ١٨٧٥م ودفن بالخرطوم ٠

⁽٤) انظر نعوم شقير : تاريخ السود ان ٠ مرجع سابق ص ٢٥٧٠

⁽٥) تعبير يقصد به الخديو ٠

لا للحكومة المصرية، وقلدت ادارتها لحسين بك خليفة كبير عربان العبابدة ومتعهد الشموروفطت حسابات المديرية من ميزانية الحكمدارية ، جائذلك في خطاب الخديوي اسماعيل الذي أرسله لحسين بك خليفة وقد جائفي "بناء على ماعلمناه فيكم من الأهلية واللياقة والاستعداد قد رقيناك إلى الرتبة الثانية وأوليناكم مدير بربر وجعلنا هذه المديرية قائم بذاتها مفروزة عن حكمدارية السودان ، غير تابعة الحكمدارية ولايك بذاتها لديوان المالية عليها مراجعة ولا ملاحظة بل تكن تبعيتها لمعيتنا وفق للمكاتبات والمخابرات العادية يكتب عنها والينظارة الداخلية،

هذا ولم يذكر اسماعيل أو أى مصدر آخر سبب اتخاذ هذا الاجراء وبعد اقالة جعفر باشا مظهر أجرى اسماعيلتعديلاً اداريا آخر قسس بعد اقالة جعفر باشا مظهر أجرى اسماعيلتعديلاً اداريا آخر قسس السودان بموجبه إلى قبلى وبحرى •أما قبلى السودان فيشمل مديريات الخرطوم وسنار وفازوغلى والبحر الأبيض (النيل الأبيض) وكردفان والتاكة وعين ممتاز باشا مديراً له • أما بحرى السودان فيشمل مديريتى دنقله وبربر وبذلك رجعت مديرية بربر لسلطة الحكومة وانفطت من المعية وعين حسين بسلك خليفة مديراً لبحرى السودان (٢) •

اهتم ممتار اهتماماً واسعاً بالنزراعة فأدخل زراعة القطن المصرى، ولكنه اتهم بالرشوة وذكرت بعضالمصادر أنه أخذ من سنار وحدها مائة وخمسين ألف ريال • كما أشارت هذه المصادر إلى أن أهل السودانقد أكثروامن الشكوى منه فاوقف عن الخدمة سنة ١٨٧٣م وسجن فى الخرطوم للتحقيق فى تلك الشكايات وتشير تلك المصادر إلى وفاته فى السجن سنة ١٨٧٥م (٣) •

⁽۱) د مكى شبيكه : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص ١٦٧٠

⁽٢) انظر المرجع السابق ص ١٦٨٠

⁽٣) انظر نعوم شقير: تاريخ السود ان ٠ مرجع سابق ص ٢٧٥٠

. إلا أن الشاطر بصيلي عبدالجليل قد أفرد في كتابه معالمتاريـ حسودان وادكالنيل ملحقاً خاصاً دافع فيه عن ممتاز باشا ورد التهـــم التي أتهم بها ومن بعض ماجاء في دفاعه عنه لاعين ممتاز باشا مديرًا لعموم قبلى لما عهد فيه منكفاءة وجدارة وخبرة بشئون السودان الاقتصاديــــة والادارية • ودخلت في اختصاصه مديريات الخرطوموستار والنيل الأبيــــف وفازوغلى • وفى المدة القصيرة التىقضاها فى مركزه هذا ، وجه اهتمامـــه نحو فحص مو ارد الميزانية ومصروفاتها • وعمل على معادلتها أو على الاُقـــل تخفيف ماتدفعه الخزائة العامة لتغطية عجز ميزانية مديريات السودان • لذلك أوقف الاحسانات التي تدفع للعلماء ٠ كما أدخل تعديلات على الضرائب التسسي وقعها سلقه جعفر باشا مظهر بما يقرب من الخمسين فيالمائة لغير ما سببب أكثر من أنه أراد أن يعرف ماستكون عليه حالة دافع الضرائب وعند ذلـــك ينظر في تعديلها • كما رفع ممتاز عن أهالي النيل الأبيض وغيرهم المبالسغ الاضافية التي فرضها جعفر باشا لسداد قيمة نصف استحقاق مرتبات السسواري والعسكر المعينين للمحافظة على الأمن ووقد جعل ممتاز جباية الضرائسب تقوم على أساس مقدرة الفرد المالية • فكان على الأغنيا ؛ أن يدفعوا أمـوالا اكثر مما كانوا يدفعونه في الماضي ، الذي كان المواطن العادي يتحمل أكثر العبُّ ومن هذا يتبين لنا مدى ماكانت عليه السياسة المالية من تخبـــط بسبب الارتجال وفقد ان الكفايات و الخبر العديلات التعديلات التسليب اجراها ممتاز الطبقة الغنيةصاحبة النفوذ ومن هنا بدأت الدسائس تدبـــر للخلاص من ممتاز باشا وقد تزعم هذه الحركة معنى بك الشامي وكيل مديريـــة الخرطوم وصنيعة اسماعيل باشا صديق (١) المفتش الذي كان عدواً لدوداً لممتاز

⁽۱) عين وزيرا للمالية في سنة ١٨٦٨م وظل قابضاً على الشئون الماليـــــة في مصر وملحقاتها لمدة ثماني سنوات ويعتبر هو المسئول الأول عــن اغراق مصر في الديون وتسليمها للدائنين وقد أُثرى ثراءاً فاحشــــــــــ خلال تقلده لمنصبه هذا قتل في ظروف غامضة وتشير بعض المصادر الــي ان اسماعيل أُغرقه في النيلكما تقول أُخرى انه قد بعث به الى دنقلــــه ليقتل هناك ١٠نظر د مكى شبيكة تاريخ شعوب وادى النيل مرجـــع سابق ص ٢٥٠١

بسبب خشيته منازدياد نفوذ ممتاز لنشاطه وقدرته على معالجة مشاكلي السودان المالية والادارية و لذلك كاناسماعيل باشا صديق اليد الخفية التى تلعب لاعداد الشكاوى وارسالها إلى الخديو عن تصرفات ممتاز باشا التورت بأنها تزوير فى السجلات وادعى البعض كما تناقلته الروايات أنه يقبل الرشاوى ولم يكن من العسير فى زمن سا فيه الانحلال أن يذهب ممتاز باشا ضعية منافسيه من رجال السلطة فى مصر ، الذين كان يهمهم اختفاء أمثلا المحتاز باشا واقصائهم عن مراكزهم والقضاء عليهم ليخلو لهم الطريق للوصول إلى تحقيق مطامعهم الذاتية والمنتخيق مطامعهم الذاتية

" وكان من نتيجة هذه الشكاوى التى صاحبها الرسل يحملون الهدايسا ومنهم معنى بك الشامى أن عطلت المشروعات التى بدأها ممتاز لمعارضاة المديرين لتنفيذها لأسباب غير معروفة • كما ألقى القبض على ممتاز عندو وموله إلى القاهرة ووضع فى السجن فى القلعة (1) بالقاهرة حيث أمض حو السب الشهر حتى ظهرت برائته و أطلق سراحه • وقد كأفاه الخديوى باهدائه عزبتيسن مساحة كل منها ١٥٠ فدان احداهما فى دار البقر فى المحلة الكبرى و الثانية فى كفر الدوار • وقد حزت فى نفسه حالة القبض عليه و ايداعه السجن بسبب الوشايات وعز عليه أن يعامل بمثل هذه المعاملة بعد جهوده المضية التسى بذلها لرفاهية السودان وتقدمه الاقتصادى • وعاد الى الخرطوم بمفرده بعد أنترك عائلته فى القاهرة •

المناسبات المعتادة وجد أنه قد خرج مبكراً عنالموعد المحدد فاستلقسي على أريكة ليستريح قليلاً وطلب من خادمه الخاص أن ينبهه عند اقتراب الموعد

⁽۱) ذكر نعوم شقير أنَّ سجن ممتاز باشا كان فى الخرطوم • وللتوفيق بينت الروايتين يمكن أنيكون ممتاز قد سجن أولا فى الخرطوم ثمأرسلل الى القاهرة وسجن بعض الوقت حتى تمت برا عته ثم عاد الى الخرطوم حيث توفى بها •

ولما ذهب إليه وجد أنه قد فارق الحياة وله من العمر مايزيد قليلاً عــن الخمسة والأربعين عاماً وهذا ماذكره خادمه الخاص نقلاً عن حفيده ابر اهيــم رياض المحامى وقد أيد هذه الرواية أكثر من شخص من المعمرين وطويــت بوفاته صفحة شخصية قدمت للبلاد أجل الخدمات فى الوقت الذى وصل فيه الانحلال إلى مرحلة خطيرة و

(واراد الخديو اسماعيل أن يرسل ابنه الوحيد محمود في بعثة اللللي الخارج مع " البرنس حسن غير أن والدته رفضت أن يفارقها وحيدها الللذي استمر في صرف معاشه عن والده ممتازياشا حتى وفاته في سبتمبر ١٩٤٢م (ولد حوالي ١٨٦٧م) ولمه من العمر خمسة وسبعون عاماً • ويرجع استمرار المعلما طوال هذه المدة لعاهة في احدى العينين •

لا وهكذا يتبين لنا أثر الشائعات التى استطاعت انتقلب الحقائد وتزورها وقد جاء فيها أنّ ممتاز حبس فى الخرطوم لأكثرمن خمسة أعوام فلم انتظار هيئة المحاكمة برئاسة خالد باشا وقالوا رانّ أملاكه قد صودرت وأنته مات مسموماً وكل هذا لانصيب له من الصحة وفالد باشا ذهب إلى السودان في سنة ١٨٧٤هـ١٨٧٥م وشغلمنصب وكيل الحكمدار اسماعيل باشا أيوب وقلم أعفى خالد باشا من أعماله ونقل إلى مصر بسبب عدم رضاء اسماعيل أيوب على المحالة وجاء في خطاب آدم باشا العريفي مأمور ادارة عموم قبلي السودان الذي استلم أعمال المديرية بعد وفاة ممتاز باشا مايفيد بان وفاته قلمت في او اخر عام ١٨٧٢م (١) والمحالة والمحالة

وفى اعتقادى انهذه الحجج التى أوردها الكاتب كافية لدحض التهاسم التى ألصقت بممتاز باشا الذى شهدت له أعماله فى سواكنعندما كان محافظاً عليها و ادارته لقبلى السودان تدل على كفاءته وخبرته خاصة فى مجالات الزراعة .

⁽۱) الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالِم تاريخ سودان وادى النيل · ملحــق رقم ۸ ص ۲۷۲ ومابعدها ·

الحكمدار اسماعيلباشا ايوب: (١)

بعد سجن ممتاز وعزله عين اسماعيلباشا أيوب مديراً عاما لأقالي معد سجن ممتاز وعزله عين اسماعيلباشا أيوب مديراً عاما لأقالي تعيينه الصادر فى الثالث منجمادى الاخصرة ١٢٨٩ هـ الموافق اغسطس ١٨٧٢م مايلى :

" بناءً على صداقتكم ولياقتكم المعلومة والمسلّمة قد وجهنا إليك رتبة اللواء الرفيعة وعيناكم مديراً عاماً لأقاليم قبلى السودان ، وحيد أنتلك المديريات المحالة إليكم صالحة ومستعدة للتمدن والعمران من كلل الوجوه فبناءً عليه يجب أنتبادروا بتعليم وتلقين أهاليها أصول الزراعية والفلاحة وتأهيلهم بالتدريج لللتمدن والعمران ، وحيث أن رؤ يلم وتسوية أمور ومصالح العباد في دائرة الحق والعدالة ورفاهيتهم وحضارتهم وراحتهم من مقتضى ارادتنا فبناءً عليه يجب أن تبذلوا أقصى الجهد في هده المهمة لتحققوا آمالنا المعهودة فيكم ومزيد توجهاتنا نحوكم ولذلك

بعد أن قضى اسماعيل باشا أيوب فى هذا المنصب مدة خمسة عشر شهراً، عادت الادارة إلى مركزيتها ورجعت الحكمدارية بتعيينه حكمداراً على الأقاليم السودانية بعد فشل اللامركزية وتجزئة السودان إلى ادارات مستقلة حيست أن تكوينه الجغرافي لايدع مجالاً لمديريات منفصلة ولابد من أن تحتك أجرزا الادارة الحكومية وقد كان يشكو مثلاً مدير الخرطوم من مدير التاكسسة

⁽۱) اسماعيل باشا أيوب من ضباط الجيش المصرى فى السود ان التى قضيى بها فترة طويلة شغل خلالها منصب وكيل الحكمد ارية ورئيس مجلسسس السود ان قبل أن يصبح حكمد ارًا على البلاد ، انظر عبد الرحمن ركسك حكمد ارو السود ان المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ١٩٤٨م ص٩٣٤ - ٤٤٠ .

⁽٢) أمينسامى : تقويم النيلوعصر اسماعيل باشا ٠ مرجع سابق ٠ المجلد الثانى ج ٣ ص ١٠١٠ ٠

لالتجاء القبائل التابعة لمدير الخرطوم إلى التاكة هرباً من دفع الضرائيب كما شكا حسين بك خليفة والى الخديو من معاكسة مدير قبلى السودان للفاريين من مديريته ومنعهم من الرجوع والى وطانهم •

وقدحدث في هذه الفترة ضم بحر الغزال ودارفور إلى الادارة المصرية ٠

(۱) ـ ظهور الزبير وضم بحر الغزال إلى أملاكالحكومـة :

الربير رحمة منالتجار السودانيين الذين ذهبوا مبكراً إلى الجنصوب وهناك نمت تجارته واتسعت أملاكه كما أنه صاهر أحد الملوك في تلك الجهات ونظراً لاتساع تجارته اضطر اللي تكوين جيش قوى يحمى به نفسه وأمواله نظارًا لانعدام الأمن في تلك المناطق حيث أنَّ هذه المناطق كان يحكمها حكّام محليون ولم تكن سلطة الحكومة المصرية قد وصلت إليها ٠

دخل الربير في معارك مع أحد الرعماء واستطاع ان يهرمه ويستولسي على أُملاكه وبذلك أُصبح هوالمتنفذ في قلك الجهات واتخذ بلدة سماها ويسلم

ويصف الزبير كيفية انتصاره واتساع نفوذه بقوله : " وخرجت السمى بلاد قولو حيث يقيم الملك عدوه شكو فدخلتها أول محرم سنة ١٢٨٢ الموافلسمة ٢٧ مايو سنة ١٨٦٥ وكان هذا الملك قد غدر بأخى منصور وقتله هو ورفاقله

⁽۱) هو الربير بن منصور بنعلى بنمحمد بن سليمان بن ناعم بن سليمان بـن بكر بن شاهين بنجميع بن جموع بن غانم العباس ، من قبيلة الجميعاب ولد في ۱۷ محرم سنة ١٢٤٦ الموافق ٨ يوليو ١٨٣١م تعلم القران بكتّاب الخرطوم وحفظ القران وتفقه علىمذهب مالك اشتغل بالتجارة ثم سافر مع ابن عمه إلى بحر الغزال في خدمة التاجر علىعمورى الذي أصبـــــــ الزبير وكيلاً له ، فتح بحر الغزالولارفوره باسم الحكومة المصريــــة وعين مديراً لبحر الغزال ، ذهب إلىمصر ولكن الحكومة تحفظت عليـــه هناكولم يرجع إلى السودان إلا بعد نهاية دولة المهدية ، انظر عبدالله حسين المحامى : السودان في التاريخ القديم إلى رحلــــة البعثة المصرية ج ٢ ص ٧٤٠

والا أنّتاريخ الربير قد شوه من قبل الأوربيين وتبعهم في ذلك بعيف المؤرخين السودانيين والمصريين و والسبب الذي قصده المؤرخون الأوربيون في ذلك هو إذكاء روح البغضاء بينسكانالسودانالجنوبي والشمالي، وقسد نجوا في ذلك إلى حد كبير، وفامنشكله جنوب السودانالا أثراً من آثار تلك السياسة ولكن المستغرب حقاً أنينقل أبناء مصر والسودان تلك السموم باعتبار أنها حقائق و وحتى عبدالرحمن الرافعي الذي عرف بموضوعيته قسد وقع في هذا الخطأ حين قال " كان الربير أكبر تجار السودان وخاصة في تجارة الرقيق وله نفوذ واسع وسلطان كبير في اقليم بحر الغزال " ويضيف " وتقاطر الناس للانتظام في خدمته فجمع لنفسه جيشاً قويا لتأييسد سلطته واقتناص الرقيق وفتح طريق التجارة من بحر الغزال إلى كردفان " (1)

⁽۱) نعوم شقير :تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٦٥٠

⁽٢) عبدالرحمن الرافعي : عصر اسماعيل ج ١ مرجع سابق ص ١٣٣٠

ولكن الاستاذ ضرار صالح ضرار يدافع عن الزبير بقوله: " دخصل الزبير بحر الغزالودارت بينه وبين ملوك قبائلها عدة مناوشات انته بانتصاره عليهم وتأسيس حكومة هو رئيسها تحكم المنطقة حكماً اسلامي بعد أن كون لنفسه مجلسا للشورى من بعض العلماء لاقرار أحكامه فصلك المناطق ومن الجدير بالملاحظة أن حكومة الزبير هى أول حكوما اسلامية تقام فى بحر الغزالوفتح للتجار الشماليين أبواب تلك المنطق التى كانت تحت حكمه تنعم بالهدو والأمن "(۱) .

ويتحدث باحث آخر مدافعًا عن الربير بقوله: "لقد لعب الربيسر باشا الذي أفلح في قيام دولة تحكم بالشريعة الاسلامية في بحر الغيرال دوراً مميزاً في نشر اللغة العربية والاسلام وقد تعرض اسمالربير لكثير مين التشويه والتشهير مما جعل صورته تهتز في الأذهان إذ درج بعض الباحثين على اظهاره كتاجر رقيق ليس إلا متجاهلين الظرف التاريخي وظرف المنطقية وأوضاعها ومتناسيين اصلاحات الربير ودوره الرائد في وضع لبنة هامة في بناء السود ان المعاصر "(۲) .

ومما يؤكد اهتمام الزبير بالاسلام وتربية جيشه عليه أن أحد قــواده عندما رفض التسليم للايطالى جيسى سار بجيشه إلى منطقة تشاد حيث أســـس مملكة إسلامية عاصمتهاوداى ٠٠ وكان هذا القائد هو رابحفضل الله المعروف برابح الزبير وقد دوخت هذه السلطة الاسلامية الفرنسيين في تلك الجهـــات إلى أن تمكنوا في النهاية من القضاء عليها ٠

⁽۱) ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، مرجع سابق ص ٨٦-٨٩٠

⁽٢) حسن مكى محمد أحمد : السياسة التعليمية والثقافية العربية فى جنوب السودان المركز الاسلامى الأفريقى بالخرطوم • شعبة البحوث والنشر ١٩٨٣م ص ٠١١

- ضمبحر الفزال:

فى هذا الأثناء الذى سيطر فيه الزبير على معظم بحر الغـــرال، وضع حكمدارالسودان خطة لضم اقليم بحر الغزال إلىنفوذه وعين أحد أهالـــى غرب السودان ويدعىالشيخ محمداليلالى(1) ناظراً لقسم بحر الغزال ليكـــون تابعاً لمديرية فشودة وعين له معاونيه وكتبة وجنود وشعر الزبير بـــان الشيخ البلالى يريد أن يهدم مابناه من مملكة فدخل معه فى صراع انتهــــى بمقتل الشيخ البلالى وانتصار الزبير وقد خف إلى مكان المعركة معــاون من الحكمدارية ومعه مجموعة من العساكر لاجراء تحقيق فى الأمر ، بعــــــث بنتيجته إلى الفرطوم (٢) .

وصلت هذه التحقيقات إلى الخرطوم عندما كان آدم باشا العريفي يقصوم مقام مدير عموم قبلى السود انبدلاً من ممتاز باشا الذي عزل رهن التحقيصة وقبل أن يصل اسماعيل باشا أيوب المدير العام الجديد ورأى آدم باشا أن يناط بمدير كردفان ضبط الزبير للتحقيق معه فيما نسب اليه ، لأن المسافة من الخرطوم الى بحر الغز البعيدة ، غير أن الزبير بفطنت وذكائه قد عرف أنه إذا ما سارت الأمور على طريقها الرسمى فسوف تعده الحكومة ثائراً ولا تستطيع أن تدرك الظروف التى تحت فغطها دافع عن نفسه وأمو اله ورأى أن يوسط حسين بك خليفة مدير بربر ودنقله آنذاك وشرح لله الحالة شرحاً وافياً وأظهر الخضوع والامتثال لسلطة الحكومة ونتيجة لذلك رأى الخديو أن يعفو عنه وأصدر أمره لمدير قبلى السودان باعطائه الأمان (٣).

⁽۱) انظرمكى شبيكة : السودان عبر القرون · مرجع سابق ص ١١٨٣٠

⁽٢) المرجع السابق ص١٨٤٠

⁽٣) المرجع السابق نفس الصفحة ٠

بدأ الزبير بتنظيم ملكه ودخلفي حرب مع عربانالرزيقات فانتص عليهم واستولى علىمدينة شكا • وفرُّ بعض مشايخ الرزيقات إلى سلطنـــــة الغور، بعد ذلككتب الزبير إلى الحكمدار اسماعيل باشا أيوب يخبـــــره بالوضع في منطقته فرد عليه بخطاب جاء فيه " عرضنا كتابكم على الجنــاب العالى الخديو فشكر ولاءكم وأمتدح رغبتكم في وضع البلاد التي فتحتموها بين يديه ليولى عليها من يشاء وقد أنعم عليكم بالرتبة الثانية مع لقــــب بك وولاكم أمر البلاد على أنتدفعوا لخزينته جزية سنوية قدرها ١٥٠٠جنيه "(١) قال الزبير " فقبلت الجزية وتوليت أمر البلاد رسمياً وشرعت في تنظيمهـــا وعمرانها • ولكن السلطان ابراهيم سلطان دارفور لم يطق الصبر على بقائسى في بلاد شكا وأصدر أمره الي احمد شطة مقدوم الجنوب في دارا وسعد النـــور مقدوم الشرق(٢) فأُخذا في حشد الجيوري وجمع العدة الخراجي منها وكنـــت أراقب حركات المقدومين وسكناتهما وأبلغها اسماعيل باشا أيوب فيالخرطوم فيرفعها إلى اسماعيل باشا الخديو في مصر فأقر الخديو على اغتنام الفرصسة التي كانت تترقبها حكومته منذ فتح كردفان وأرسل إلى ٢٨٠ منالعساكــــر المنظمة وثلاثة مدافع نجدة وأمر اسماعيل اسأيوب فجهر جيشاً مؤلفاً مـــن نحو ٣٦٠٠ مقاتل من الجنود السودانية والمصرية والباشيرق ^(٣)والشايقيـــة والأتراكوالمفاربة والمتطوعة على أن يزحف بها على دارفور من الشرق وأنسسا أُرحف عليها من الجنوب وثتم الفتح.على أن الفتح كله تم عن يدى (هكذا) بعون الله ولم يبق لجيش الشرق أقل عمل فيه "(٤) .

⁽۱) نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٧٤٠

⁽٢) كانت سلطنة الغور مقسمـة مقدوميات (مقاطعات) كل مقدوميـــــة يحكمها مقدومنيابة عن السلطان ٠

⁽٣) هم الجنود المتطوعة والمرتزقة غيرالنظاميين • وقدسبق شرحها •

⁽٤) نعوم شقير • تاريخ السودان • مرجع سابق ص ٢٧٤٠

تحرك الربير والتقى بقوات الغور والتى كانيقودها السلطان ابراهيم في عدة معارك كانت آخرها معركة منواشي في ١٤ من رمضان سنة ١٢٩١ ه الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٨٧٤م وفيها قتل السلطان ابراهم، واستطاع الربيب ان يدخل الفاشر عاصمة السلطنة وبذلك انتهت هذه السلطنة الاسلامية التلمين أكثر من ثلاثة قرون ٠

أمّّ الحكمدار اسماعيل أيوب فقدو صل الفاشر بعد أن تم للزبير دخولها بعدة أيام لابعد دخوله الغاشر شرع الحكمدار اسماعيل باشا أيوب في بناء استحكام منيع للعساكر على التلة الغربية من الغاشر فبني سوراً مربعات متيناً من الطوب سمكه ثلاثة أقدام وطول الفلع الواحد منه ٢٠٠ قدم و أقام في أركانه الأربعة ابراجاً على كل ركن برجاً جعل فيها المدافع وحفر موراء السور خندقاً بلغ عمقه خمسة عشر قدماً وأحاط الخندق بزريبة (سور) من شوك وبني من داخل السور ديوانا للحكومة ومنزلاً للحاكم وقشلاق وهدم المنازل التي المورا المنظمة وأمّا العساكر الغير منظمة فقد أقرها خارج السور وهدم المنازل التي المورا السور فجعل الأرض التي حوله في غاية الانكشاف الى مسافة بعيدة فجاء حصناً منيعاً جداً ثم وزع منشوراً في كل البلاد ودعالي الناس إلى الغاشر لأخذ الامان فصارت الوفود تاتيه من الجهات الأربع فيؤمنهم ويرجعهم إلى بلادهم مثم أمر فعمرت سوق كبيرة في الغاشية وعاد الناس إلى معاطاة أشفالهم كالعادة "(۱) م

بعد ذلك قسم اسماعيل البلاد إلى أربعة أقسام كل قسم يعتبرو مديرية وهذ ه الاُقسامهى الغاشر وداراً وكبكية وأم شنقة وأقام فى كل مصدن دارا وكبكية حصناكالذى أقامه فى الفاشر وشرع فى وضع الضرائب على السكسان فجعل على كل شخص خمسين قرشاً فى العام، أما الاُغنياء فقد جعل ضرائبهم أكبر(٢)

⁽۱) نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٨٣٠

⁽٢) انظر المرجع السابق ص ٢٨٤٠

ولكنالربير اعترض على هذه الضرائب وقد قال في هذا الصدد " ولمّا كنت على يقين أنَّ هذه الضرائب تثفل على الأهلين فلايطيقونها نصحت الحكمدار أن يجعلها من قرشين اللي عشرة قروش وقلت إنى أخاف إذا أثقلنا الضرائب على الأهلي سن وهم غير متعودين عليها نفروا منا وشرعوا إلى الثورة وكانكما قلت فانهم لم يلبثوا أن ولوا الأميرهارون حفيد السلطان محمد الطفل(۱) سلطاناً عليهم وثاروا معه على الحكومة فأتعبوها مدة طويلة ولكن الحكمدار تكدر من نصحى لم وكلمني بحدة زائدة وقال إنه أدرى بما يجب فعله فكتبت إليه إزاك كتاباً لموكلمني بحدة رأيي ورفعت المسئولية عنى وألقيتها عليه و فزاده هسذا الكتاب غيظاً وحدة وأمدر أمره النيّ بالرجوع إلى بحر الغزال فلي الحال فهدعت بالأمر وفرجت بعساكري قاصداً دارا فما وصلت اليها حتول ورد على تلغراف من سمو الخديو اسماعيل باشا من مصر يأمرني فيه بعدم وطعن في صداقتي واخلاص له وقيل أنه اتهمني بارادة الاستقلال عن البلاد "(۱).

وقد كاتب الزبير الخديو اسماعيل حول خلافه مع الحكمدار وطلب الأذن له بالسفر إلى مصر لشرح قضيته فأرسل له الخديو اسماعيل التلغراف التالليسي السعادتكو زبير باشا لقد كانت أفكارى متعلقة بك بالنظر لما بينى وبينك من بعد المسافةولما هو بالغ مسامعى عما أنت فيه من المشغوليات الجسيمية ظننت انه لايتيسر حضورك فلما وردتلغرافك يطلب مقابلتى بمصر صرت ممنونا فبادر أحضر إلى مصر لأجل المداولة معك فى تشكيل حكمدارية تكون بك وتحست إرادتك وهاقد تنبه على جميع طلباتك بغاية الاعزاز والاكرام "(٣) ،

السلطان محمد الفضل هو أحد سلاطين الفور السابقين ٠

⁽٢) نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٢٨٤٠

⁽٣) نفسالمرجع والصفحة ٠

فذهبالزبير إلى مص فى حاشية كبيرة رغم نصح الأصدقاء له بألا يذهب خوفا عليه من مؤامرات الحكمدار إلا أنه رفض ذلك كماقال بسبب اخلاصلحومة وشرف نفسه وترك ابنه سليمان مكانه وسافر عن طريق الأبيرض بربر الى أبئ حمد وكورسكو ومنها إلى القاهرة التى وصلها فى السادس ملت جمادى الأولى ١٢٩٢ وقابل الخديو الذى أنزله فى احدى سرايات العباسية وبالف فى اكرامه وقد صدق ظن أصدقاء الزبير إذ ان الحكمدار اتفق مع الخديو على ابقاء الزبير بمصر حيث لم يسمح له بالعودة إلى السودان و

⁽١) د٠ جلاليحي ٠ مص الأفريقية ص ٠٦٤

بل أكثرمنذلك٠٠ قامت الحكومة بمصادرة أملاكه وقتل ابنه وحجــــرت سفينته وماطلت فى رفع الديونالتى لهعليها وتنكرت لهذا الرجل الذى أعطاها أقاليم بحر الغزال ودارفور وهى اقاليمتزيد مساحتها عن مساحة مصـــر نفسها "(۱) .

استمر اسماعيل باشا أيوب حكمداراً على السودان الذي أضاف اليه الزبير بحر الغزال ودارفور واُخذ الصورة التي هو عليها الآن تقريباً٠

فى سنة ١٨٧٧م طلب غردون باشا من الخديو أن يعينه حكمداراً على السودان فقابله الخديو بحضور شريف باشا رئيس الوزارة وأجابه لما طلبه وعينه حكمداراً على عموم الأقاليم السودانية و أعطاه من السلطات ماليم يعط لحكمدارقبله ،لفت نظره لأمرين هامين هما محاربة الرق وتحسيسن المواصلات وعندما وقع اسماعيل على فرمان التولية كتب غردون مانمه: " وقصع سموه اليوم على الفرمان ولقد اندهشت للسلطة الهائلة التي وضعها فيليدى وبعد هذا سيقع اللوم على عاتقي اذا لم تبطلتجارة الرقيق وتتصلل أصقاع السودان مع الخارج "(٢) .

قبل مغادرة غردون إلى السودان عن طريق البحر الأحمر ابدى له الخديو اهتماماً عظيماً بالمحافظة على ماتم فتحه فى خط الاستوا و أمره بالتوسيع فى تلك المناطق و اقترح عليه تعيين حاكم ممن يوثق به لتلك المناطق حتلي يسبق الشركة الانجليزية التى أسست حديثاً لارتياد شرق أفريقيا ٠

ولكن بعد وصول غردون إلى السودان طلب أن يعين الضابط الامريك يروت بك حاكماً على الاستوائية حكما قام بجولات في دار لهور وغيرها مصلى

⁽١) مكى شبيكة ٠ السودان عبرالقرون ص ٢٢١ ٠

⁽٢) المرجع السابق ص ٢٢٣٠

المناطق وحاولالتقرب والى الأهالي والعلماء والمشايخ (١) .

ولكن فترةغردون شهدت الكثير من الثورات والاضطرابات منها تـــوة السلطان هارون سلطان الغور التى استمرت من ۱۸۷۷ وحتى ۱۸۹۰ كما قــام سليمان ۴بن الربير بثورة حينهام بمؤامرة الحكومة المصرية عليوالده فطلبت منه الحكومة التسليم ولكنه رفض واستمرت ثورته من ۱۸۷۷ – ۱۸۷۹م وانتهــت بمقتله غدراً بأمر من غردون شخصياً وذلك بعدان سلم للحكومة حسب نصيحــة والده الذي كتب اليه من مصر وقد استعانغردون باشا في ادارة الســودان بفريق من الأجانب فعين مسداليا بك الإيطالي مديراً على الفاشر وجيس باشــا الإيطالي مديراً على بحر الغزال وفردريك روس قنصل ألمانيا في الخرطوم مديراً لدارفور وشارل ديجوليه الفرنسي مديراً الدارأ وأملياني مديرا لكيكيــــه والدكتور زوربخين مفتشاً للماليــة والنابط سلاتبين النمساوي مفتشاً للماليــة وجيكلر باشا النمساوي مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق و كما عين ابراهيــم فوزي باشا مديراً لخط الاستواء بدلاً من الكولونيل بروت الأمريكي ثم عزلــــه فوزي باشا مديراً لخط الاستواء بدلاً من الكولونيل بروت الأمريكي ثم عزلــــه

هذا وقد شغل غردون بتحديد الحدود بين السود انو الحبشة وذهب السودان مصوع لعقد اتفاق مع ملك الحبشة ولكنه لم يتمكن من ذلك وفى ٢٥ يونيسنة ١٨٧٩ الموافق ٦ رجب سنة ١٢٩٦ أقيل اسماعيل باشا من منصبه ونصب ابنسه الخديو محمد توفيق مكانه وقد استقال غردون باشا في أواخر سنة ١٨٦٩

⁽۱) انظر عبدالله حسين :السودان منالتاريخ القديمالي قيام البعثــــة المصرية، مرجع سابق ص١١٩٠

⁽٢) المرجع السابق ص ١٢٠٠

حكمدارية رؤوف باشا (١):

فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٢٩٧ الموافق مارس ١٨٨٠م أصدر خديو مصـر أُمراً بتعيين محمد رءوف حكمداراً على السودان خلفاً لغردون وقد جاء فــــــى خطاب تعيينه مايلى :

" أنّه نظراً لثقتنا بما أنتم متصفون به من الأهلية لأداء الماموريــة المهمة المفوضة لأمانتكم والحالةهذه لانرى لزوماً للاسهاب في شرح وتفصيــل مايجب اتخاذه واجراؤه من الوسائط والأعمال المؤدية لنجاح ماموريتكـــم التي نحنناظرون إليها بعين الأهميةوهي تقدموانتظام أحوال مملكةواسعـــة مثل السودان وبذل مايجب من المساعي للوصول إلى توطيد أسباب عمارتهــــا وتمدن ورفاهية أهاليها بتوسيع نطاق دائرتي التجارة والزراعة اللتين همــا أعظم منابع الثووة العمومية ، إنمانري من اللازم استجلاب دقة نظركم الـــي بعض مواد مهمة وهي الآتي ذكرها :

" أولاً مالية السودان: وكما لايخفى عليكم أن لفظة المالية تشمـــل كل مايلزم ويمكن تقريره، وتجعله من الأمو الوالعوائد بطريقة لايتاتى منها الاضرار بحالة الأهالى ولا الاجحاف بحقوق الخزينة، وكذا تقدير مايلزم مــن المصاريف بالنسبة لحالة البلاد واحتياجاتها بشرط أن تكون كافلة لحســـن ادارة المصالح العمومية بصورة منتظمة وعلى هذا فأول واجب عليكم هو تنظيم ميزانية مستوفية عنكافة اير ادات ومصروفات الحكمد ارية ببيان أنواعها ومفرداتها بغاية الضبط والدقة وحصر مايكون موجوداً من الديون بأنواعها وأسمـــا أربابها وكيفية الوصول إلى سدادها وهذاومن اللازم أن الحكومة تكون عالمــة بكافة اخوال السودان اجمالا وتفصيلا وبالمثل أنواع الضرائب والعوائــــد

⁽۱) سبقت ترجمته ۰

فيبقى أنترسلواصورة من هذه الميزانية إلىنظارة الماليةواستمرار ذليك سنوياً • وأنتقدموا الى النظارة المشار إليها فى كل ثلاثة أشهر حساب ايرادات ومصروفات الحكمدارية بالبيان الكافى وذلك كما هو جار بكافسة مصالح الحكومة • وبما أن كافة مايتعلق بالمواد المالية والحسابية مرجع الأمر فيها إلىنظارة المالية فجميع مايقتضيه الحال من المخابسرات والاستئذانات فى هذا الشان يكون خاصًا بالنظارة المشار إليها •

"ثانياً: الاداره الملكية: يلزم تنظيمها وأجراؤها على صورة تلائم أحوال تلك البلاد وما يختص بهذا القسم من المخابرات ومايترائى لزوم تغييره وتبديله من المواد والنظامات (هكذا) ذات الأهمية وعزل وتنصب أربال المناصب الرفيعة مثل المديرين ووكيل الحكمدار ومايتعلق بالادارة الملكية والأحوال الداخلية مامن شأنه استحصال أوامرنا عن جميع ماذكر من هلتعلق الأنواع فينبغى أن تكون المخابرة عنه مع نظارة الداخلية وأما مايتعلق بالأمور القفائية سواءاً كانت شرعية أو نظامية تجرونه على قواعده المتبعلة والحالة هذه إنما يختص بهذا القسم من المخابرات أو ماترون لزوم اجرائد من الاصلاحات يجب أولا المخابرة عنه مع نظارة الحقانية (۱) ثم ران الرخصة التي كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الأحكام شرعية كانت أو سياسية في المواد القفائية الحقوقية قد أبقيناها لعهدتكم أيضاً ماعدا أحكام القصاص في الواجب استحصال أو امرنا عنها ٠

" ثالثًا ؛ القسم العسكرى؛ :هن المهم عند وصولكم إلى مركز الحكمدارية أنتوجهوا أنظاركم والتفاتكم إلى تنظيم واصلاح الحالة العسكرية حسبم يقتضيه احتياج تلك البلاد لتوطيد الأمن والنظام العام لكافة أنحاء المملكة

⁽١) يقصد وزارة العدل ٠

خصوصاً تقوية حدود الحبشة والمحافظة عليها فى الحالة الراهنة مع مايترت عليه الأمنو الاطمنئان للوقاية من وقوع أدنى مهاجمة على هذه الحدود لأنك عارفون جيدًا بأفكارنا وأفكار أعضاء حكومتنا فى هذه المسالة وهى أننا لانقصد أى تجاوز كان على جيراننا ولانريد أى فتوح جديدة إنما جل قصدنا المدافعة بغاية البسالة إذا وقع أدنى تعد على حدودنا فهذه الأفكار هلات تكون أس أعمالكم فى ترتيب وتنظيم عسكرية السودان مع مراعاة إجراء القانون العسكرى وكافة ما يتعلق بهذا القسم من المخابرات والاستئذانات هو خاص بنظارة الجهادية (١) . هذا ومع بقاء حيازتكم الرخصة المعطلات المسلمة من المخابرات والاستئذانات هو السلافكم بتنفيذ أحكام القانون العسكرى فى الجنايات وسائر الأحوال حسب ماتصدر به المجالس العسكرية ، فأن حكم العزل أو تنزيل رتبة أو ترقب الضابط جميع ذلك لابد من العرض عنه لطرفنا بواسطة نظارة الجهادية .

" هذا وحيث أنّ الاقطار السودانية بعيدة عن مراكز الحكومة الخديويـــة ومن الاقتضاء الوقوف على الوقوعات (الأحداث) المهمة التى تحصل ســــواء كانت بالحدود أو بخلافها فتبادروا بالاخبارينها بوقت وقوعها إلى طرفنـــا وإلىنظارة الداخلية بالتلغراف ، وبناءً عليه أصدرنا هذا لكم للمعلوميــة والاجراء على مقتضاه كما هو مطلوبنا "(٢) ،

باشر رؤوف باشا فى تنفيذ هذه السياسات خاصة مايتعلق منها بالشئون المالية ولكن منذ منتصف سنة ١٨٨٠م بدأت الثورة التى أعلنها السيد محمد أحمد الذى ادعى المهدية ودعا إليها واستطاعت هذه الثورة فى غضون خمسس سنوات أن تقضى على الحكم المصرى فى السودان وتنشى الدولة التى عرفت فسست تاريخ السودان بالدولة المهدية وكان رؤوف باشا آخر حكمدار قبل الشورة

⁽١) يقصد وزارة الحربية ٠

⁽٢) نعوم شقير : تاريخ السودان ص ٣٠٧ ومابعدها ٠

وفي أُثناء الثورة تولى حكمدارية السودان ثلاثة منالحكمداريين هم:

- $^{(1)}$ عبدالقادر باشا حلمی من ۱۸۸۲ $^{(1)}$
 - (٢) علاء الدين اشا من ١٨٨٣ -١٨٨٤م
- (٣) غردون باشا للمرة الثانية من ١٨٨٤–١٨٨٥م وقد قتل أُثناء سقــــوط الفرطوم ٠

فى أثناء حكمدارية عبدالقادر حلمى صدر أمر عالى فى ٢١ فبرايـــــــــة سنة ١٨٨٢م جعل ادارة عموم السودان تضممديرية شرق السودان ومحافظـــــــة سواحل البحر الاُحمر ومديرية هرفدوزيلع وبربره حكمدارية واحدة • وشكلت نظارة جديدة باسم نظارة الاُقاليم السودانية وملحقاتها فى القاهرة •

وفى ٢ ابريل سنة ١٨٨٢م صدرامُر عالى بتقسيم السودان إلى أُربعــــة

- (۱) حكمدارية اقليم غرب السودان وتشمل مديريات دارفور وكردفان وبحـــر الغرال ودنقلة ومركزها الفاشر٠
- (٢) حكمدارية وسط السودان وتشمل مديريات المُرطوم وسنار وبربر وفاستودة وخط الاستواءومركزها الخرطوم ٠
- (٣) حكمدارية اقليم شرق السودان وتشمل مديرية التاكةوملحقاتها ومحافظتى سو اكن و فصور عوملحقاتها إلى باب المندب ٠
- (٤) حكمدارية عموم هرر وملحقاتها وفيها محافظتى زيلع وبربرةومركزها هرر٠

⁽۱) ولد فىمدينة حمص ، ابوه أحد ضباط جيش ابراهيم باشا وقد عاد به السى مصر بعد حروب الشام ، بدأ دراسته فىمصر وأوفده عباسالأول إلى فينا لدراسة الطب فقضى بها ثلاث سنوات ولما تولى سعيد استدعمت عبدالقادر فى سنة ١٨٥٥م وألحقه بأورطة المهندسين فى القلعوتي وترقى فىمختلف الرتب حتى وصل إلى رتبة الأميرالاى فى أكتوبر سنة ١٨٦٢م كانياوراً للخديو اسماعيل فى الفترة من ١٨٦٨م وحتى ١٨٧٣ وأنعم عليه خلالها برتبة اللواء ، تولى عدة مناصب عسكرية ومدنية ، صار ناظر لديوان السودان وحاكماً له توفى سنة ١٩٠٨م ، انظر المجلة التاريخية المصرية المجلد الأول ١٩٤٨م مرجعسابق ص ١٤٤١

فى ٢٠يناير ١٨٣٣م صدر أمر عالى بتعيين علاء الدين باشا حكم العموم السودان وملحقاتها وراشد كمال باشا حكمدارا للسودان الشرقي والبحر الأحمر ٠ وأنشئت ادارة خاصة باشغال السودان وملحقاته برئاسة مجلسسس النظار٠

ولما اشتدت الثورة المهدية صدر أمر عالى بتاريخ 10 يناير 100 م ، فألحقت ادارة السودان وملحقاته بنظارة الحربية إلىنهاية الثورة (1) .

_ ملاحظات على ادارة اسماعيل:

يلاحظ الدارس لهذه الفترة عدة ملاحظات على الادارة منها:

(۱) إهتمام اسماعيل الشخصى بادارة السودان ، وتطوير أحواله ويجـــد الباحث هذا الاهتمام تقريباً في كل المراسلات بين اسماعيل وولاتـــه فما من فطاب من اسماعيل إلا ويؤكد فيه حرصه على تطوير البلاد وترقيتها ورفاهية أهلها • إلا أن بعض المؤرخين قد شكوا في صدق اسماعيـــل وأرجعوا اهتمامه الراعد بالسودان إلى أنه كانيعتبره مفرجاً له مــن الازمة المالية التي كان يعيشها ولكن الواقع يفطي هذا الادعــــا، إذ أنميزانية السودان – رغم الضرائب الباهظة – لم تكن كافية وكانت تسجل عجزاً على مصر،

⁽۱) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص ٣١٠٠

- (٢) إنّ السودان في هذه الفترة قد أخذ شكله المتعارف عليه الآن تقريباً حيث حدّدت الحدود ودخلت الاقاليم الجنوبية ودارفور ضمنها وقد جـــرى عليها تعديل طفيف في فترة لاحقبة ٠
- (٣) ظهور الحكام والولاة الأوربيين بصورة و اسعة في هذه الفترة أدى إلى خلط في ذهنية الإنسان السرداني البسيط بين الأتراك والأوربيين فأطلق والفظة أتراك على الاوربيين وهذا الخلط شمل حتى المثقفين إذ نجد كثيراً من المؤرخين يطلقون على هذه الفترة التي نعن بعددها فت التركية السابقة والتركية اللاحقة في نظرهم هي فترة الحك الانجليزي المعرى التي أعقبت دولة المهدية ووجود الحك الأوربيين هو في نظري واحد من أهم الأسباب التي جعلت الكثير مسن السود انيين يلتفون حول محمد أحمد المهدى الذي وعف الأتراك وهوو
- (٤) امتداد الادارة إلى الجنوبودارفور أدى الى النتشار اللغة العربية بين القبائل الناطقة بغير اللغة العربية كما أدى كذلك المسلم انتشار الاسلام رغم أنّ الحكام والمسئولين لم يكونوا مثلاً مشرّفــــا للادارى المسلم •
- (٥) شهدت هذه الفترة خلطاً اداريا وتخبطاً واسعا انتقل فيها السودان وأهله من المركزية إلى اللامركزية إلى نظام شبه مركزى ، مما يشعـــر الدارس لهذه الفترة بعجز الحكومة عن القيام بكثير من مهامها ، هـذا العجز الادارى في نظرى كان محاولة لايجاد نظام أكثر ملاءمة للسودان وأهله ولكنهذا النظام الملائم لميتحقق حتى نهاية الحكم التركــــى المصرى في السودان ،

الكام و الكالي

نظام التعاليم

وَ بِحِتْوى عَلَى ١٠

۱- نظام النفائم في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨م ٢- نظام النفائم في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٦٣م ٣- نظام النفائم في الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٨٥م

الفيكلالأول

نِظام المقيم في السُّودَ ان في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨م

التعليم في السودان قبل عصر محمد على

: مهيــد

ولقد كان ملوك سنّار ودارفور على علاقة طيبة بمصر وذلك بحكم الجوار وباعتبار أن مصر كانت تمثل واحدًا من طرق دخول الاسلام واللغة العربيـــة إلى السودان •

وكان الملك بادى المعروف بسيد القوم (١٦١١-(١) ١٦١٦م) أحد مليوك سنار الذين كانوا على صلة بعلماء مصر ، وكان يرسل اليهم الهدايم مع خبيره أحمد علوان وأشتهرت مناقبه عندهم حتى أنهم مدحوه بقصائمية (٢) .

وقد أشار كاتب الشونة بصفة خاصة إلى قصيدة الشيخ عمر المغربــــى أحد علماء الازهر والذى يقول في مطلعها :

> ا ایاراکباً یسری علی متی ضامـــر الی ان یقول :

حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمسر وأصبح صدراً للعلا حائز الصسدر أباد يه جمع الطواغيث والكفسسر وفاز بأنواع المثوبة والأجسسر

الى الغرب يهدى نحو طيب الذكــر

هو الملك المنصور بادى الــــذى حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا وجرد للاسلام والملك صارمــــأ وجاهدهم فى الله حق جهـــاده

⁽۱) الملك بادى و يعرفاًيضاً باسم بادى أبودقنويعتبر من أعظم ملوك سنار وقد بنى فيها قصراً ومسجداً وفترة حكمه حسب ماذكر كاتبالشونسسة هي من ١٠٥٢ هالي ١٠٨٨ ه/١٦٤٢ - ١٦٤٢م والتاريخ الذي ذكره الدكت ورعابدين غير صحيح ٠

⁽٢) عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان منذ نشأتهــا الى العصر الحديث، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوريع ص٥٦٠

والقصيدة طويلة تقع فىأكثر من مائة بيت (١) . والظاهر أن الصلات الثقافية بين مصر والسودان كانت تتم عبــــر طريقين :

- (۱) هجرة الطلاب السود انيين إلى مص للدراسة فى الأزهر الشريف ثم العـــودة الى أوظانهم لينشروا معارفهم العربية والاسلامية بين أهليهم ٠
- (۲) هجرة علما مصر إلى السود انو الاقامة فيه بقصد نشر معارفهم بيليسن أهله ، وقد عبر عن هذه الصلة أحد الباحثين بقوله : "وقلل الفويح (۲) إلى أن دالت دولتهم يعتمدون على مصر في غذائه الروحي ، فدرس نخبة من أبناء هذه الدولة في الأزهر الشريسية وعادوا إلى بلادهم ينشرون بها ماتلقوه من علوم ومعارف دينيسلة إسلامية ، ووفد على البلاد كذلك بعض الفقهاء من مصر يحيون بهددراسة الشرع الحنيف ، مجرداً من تلك البدع والخرافات التي لصقاع به بسبب بعد الفونج أجيالا عديدة عن ينابيع الثقافة الاسلامية "(۳)

ويشير كاتب آخر إلى دور الفونج فى نشر الثقافة العربيسة الإسلامية بقوله: "ولقد كان لدولة الفونج فضل كبير فى نشر الثقافية العربية الإسلامية ، ففي عهدهم انتشرت الخلاوى (٤) فى بقاع السودان المختلفة ومن مآثر ملوكهم أنهم عنوا بالاسلام واللغة العربية ، ومن مظاهر تليك العناية أن قرّبوا اليهم كثيراً من العلماء وأغروهم بالهجرة إلى سنّار وتجمع حولهم طلاب العلم من نواحى السودان المختلفة ومن خارجه ، كذليك

⁽١) مخطوطة كاتب الشونة • مرجع سابق ، ص١١٠

⁽٢) سبق شرحها وتعنى ملوك سنثار لان أصلهم من قبائل الفونج ولذلــــك تطلق كثير من المصار على دولة سنار اسم دولة الفونج أو السلطـــنة الزرقاء ٠

⁽٣) د محمد فؤاد شكرى ـ صفحة من تاريخ السودان الحديث · مجلة كليــة الآداب ـ جامعة القاهرة ـ العدد الثامن ـ المجلد الثانى ـ ديسمبــر ١٩٤٦م مطبعة فؤاد الأول ص٢٧٠

⁽٤) جمع خلوة وهي مدرسة تحفيط القرآن أوالفقه فيالسودان ٠

اقطعو لهم الكثير من الضياع الواسعة في أماكن متفرقة من البـــــلاد وأجزلوالهم الهدايا ، وكانوا لايردون لهم شفاعة ، بل جعلوهم أهـــل مشورتهم ولم يقف جهد الفونج عند هذا الحد ، بل رانه في زمنهم بـــدات دراسة العربية الفصحي تجد أذناً صاغية وعرفت صلات أدبية بين ملـــوك الفونج وأدباء مص "(١) .

ومن أوائل الطلاب السودانيين الذين نزحوا الى مصر لطلب العلــــم الشيخ محمود العركى (٢)، الذي يعتبر أول من نشر علوم الدين في جهـــات النيل الأبيض، إذ لميجد حين قدومه من مصر مدرسة علم ولا قرآن ، ويقال أن المرأة كان يطلقها الرجل ويتزوجها غيره في يوم طلاقها من غيـــر عدة (٣) . فأنشأ الخلاوي لتحفيط القرآن وتدريس علوم الدين وكان له بيـن الخرطوم والكوة (٤) ثلاثة عشر مدرسة (٥) .

⁽۱) د ملاح الدين المليك - شغراء الوطنية فىالسودان - دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ١٩٧٥م ص ٣٤٠

⁽٢) مولده بالأبيض درس في مصر على الشيخ ناصر اللقماني وشمس الديـــن اللقماني وبعد عودته من مصر سكن في جزيرة الهوى في النيــــــــل الأبيض ٠

⁽٣) انظر محمد النور إن ضيف الله ـ كتاب الطبقات فيخصوص الأوليــا، والصالحين والعلما، والشعرا، في السودان ـ تحقيق وتعليق الدكتور يوسف فضل ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م ـ دار التأليف والترجمة والنشر ـ جامعة الخرطوم ص ٣٤٤٠

⁽٤) مدينة في النيل الأبيض وتقع إلى الجنوب من الخرطوم ٠

⁽ه) انظر محمد فوزى مصطفى عبد الرحمن - الثقافة العربية وأثرها فصل عماسك الوحدة القومية فى السود ان المعاص الطبعة الأولى ١٩٧٢م ، الدار السودانية ، الخرطوم ص ٣٤٠

كذلك هاجر إلى مصر أولاد جابر الأربعة وهؤلاء يرجعون بنسبهم إلى الشيخ غلام الله بن عائد اليمنى (١) ، ويبدو أن قدومهم إلى مصر كان بعد قدوم الشيخ محمود العركى ، وبعد عودتهم من مصر سكن أحدهم وهو الشيسخ ابراهيم بن جابر المعروف بالبولاد قرية ترنج ودرّس فيها هلي الرحال والرسالة (٣) ، وهو أول من درّس هليلاً ببلاد الفوتج وشدت إليه الرحال ودراسته لخليل تتم في سبع ختمات وعلم فيها أربعين تلميذاً صاروا كلهم علماء (٤) ،

ومن الطلاب الذينوفدوا مصر وكان لهم شأن في نشر علوم الدين فلي السودان ، الشيخ حمدالمجذوب (٥) الذي ينتمى والى عشيرة المجاذيب، التي كانت ذات أثر كبير في نشر الثقافة الدينية في البلاد ، وكلي الكثير من أبنائها يرحلون والى القاهرة أو مكة طلباً للعلم ، ثم يعبودون ولي السودان لمتابعة رسالتهم فتبنى المساجد وتنشأ الزوايا لتصبيح مدارس ومعاهد للتعليم يفد واليها الطلاب من كافة الآفاق "(٦) .

⁽۱) من جريرة نواوه فى اليمن - هاجر إلى السود ان وسكن فى دنقله وبنبها المساجد وقام بتعليم القرآن الكريم والعلوم الاسلامية ، انظر المرجع السابق ص ٣٣٠

⁽٢) المقصود مختص خليل بن اسحق في الفقه المالكي ٠

⁽٣) رسالة ابن أبى زيد القيرواني وهو في الفقه المالكي كذلك ٠

⁽٤) انظر محمد النوربن ضيف الله ٠ كتاب الطبقات ص ٥٤٠

⁽٥) حفظ القران وتفقه في الحليل والرسالة على الفقيه محمد بن مدندي حج الى بيت اللهو أخذ العلم من شيوخ الحرمين • توفى سنة ١١٩٠ ه ودفن بالدامر • انظر الطبقات ص ١٨٧-١٨٨ •

⁽٦) انظر محمد فوزى عبد الرحمن • الثقافة العربية • مرجع سابــــــــق ص ٣٦٠

وبصفة عامة من يراجع كتاب الطبقات لمؤلفه محمد النورين ضيف الله يجد ظاهرة الهجرة إلى مصر واضحة جداً • وقد ذكر لنا المؤ لف مجموع من الشيوخ الذين رحلوا إلى مصر وأخذوا العلم من شيوخ الازهر • ومن الواضح أن هذه الهجرة لم قتتص على زمن الفونج ، بل هى مستمرة إلى يومنا هذا ، ولو أنها خفعت للظروف السياسية التى تحكمت فيها •

ويلاحظ أن هجرة الطلاب إلى مصر قد قلت في أو اخر عصر الثونج بسبب الكوارث والمجاعات التي أصابت المجتمع ، إضافة إلى ذلك حالة العزلية التي فرضها حكام الفونج في آخر عههدهم وبذلك انقطعت صلتهم بالعاليم الفارجي (١) .

أمًّا الطريق الثانى لنشر الثقافة العربية الاسلامية فى السحودان وأعنى به هجرة العلماء المصريين إلى السودان فمن العلماء الذين وفصوا على السودان فى عهد الفونج الشيخ محمد القناوى (٢) تلميذ الشيخ سالحم السنهورى الذى نزل ببربر وبنى بها مسجداً ، ومن ذرية هذا الشيخ نبغ حفيده الشيخ محمد أكداوى (٣) الذى جلس للتدريس بمدينة شندى ،

كذلك وفد الى السودان فى عهد الفونج الشيخ محمد بن قرم (٤) الكيمائى الذى استوطن بربر الى أن توفى بها • و أخذ عنه العلمعدد كبير من شيوخ السودان • كما وفد الى السودان كذلك من مصر الشيخ جاد الله (٥) الشكرى

⁽۱) المرجع السابق ص٣٦-٣٠٠

⁽۲) اخذ العلم عن الشيخ سالم السنهورى و الشيخ يوسف الزرقانى و الد الشيخ عبد الباتى شارح خليل قدم بلاد الفونج في أول النصف الثانى من القرن العاشر • زار بربر و أدبجى وسنتار وسكن بربر التى ابتنى بها مسجداً ودرّس فيه "الرسالة " والعقائد و النحو، وسائر العلوم •ولى القضاء وباشره بعفة ونزاهة • انظر الطبقات ص ١٠٠٠

⁽٣) هو الشيخ محمد بن محمد الكداوى بن الشيخ المصرى القناوى - أُخذ علم الكلام والفقه والنحو من جده محمد القناوى • تزوج فى شندى وكانيدرس بها الرسالة والنحو وعلم الكلام وعلم الأصول والمنطق واشتغلبالتصنيف وكتب كتبً شأنها أن تكتب ممداد الذهب انظر الطبقات ص١٠١٠

⁽٤) محمد بن على قرم الكيمائي المصرى الشافعي أخذ العلم من الخطيب الشربيني ودخل بلاد بربر وأربجي وسنّار وتوطن بربر. أخذ عنه العلم طائفة من أهل السودان توفي ودفن ببربر ١٠نظر الطبقات ص١٣٥٠

⁽٥) جادالله الشكرى جاءمن مصر وتوفى ببندرستار انظر الطبقات ص ٣٣٠٠

الذى وصفه صاحب الطبقات بأنه كانورعا تقيا زاهدا عابدامتواضعاً٠

ويلاحظ قلة العلماء المصريين الوافدين إلى السودان في عصر الفونسج وربمايرجع ذلك الى معوبة المواصلات وخطورة الطرق لعدم استتبابالأمسن والفوقة المجشع الخبراء والأولاء الذين يتحكمون في المسافريك حسبب أهوائهم (١).

والظاهر أن لهؤلاء العلماء الذينوفدوا من مصر دورًا كبيرًا في تمذهب أهل السودان بالمذهب الملكي خاصة وأن أهل صعيد مصر يتمذهبون بهللمذهب والصلات بين شمال السودان وصعيد مصر لاتحتاج إلى برهان ويسرى البعض من الباحثين أن هذا المذهب جاء إلى السودان مع الموجات الثقافيسة التي قدمت من غرب أفريقيا وبحيرة تشاد (٢) وفي اعتقادي أن هذا الرأي يمكن أن يكون صحيحاً ولكن الدور المصرى لايمكن تجاهله في هذا الأمسر، وذلك لان علاقة مصر بالسودان كانت أقوى من علاقة السودان بغرب أفريقيا و

_ مدارس السودان في ذلك الوقت:

فى بحثه عن دورالعلما عن السودانقال الدكتور محمد ابراهي الوسليم عن مدارس السودان فى ذلك الوقت: "أمّا مدارس العلم فتقلول الأفبار بأنها بدأت بمدرسة غلام الله المبن عائد فى دنقله فى القر بالرابع عشر ورغم أننا لانعرف إلا القليل عن هذه المدرسة والا أنها بلا شك قد وضعلت الأساس لمدارس دنقله الكثيرة فيما بعد ، وبعد انقطاع قرنين من الزمان جاءت مدرسة أولاد جابر بتاشيرات مصرية بحكم أن مؤسسها تلقى تعليمه فى مصر،

⁽۱) انظر محمدفوزی مصطفی عبدالرحمن :الثقافة العربیة ۰ مرجع سابـــق ص ۰۳۸

⁽٢) انظر المرجع السابق ص ٤١٠

والمر عجب لهذه الفجوة الزمنية الطويلة بين هذه المدرسة والتعليما ، وإنّا لنكاد نميل إلى القول بأنّ حركة المدارس واصلت سيرها وإن لم تطنا أخبارها ، ولقد بدأت مدرسة أولاد جابر في سنة ١٥٥٢م وانتهت في سنة ١٦١٤م وكانت بجزيرة ترنج قرب كاسينجر بديار الشابقية ، وقله اختيرت هذه الجزيرة النائبة مقراً لتكون المدرسة منقطعة للعلم وبعيدة عن الحكّام وطرق القوافل وذلك بعكس مرايط (١) الصوفية التي كانت تقلما على طريق القوافل ولل بعكس هذا الفرق فالحركة الصوفية تتجه نحسو الجمهوروتففل معاير القوافل التجارية بينما يتجه العلم نحو الخاصة بعيداً عن الفوفاء ،

" لقدوضعت هذه المدرسة بعضالتقاليد منها الدراسة المنتظمة وفــق منهاج مقرر من العلوم الاسلامية تدرس فى أوقات محددة ، وفى فصـــول للدراسة تجاورها مساكن الطلبة وهى بعيدة كل البعد عن نفوذ الحكّام وتأثير العواصم والمدن ليقبل الطلبة على العلم ويتفرُّوا له تفرغ أهل الاربطة للعبادة وقدهجرها طلابهـــا، لأن إدريس بنعبد الرحمن بن جابر (٢) خرج عن هـــدا التقليد بزواجه من ملكة كجية (٣) ونقله المدرسة إليها، ومن تقاليدهــا

⁽١) الصحيح أربطة لانها جمع رباط أمامرابط فهيجمع مربط ٠

⁽٢) الشيخ إدريس بن الشيخ عبدالرحمن بنجابر جلس للتدريس بعد عمــــه الشيخ اسماعيلوكان شيخًا عالمًا ٠ انظر الطبقات ص ١٤٧٠

أيضا أن المعلم يعطى العلم لمن يرغب تطوعًا لوجه الله ولايطلب مقابل وشيطًا ، ولكن التطوع من أجل العلم كان يقابله إحسان الجميع بالعطاي وهكذا يتكفل العالم بنشر العلم خدمة للدينويتكفل المجتمع بحاجات وبما يصرفه على طلبته "(1) .

" ومدرسة نورى التى أنشاها عبدالرحمزولد حمدتو الخطيب (٢) تفرعت عن مدرسة أولاد جابر ، وعمرت لأكثر من قرن ، وخرجت أجيالا من العلم وكان منمبرزيها جد الأغبش (٣) وابراهيم بنعبودى الفرض وقد اسسلمدرستين مستقلتين وحمد المجذوب (٤) مؤ سس مدرسة الدامر وعبدالرحمين (٥) المنويرى مؤ سس مدرسة ألبجى ٠

⁽۱) بروفسير يوسف فضل و آخرون : من معالم تاريخ الاسلام في الســودان المجموعة الأولى • دار الفكر للطباعةوالنشر والتوزيع • الخرطــوم ۲۷۰۰

⁽٢) تفقه على الشيخ اسماعيل بن جابر والشيخ البوقرى ٠٠ تفقه عليه خلــق كثير ١٠نظر الطبقات ص٢٥٦٠

⁽٣) حفظ القرآن على أبيه وتفقه على الشيخ عبد الرحمن ولنحمدتو وللبربر ونشأ فيها • وهو ممن جمع بين العلمو العمل • درَّس بعد أبيله المعند عبد الله الأغبش وانتفعت به الناس • انظر الطبقات ص ١٥٣٠

⁽٤) سبقت ترجمته ٠

⁽ه) من تلاميذ أولاد جابر • تولى القضاء في دولة الفونج وكان له باع طويل بمعرفة القضاء وفصل الخصومات • انظر الطبقات ص ١٥٥٠

" ومنالذين أخذواالعلم في مدرسة أولاد جابر أبو إدريس (1) العركيي ويعقوب بان نقا (٢) والشيخ صغيرون (٣) مؤسس مدرسة الفور ، وهو استــاذ أرباب بن على (٤) الخشن المشهور بأرباب العقائد والذي تخرج على يديه أعداد غفيرة من العلماء نذكر منهم حمد أم (٥) مريوم وخوجلي عبد الرحمــــن (٦)

⁽۱) هو الشيخ محمد بن الشيخ دفع الله مقبل العركى نشا بأبيض ويرى بالقرب من الخرطوم • حفظ القران على والده وتفقه على أُهيه تعلم على على على يديه كثير من الناس • انظر الطبقات ١٥٥٠ •

⁽۲) أُحد تلامذة الشيخعبد الرحمن بن جابر • درس القرآن والفقه و التوحيد وله فتاوى و احكام واقضية حسنة • انظر الطبقات ص ۳۷۲۰

⁽٣) هو محمد بن سرحان الصحودى وأمه فاطمة أخت أولاد جابر • ولد بجزيرة تمكى بديار الشابقية • قرأ الفقه على خاله اسماعيل بن جابر الذى أجاره ورحل إلى الشيخ النيوفرى وكان ممن جمع بين العلم والعمل وتفقله على يديه خلق كثير • انظر الطبقات ص ٣٣٤ •

⁽٤) أرباب بن على بن عون بن عامر بن أصبح وسمى الخشن لخشونة جسمـــه من الوضوء والغسل ، أشتهر بأرباب العقائد الاهتمامه بهذا العلـــم وتدريسه له وله كتاب في أركان الايمان ، أسماه الجواهر وله تلاميــذ كثر ، توفى سنة ١١٠٢ ه بسنار ، انظر الطبقات ص ١٠٠ ٠

⁽٥) حمد بن على المشيخى المشتهر عند الناس بأمه مريم ولد بجزيرة توتى سنة ١٠٥٥ ه ، حفظ القرآن على أرباب الخشن كما قراً عليه التوحيد، كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ورعاً عالماً نقياً ، كان كثير الأسفار ولذا استفاد منه عدد كبير من أهل السود ان ، انظر الطبقييات منه عدد . سيد.

⁽٦) ولد فيجزيرة توتى • حفظ القرآنالكريم عند عائشة بنت ولد قـــوّال و أخذ علم الكلام من الشيخ أرباب الخشن وتفقه على "خليل " على الشيخ الرين ولد عيفرون وحج إلى بيت الله الحرام و أخذ التصوف عـــن الشيخ احمد التنكتاوى القاطن بالحرم النبوى • توفى سنة ١١٥٥ ه • انظر الطبقات ص ١٩٠ ومابعدها •

وفرح ولد تكتوك (۱)" ٠

" وبعد أن أفلت مدارس الشايقية جائت مدارس الأبواب التى امتـــدت من هُقرات إلى شندى وكان أهمها مدرسة القوز ومدرسة الفيش ومدرسة الدامـر والمدرسة الأخيرة ترتبط بطريقة صوفية هى المجذوبية ، مؤ سس هذه المدرســة هو نفسه مؤ سس الطريقة (٢) ، أمناً مدرسة الفيش (٣) فكانت معاديــــــة عموماً للطرف الصوفية وقد ركزت على علوم القرآن (٤) " .

" والى الجنوب من الأبواب تأتى مدارس قرقى وقد تميزت أولاً بنف وقها المحسن والذين انتشروا من جزيرتهم توتى ، و أنشأوا عدداً من المراكر الدينية كما تميزت بعلاقتها الوطيفة بمشيخة العيدلاب (٥) ، الأمر الدينية كما تميزت بعلاقتها الوطيفة بمشيخة العيدلاب (١٥) ، الأمر البعل بعو الأحوال الشرعية والفتاوى والأحكام المتعلقة بملكي الأراضى أمراً ملحوظاً ، لقد كرس قدر كبير من الجهد نحو خدمة الدول وشئون المتقاضين ، وأشهر مدارس قرى مدرسة أرباب العقائد والتى بدأ بها عمران الخرطوم ، لقد تعلم في هذه المدرسة الآلاف ،

⁽۱) قرا العقائد على الشيخ أرباب • كما قراً علم العربية على الخطيصيب عمّار • كان شاعراً ماهراً له كلام فى التفسير والتوحيد والأدب • كلان صاحب كلمة وموعظة حسنة • انظر الطبقات ص ٣١٢ •

⁽٢) هو الشيخ حمـد المجذوب وقد سبقت ترجمته ٠

⁽٣) كانت هذه المدرسة في بربر وأنشأها الشيخ حمد الأغبش ٠

⁽٤) يوسف فضل و آخرون ٠ من معلمتاريخ الاسلام في السودان٠ مرجع سابــــق ص ٢٠٤٠

⁽ه) العبدلاب درية الشيخ عبد الله جماع الذى اقتسم المملكة مع الفون ملوك سنار وكانوا يعتبرونوزرا ولتلك الدولة • بدأت المشيخ في قرِّى ثم امتدت إلى الحلفاية ومنحجر العسل إلى سوبا • انظ عبد الله حسين: السود ان في التاريخ القديم الى رحلة البعثة المصريق مرجع سابق ص ٧٥ •

أماً الشيخفرج ولد تكتوك فقد اتخذ خطاً مغايراً لعادة الفقها وهاجهم كثيراً من عاد اتهمو اتخذ الشيخ حمد ولد أممريم مساراً توحيديا متشدداً ونادى بالالترام المنفبط بالكتاب والسنة ومدرسة ودعيس (1) الخزرجسي في كترانج ومن بعد في المسيد كانت ذات تأثير عظيم وقد لعب خريب وهدراً كبيراً في تاريخ القضاء و

" وقامت فى الجزيرة (٢) مدارس وكانت متأثرة بقربهامن قصبة الدولة ، وبالعلائق التجارية ولعل من أهم مدارسها مدرسة محمد (٣) العركوفى النيل الأبيض (٤) " •

ممَّاذكرنا يمكن أننلاحظ عدة ملاحظات :

(۱) أنّ اللبنة الأولى للمدارس قد وضعت فى الشمالحيث المجتمع المستقصر وأنّهذ ماللبنة كانت متأثرة بمصر بحكم ثقافة وتعليم المؤ سسين لها •

⁽۱) هوالشيخ ابراهيم بنالفقيه أحمد بن عيسى و ولد بعرفة سنة ١١٩٢ ه حال حج والديه وقد تفقه على أبيه وحين سافر أبوه لسنار تركيدرس بمسجد كترانج وفيما بعد بدا للفقيه ابراهيم أن ينشيئ مسجداً آخر لتخفيف ازدمام الطلبة بكترانج فأسس ذلك المسجد بالففة الغربية للنيل الأزرق تجاه كترانج ، والذى اشتهر بمسيد ودعيس وقامت حوله بلدة المسيد الحالية وقد توفى الفقيه ابراهيم سنية ١٢٥٨ه / ١٨٤٣م ، انظر د عن الدين الأمين ، تراث الشعر السودانى ، معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ١٩٦٩م ص ٤٠٠

⁽٢) يطلق لفظ الجزيرة فى السودان على الأراضى الواقعة بين النيليين الأبيض و الازرق •

⁽٣) سبقت ترجمته ٠

⁽٤) محمد ابر اهيم أبوسليم : دور العلماء في نشر الاسلام في السود ان الحسد بحوث المجموعة الأولى من معالم تاريخ الاسلام في السود ان مرجـــع سابق ص ٧٦٠

- (۲) ران اتساع المدارس قد اتخذ وجهة جنوبية مع النيل فى خط مع المجتمع المستقر وقد ازداد نشاطهاكلما أقتربنا من مركزى مشيخة العبدلاب فى قرى والحلفاية أمّا مدارس سنّار فلم يكن لها ذلكالقدر مسنن الشهرة وربما كان ذلك بسبب نفوذ الطرق الصوفية الكبير الذى كان يحد من نفوذ المدارس
 - (٣) كان المعلم يقوم بدوره تطوعاً لخدمة الدين بقصد الثواب وأنَّ المجتمع كان يقوم بالإنفاق على المعلمين والطلاب خدمة للدين وبقصـــــــــد الثواب أيضا ٠
- (٤) هذه المدارس لمتكن معزولة عن المجتمع ومايجرى فيه و إنماكانست تؤثر وتتأثر وهكذا نجد اقبالها نحو الفتياو أمور الحكم كلمسسا اقتربت من مراكز الحكم (١) .

هذاماكان عليه أمر التعليم في سلطنة "سنّار " أما دارفور فقد وطدت صلاتها الثقافية مع تلكالدويلات والامارات التي قامت في وسلط السودان الغرب، وانتقلت واليها الثقافة إلاسلامية من أفريقيا الشماليسة والغربية ، وبالرغم من ذلك فقد ذكر الإنجليزي براون وهو أحد الرحاللة الأجانب والقلائل الذين استطاعوا الاقامة بدارفور ردمًا من الرملسن في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وأواخر القرن الثامن عشر الميلدي انه كان يوجد بدارفور وقتذ اك بعض الفقها الذين تلقوا العلم في القاهرة ثم أكد هذا القول محمد بنعمر التونسي في رحلته المسماة بتشميز الأذهلسان بسيرة بلاد العرب والسود ان "(٢)

⁽۱) انظر بحث الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم ٠ دورالعلماء فينشـــر الاسلام في البسودان ١٠٠لمنشور في المجموعة الاولى من ابحاث معالــــم تاريخ الاسلام في السودان ٠ مرجع سابق ص ٧٦-٧٧ ٠

⁽٢) د٠ محمد فؤاد شكرى ٠ صفحة من تاريخ السودان الحديث ٠ مجلاريخ الداب القاهرة ٠ العدد الثامن المجلد الثانى ٠مرجع سابق ص ٢٧٠

التعليمومناهجه في هذه المرحلة :

إذانظرنا إلى الثقافة العربية الإسلامية في الأقطار المجاورة للسودان قبل ضمه للادارة المصرية نجدان هذه الثقافة قد دخلت في طور التقليلية والاضمحلال والاضمحلال والدراسة في الأزهر مركز الثقافة في البلاد الاسلامية موجهة في أغلبها إلى العلوم النقلية ، ومايدر سمن العلوم العقلية كالمنطق أو الطب أو الفلك إنما كان يدرس دراسة آلية القصد منها حفظ المسائلل والجدل اللفظي دون تجديد أو استنباط لقواعد جديدة (۱) .

ولذلك اتجهتالدراسة إلى العلوم المقصودة لذاتها كعلوم الفقصو التوحيد والتصوف وقد سادت فى العالم الاسلامى وقتذاك مذاها الموفية التى شجعتها الدولة العثمانية وسيطرة على عقائد الناس وتفكيرهم وامتزجت بالدراسات الاسلامية وصار الناس يقسمون شريعة الله الى علم باطن وعلم ظاهر بل إن بعضهم اعتبر أن علم الباطن حسب زعمهم هو العلمالحقيقى •

وقد تأثرت الثقافة الاسلامية فى السود ان بما يجرى فى العالم الاسلامى وإذا رجعنا لكتاب الطبقات لابن ضيف الله لوجدنا أن هم العلوم التلم لقيت عناية كبيرة هى علوم القرآن والفقه ولواحقه مثل علم الميراث والتوحيد والتصوف (٢).

"والظاهر أن اول ماوجهت اليه العناية من هذه العلوم القرآن الكريم وأول مظهر لذلك هو حفظه ، ولذلك كان الطلاب يتعلمون القراءة والكتابـــة عرضاً أثناء حفظهم للقران ولعل منشأ ذلك ماذكره ابنخلدون من أن در اســة القرآن إنما تقدمت في هذه المرحلة إيثاراً للتبرك والثواب وخشية مايعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن "(۳).

⁽۱) انظر محمد فوزى مصطفى :الثقافة العربية • مرجع سابق ص٤٢٠

⁽٢) المرجع السابق ص ٠٤٩

⁽٣) عبدالمجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٨٦٠

والى جانب حفظ القران نشطت الدراسات القرآنية التى تعين علــــى حفظه حفظاً جيداً مثل علم التجويد والقرائات ، ونبغ فى هذه العلوم بعــف العلمائمثل الشيخ محمد بنعيسى سوار الذهب (۱) والشيخ سعد الكرسنى (۲) ، الذى كانشديد الرياضة لتلاميذه حريصاً على معرفتهم للشدو الهمز والقلقلـة والاظهار والادغام والغنة ومعرفة الوقوف من تام وكاف وحسن (۳) .

غيراً أهممايلامظ على الدراسات القرآنية أنَّ العلوم التى كانـــت تساعد على فهم معانى القرآن وتدبر آياته مثل على مالتفسير لم تجد عنايــة كبيرة فى ذلك الوقت ولذلك كان بعض الطلاب يحفظون القرآنمن غير اهتمـــام بمعانيه • كما أنَّه لم تكن هناكم صاحف مكتوبة فكان المدرس يملى من الذاكرة ، والطلاب يكتبون على ألواح من الخشب تمحى بعد الحفظ وبذا كان الطـــلاب يتعلمون القراءة والكتابة أثناء مفظهم للقرآن كما سبقت الاشارة •

أمًّا علوم القرآ ات فقد كان مدار تدريسها على كتاب الشاطبيـــــة لمؤلفه ابى القيام بن فيرة الأندلس ، وكانتاهم القراءات الشائعة عند أهل السودان هى قراءةورش فى نواحى دارفور وكردفاف ، وأبى عمر الدورى فــــى دنقلة والدامر والخرطوم أما حفص فهى أقل القراءات انتشاراً فــــــــــالسودان (٤) ،

يلى القرآن وعلومه فى الأهمية علم الفقه ومن يرجع إلى كتاب الطبقات يجد أن رسالة ابن أبى زيد القيرانى ومختص خليل بن اسحق و الأخضـــرى،

⁽۱) محمد بن عيسى بن صالح الجعلى البديرى المشهور بسوار الذهب • قــراً مختصر خليل على أبيه كما قراً العقائد والمنطق على الشيخ محمد المصرى ولى القضاء • أخذ عنه العلمدد كبير من الطلاب توفى ودفن بدنقله • انظر الطبقات معدد ٢٤٧٠

⁽٢) اصله شایقی ۰ قراً القران و أحكامه على الفقیه عبد الرحمن ولد أسید تولى تدریس القرآن بعد وفاة شیخه رحل إلیه الناس من أماكن بعیدة كان حریصًا على أحكام التجویدانظر الطبقات ص ۲۲۳۰

⁽٣) انظر محمد فوزي مصطفى ٠ الثقافة العربية ٠ مرجع سابق ص٤٤٠

⁽٤) انظر المرجع السابق ص ٥٥٠

فى الفقه المالكى وجدت عناية كبيرة من جمهرة المتعلمين وإلى جانصيب كتب المالكية كانت تدرس كتب الشافعية وخاصة فى أريجى التى نبغ فيهمجموعة من رجال الفقه الشافعى مثل القاضى دشين (١) و الشيخ شموه بصدن محمد عدلان (٢).

واذانظرنا فى ثقافة هؤلا الشيوخ الفقهية نجداًن بعضهم قد وصل درجـــة لاباس بها فى علم الفقه ، وبعض هؤلا المشايخ كانت لهم مشاركة فى التأليــف فى الفقه ، ودراية بالأحكام والفتاوى فى مسائله ، وكثيرًا مانجد صاحـــب الطبقات يصف بعض الفقها ، بقوله " فهو مرجح التصنيف على التدريس ولاحظ بعض الباحثين أن هذا المستوى لم يكن يمثل التحصيل العلمى الشاءـــع عند معظم المتعلمين ولكنه يمثل تحصيل الطبقة الممتازة من العلماء "(").

⁽۱) ولد بمدينة أربجى وكان شافعى المذهب • تولى القضاء فى دولـــــة سنار • توفى بالداخلة علىنهر الدنور • انظر الطبقات ص ٢١٢٠

⁽۲) شمو بن محمد ب نعدلان الشايقى • ولد بمدينة أربجى • قراً الفقصة عند الفقيه بلال والفقيه أبوالحسن وقراً العقائد على الفقيه الشاطب ابن الفقيه أرباب و" الرسالة " على الفقيه عيد الصادق وكتب الشافعية المنهاج والمنهج على الفقيه بلال عالم أريجى وقاضيه فصار بذلك مقتياً في مذهب مالك والشافعي • دفن بأريجي انظر كتاب الطبقات ص ٢٣٢٠

⁽٣) انظر محمد فوزى مصطفى • الثقافة العربية • مرجع سابق ص ٥٥١

كذلك اهتم العلماء بجانب آخر من الدراسات الفقهية فوجهوا عنايــة شديدة إلى علم الميراث والفرائض وقد نبغ فى هذا العلم مجموعة مـــن العلماء أشهرهم الشيخ ابراهيم البن عبودى (١) المشهور بالفرضـــى ، الذى الف الحاشية المشهورة بالفرضية ، ومرد عنايتهم بهذا العلـــم ترجع إلى حاجتهم الضرورية لهذا الفن فى تقسيم التركات (٢) .

وإلى جانب علوم القرآن والفقه إزدهرت دراسة التوحيد الذى تطلق عليه المُصادر علم العقائد ونبغ فيه مجموعة من العلماء منهم الشيخ أرباب بنعلى الذى الف كتابا فى أركان الايمان وأسماه الجواهر كماسبق في تعريفه ٠

والظاهر أن مدار علم التوحيد كان على كتاب السنوسية (٣)وشروحها ولذلك نشطة عركة تأليف الحواشى والشروح حولها مما يدلدلالة واضحاعلى انتشار هذا العلم ورغبة الطلاب فيه ،فألف الشيخ على برى(٤) شرها على السنوسية كما كان للشيخ مكى النحوى (٥) الشروح الجليلة منهاسا

⁽۱) قرأ علىخاله ثم رحل إلى الشيخ عبد الرحمن ولد حمدتو ومكث عنصصده سبع سنين وكان ذو علم ودين و زهد سمى بالفرضي لانه كان له باع طويل في علم الفرائض • ألف الحاشية المشهورة بالفرضية في علم الفرائصين أخذ عليه علم الفرائض طلاب كثيرون • انظر الطبقاتين ٧٩٠

⁽٢) انظر محمد فوزى مصطفى ٠ الثقافة العربية ٠ مرجع سابق ص ٥٥١

⁽٣) السنوسية مقدمة فى النوحيد من ثلاث مقالات كبرى وتعرف بعقيدة أهـــل التوحيد ووسطى ولعلها مايسمى بالمرشدة وصغرى وهى أم البراهيـــن لأبى عبد الله محمد السنوسى التلمسانى المتوفى سنة ١٤٨٠م انظـــر كتاب الطبقاتين ٥٠

⁽٤) الشيخ على بن برى من العلماء الذين قاموا بشروح فى مجــــال العقائد ، توفى سنة ١٠٧٣ه انظر الطبقات ص٢٩٣٠

⁽ه) مكى النحوى الرباطابى أخذ العلم من الشيخ محمد المصرى وقد أخــذ عليه جميع الفنون ثمسافر إلى الشيخ محمد ولد عيسى • كتــــب شروحاً كثيرة • انظر الطبقات ص ١٠٣٠

شرحه الكبير على السنوسية فى أربعين كراساً وشرحه الصغير فى عشر و مــــن العلماء الذين أسهموا فى حركة التأليف فى علم التوحيد الشيخ محمـــد أكداوى بن الشيخ (1) محمل المصرى الذى ألف حسب عبارة صاحب الطبقـــات "كتبا شأنها أن تكتب بمداد الذهب " منها أربعة شروح على أم البراهيــن العمدة التى عم النفع بها فى سائر الأقطار والوسط والصغير والحاشيــــة التى هى أجل مؤلفاته وشرحاً على يقول العبد (٢) فى بدء الأمالى الكبيـــر فى مجلد ضخم نحو ستينكر اساً والصغيبر فى سبعة كراريس " (٣) .

والى جانب علوم القران والفقه والميراث والتوحيد يتردد ذكر علوم أخرى فى الطبقات مثل علوم الحديث ومصطلحها والتفسير ، على أن معظم هده المؤلفات عبارة عن مخطوطات أكثرها لم يصل إلينا ولم نقف على مطبوع منها سوى مؤلفات أحمد بن عيسي الخزرجي الأنصارى ، وكل ذلك عمل علمى جليلل يدل على مدى الاهتمام بالدراسات الاسلامية والعربية في ذلك العهد، كمليدل على نوع التعليم الذي كان يتلقاه الطلاب وقتئذ ، وكما يدل كذللها على مستوى هذا التعليم "(٤) .

⁽۱) سبقت ترجمته ٠

⁽۲) منظومةبد ً الأمالى المشهورة فى السودان ب (يقول العبد) لسراج الدين ابن عثمان الأوسى المتوفى سنة ١١٧٤ م والتى يقول فى مطلعها: يقول العبد فى بد ً الأمالى لتوحيد كنظم بالآلى ً

⁽٣) محمد النور بن ضيف الله : كتاب الطبقات مرجع سابق - ص ١٠٠

⁽٤) د عزالدين الأمين : تراث الشعر السوداني ، مرجع سابق ص ١١٠

ويرى باحث آخر ان الكتب المتداولة بينعلما السودان كانت قليلية لبعد السودان عن مراكز التاليف وارتفاع تكلفة هذه الكتب علىعلميا السودان ولذلك فعفت ثقافتهم العامة ولم يكن لهم اقبال كبير على التأليف وقد أورد صاحب الطبقات أغلب ما ألفو اوهو عبارة عن حواشي وشروح وعموماً كان العالم السوداني معلماً وقارئاً ولم يكن مؤلفاً وعلى مايبدو فأن أكثر ماتطارح فيه علما السودان كان حول البن والتبغ راذ ذهب البعض الهتوريم هذا أو ذاك بينما ذهب الآخرون إلى أنه حلال"(1) .

ولعل هذه الملاحظة لاتنطبق على السود انوحده في هذه الفترة فقد ضعفت الثقافة الاسلامية في معظم الاقطار الاسلامية بفعل التقليد وقفل بــــاب الاجتهاد ٠

هذا ماكان عليه امر التعليم في السودان قبل ضمه للادارة المصريـــة في عهد محمد على باشان ...

ـ التعليم في السودان في عصر محمد على باشا:

يعتبر محمد على الما موسس النهضة التعليمية فى مصر الحديث حيث أنشاً عددًا من المدارس منها مدرسة الهندسة فى سنة ١٨١٦م ومدرست المهندسخانة ببولاق فى سنة ١٨٣٤م ومدرسة الطب فى سنة ١٨٢٧م ومدرست الصيدلة والولادة ومدرسة الألسن فى سنة ١٨٣٦م ومدرسة المعادن بمصر القديمة

⁽۱) د عزالدين الامين ـتراث الشعرالسوداني ٠ مرجع سابق ص ١١٠

⁽٢) انظر محمد ابراهيم أبوسليم - دور العلماء في نشر الاسلام فــــــــــى السودان - المجموعة الأولى من بحوث معالمتاريخ الاسلام في السودان - مرجع سابق ص ٠٨٠

فى سنة ١٨٣٤م ومدرسة المحاسبة بالسيدة رينب فى سنة ١٨٣٧م ومدرســــة الفنون والصنائع فى سنة ١٨٣٩م • كما أهتم بارسال البعثات الســـــــن أوربا وخاصة الى فرنسا وذلك بقصد الاستفادة مما أنتجته الحضارة الأوربيــة فى مجالالتعليم (١) •

وعندما ضم محمد على السودان إلى املاكه في سنة ١٨٢١م اهتمبا مصرر التعليم في السودان و ففي البداية نجد أنه قد ارسل مع حملة الفتح ثلاثة من العلماء المصريين هم القاضي محمد الأسيوطي الحنفي و السيدا حمد القبلي الشافعي و الشيخ السلاوي المغربي المالكي و وهب كلامنهم خلعة سنيق وخمسة عشر كيساً (الكيس خمسمائة قرش) و أوصاهم ان يحثوا اهل البلاد عليا الطاعة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون و أن الخفوع لجلالة السلطان أمير المؤمنين و اجب ديني "(٢) وقد مات في السودان القاضي محمد الأسيوطي و تولى القضاء الشيخ احمد البقلي وكان المفتى هو السيد احمد افندي السلاوي "(٣) و الشيخ احمد البقلي وكان المفتى هو السيد احمد افندي السلاوي "(٣) و الشيخ احمد البقلي وكان المؤمنين السلاوي "(٣) و السيد المؤمنين السلاوي "(٣) و السيد السلاوي السلاوي "(٣) و السيد المؤمنية السلودان السلاوي "(٣) و السيد المؤمنية السلاوي "(٣) و السيد المؤمنية السلام السلام السلام السلام السلام السلام المؤمنية السلام السل

وقد قدر للقاضى السلاوى أن يلعب دوراً مهماً فى السودان فهو مالكالمذهب مثل أغلب السودانيين ويبدو أنّ الغيرة المذهبية واندماجه فالمجتمع السودانى بالمصاهرة والصداقة دفعته إلى الحماس فى خدمة علمالسودان وقد شجع مدارس السودان وأجرى عليها الجرايات وارتبط مع بعض العلماء بحبل الود والصداقة وكان هو الذى فتح الباب أمام خريجي

⁽۱) لمعرفة تطور النهضة التعليمية في مصر انظر عبدالرحمن الرافعي: عصر محمد على ٠ مرجع سابق ص ٤٦٤ ٠ و أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم فيعصر محمد على ـ مكتبة النهضة لمصرية ١٩٣٨ ص ٨٢ ومابعدها والمجلــة التاريخية المصرية المجلد الأول١٩٤٨م مقال تاريخ التعليم فيعصر محمد على ٠

⁽٢) انظر نعوم شقير: تاريخ السودان ـ مرجع سابق ص١٩٦٠

⁽٣) انظر مخطوطة كاتب الشونة ـ مرجع سابق ص ٨٩-٩٠ ومحمد سليمان ـ دور الأزهر فى السودان ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ص ٥٥٠

مدارس السودان للالتحاق بالقضاء وبوظائف الدولة عموماً وقد كانذلــــك

وقد تعهد بعض علماء السودانبالتشجيع على الكتابة ، فهو السذى كان وراء تاليف تاريخ سنار إذ شجع أحمد أبوعلى كاتب الشونة على تأليفه ثم دفعه إلى الزبير ورضوة وابراهيم عبدالدافع (1) والأمين الضرير فنظر كل منهم فيه وأدخل فيه ما أدخل ، وقد دفع ابراهيم عبدالدافع فجعل مسن ذكرهم ود فيف الله في طبقاته ومنجاءوا بعده في أرجوزة ثم تولى هو شرح الأرجوزة ، وهكذا عرض السلاوي طبقات أولياء السودان بعيداً عن مبالفليا وشطحات الطبقات "(۲) .

لقد قام السلاوى بدور مهم عندما فتح العلماء السودان العمل فلم مجالدولاب الحكومة غير أن ذلك ربط هؤلاء بنظام الحكم ، وجعل اعتماده على مايتلقونه من المرتبات مما أفقدهم الحرية التي كانوايت متعون بها وأض بمكانتهم الاجتماعية "(٣) .

⁽۱) صار ابر اهي هبد الدافع نائب الشرع في الخرطوم في العصر التركيب، ويقال أنه اشترك مع أحمد كاتب الشونة و الربير ولد شوه و الأميسين الضرير في تأليف كتاب (تاريخ ملوك السودان) وقد نشر الدكتور مكى شبيكة هذا الكتاب بهذا العنوان وبهذه النسبة للمؤلفيين الأربعة ثمنشره بعد ذلك الشاطر بهيلي بعنوان مخطوطة كاتب الشونة وحده وقد عرف ابر اهيم عبد الدافع بشاعرية حسنة في عص الفونجو العصر التركي حكان ميلاده سنة ١٨٠٠ وتوفيل بطفاية الملوك سنة ١٨٨٠م و انظر دو عز الدين الامين حتراث الشعيل السوداني عمرجع سابق ص ٢٤٠

⁽٢) د٠ محمد ابراهيه ما بوسليم :دور العلماء في نشر الاسلام في السود ان٠ مرجع سابق ص ٨١٠

⁽٣) المرجع السابق ص ٥٨٢

ذكرت فى النظام الادارى أنه بضم محمد على السودان إلى أملاك أصبح وادى النيل كله فى وحدة ادارية جعلت الاتصال الثقافى بيضم شطرى الوادى أكثر التحاماً حيث فتحت أبواب الأزهر لعدد أكبر من السود انيين ويلاحظ نشاط هجرة الطلاب السود انيين إلى مصر فى هذه الفترة (1) .

كذلك " وفى أو ائل العهد التركى فى السود ان نسمع عن هجـــرة بعض العلماء المصريين إلى السود ان ، ذلك أن سياسة محمد على كانـــت تهدف الى توثيق العلاقات الدينية أولاً وقبل كل شيء بين البلدين "(٢) .

هذاويعتبر عصر محمد على فىالسودان بداية طيبةلنشر التعليصم الحديث بين أبنائه وذلك بوسيلتين إمّا عن طريق بناء المساجد فىعدد مصن البلاد السودانية أو عن طريق السماح للسودانيين بالالتحاق بالازهلتكملة دراستهم (٣) .

ولقد كان من الأعمال الهامة التى أدخلها محمدعلى الى السودان تطويره لنظام التعليم الذى كانساعدًا هناك و الذى كانقاصًا على حفظ القصرآن وتعليم القراءة والكتابة لبعض الأطفال فى الزوايا وفى الجوامع الصغيرة التى كانت وحد فى بعض قرى السودان الشمالى وكانت هذه الزوايا لا ودى دورها فى خدمة العلم بالكفاءة المطلوبة لأنه لم يكن لها مصدر ثابكل للانفاق عليها وقد قام محمدعلى بتطويرها عن طريق بناء المساجد مثل مسجد الخرطوم ، الذى كانت وظيفته تنحص فى تعليم أبناء السودان

⁽۱) انظر محمد فوزى مصطفى ـ الثقافة العربية ـ مرجع سابق ص ٣٧٠٠

⁽٢) المرجع السابق ص ٠٣٨

⁽٣) انظر د٠ السيد يوسف نصر ٠ الوجود المصرى في أفريقيا ٠ مرجع سابـق ص ١٢٢٠

القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى كالنحو والخط وقد خصص لهسدا الجامع مبلغ مائة وخمسين قرشاً فى الشهر للانفاق منها على التلاميذ الذيسن كانوا يدرسون فيه ولكن هذا المبلغ كان لايفى باحتياجات الامام (شيالمسجد) والدارسين معاً مماً اضطره إلى أن يشتكى الىحكمدار السودان الدى طلب بدوره زيادة المبلغ المخصص لهذا الجامع بحوالىمائة قرشاً فيصبم مجموع مخصصاته مائتين وخمسين قرشاً ،كما طلب أيضا تخصيص ثلاثة أرادب مسن الذرة لهذا المسجد كى يؤدى دوره فى خدمة العلم "(۱) و

" وقد بلغ عدد الدارسين في مسجد الخرطوم في عصر محمد علي والسبي واحد وثمانين تلميذاً كانوا جميعا من أبناء السودان وفيما بعد تقسسرر أن يتقاضي كل تلميذ من هؤلاء التلاميذ مرتباً شهريا قدره قرشان فقط بالاضافة ولى حصوله على ربعين من الذرة (كيلة واحدة) وذلك لكي يهتم كل منهسم بدروسه وهذه وسيلة من وسائل التشجيع وإن دل هذا العمل على شيء فانمسا يدل على مدى اهتمام محمد على بنشرالعلم الديني في السودان"(۲)".

لم يقتص نشاط محمدعلى التعليمى على الخرطوم وحدها دون غيرهـــا بل امتد نشاطه الى المناطق الأخرى كدنقله التى وافق محمدعلى على انشــا مسجد آخر بها لتعليم أبنائها القراءة والكتابة وحفظ القران بالاضافــة الى ذلك فانه قد سمح لأبناء سنار بالالتحاق بالجامع الأزهر وذلك لمواصلــة دراستهم العالية فكانوا يدرسون التفسير والفقه والشريعة الاسلاميـــة وما إلى ذلك ، وكان قد تصادف أن هؤلاء التلاميذ بعد وصولهم إلى مصـــر

⁽۱) انظر المرجع السابق ض١٢٠-١٢١٠

⁽٢) المرجع السابق ونفس الصفحة ٠

لم يجدوا رواقا خاصا لاقامتهم فيه أسوة بغيرهم من أبناء الصعيدوالمغاربة وساعر الأجناس الأخرى ولما طلبوا لهم رواقاً أفادت ادارة الازهلسسس بانه لاتوجد أروقة خالية ، فجميع الأروقة التي كان يبلغ عددها اثنيلسن وعشرين رواقاً كانت مشغولة ، وعندما علم محمد على بذلك أمر بان يوجسس لهم مكان يستقرون فيه (1) فأجرت لهم ادارة الازهر رواقاً جديداً على باسم رواق السنارية ومازال موجوداً إلى هذا اليوم ،

اضافة إلى ذلك فأن محمد على أمر باعادة بناء مسجد الفقيه ابراهيم ابنعيسي (٢) وجعله معهدًا علمياً مع تخصيص راتب شهرى له ٠ كما أمر ببنياء عشر حجرات لسكن الطلاب بمسجد كترانج ٠ كما أمر بانشاء مدرسة لتعليم الصبيان بجانب مسجد دنقله وإلى جانب هذه المؤسسات أمر في كردف باعفاء أولاد الشيخ اسماعيل الولى من ضريبة السواقي والأطيان مساعصدة لهم ليمضوا في التدريس وفي اقامة شعائر الدين (٣)

وعناية محمد على بمسجد كترانجتثبتها المكاتبة التى أُرسلها محمــد على إلىحكمدار السودان وقد جاء فيها :

ارادة الى حكمدارالسودان

" اطلعت على كتابكم العربى العبارة وما معه من الأوراق المصور رخ فى ١٣ محرم سنة ١٢٦٣ هرقم (٥) الخاص بطلب بناء عشر حجرات لسكنى الفقرراء (التلاميذ) وعمل سور للجامع الذي أنشىء فى قرية كترانج فى مديرية الخرطوم

⁽۱) د٠ السيد يوسف نصر٠ الوجود المصرى في افريقيا ٠ مرجع سابق ص ١٢١٠

⁽۲) سبقت ترجمته ۰

⁽٣) انظر د عن الدين الأمين - تراث الشعر السوداني - مرجع سابـــــــق ص ١٠٤١

منالطوب النيء وأنه إذا عملذلك من الطوب الاحمر يكون أقوى وأمتن • وإن تكاليف ذلك ثمانية آلاف قرش • وقد وافقت ارادتنا على إقامة السور وبنساء الحجرات المذكورة من الطوب الاحمر بمبلغ ثمانية آلاف قرش وكتبنا لكم هذا الكتاب لتباشروا العمل "(1) •

ولابد أن نلاحظ أنَّ ماورد فى مكاتبة محمد على عن تجديد عشر حجـرات لسكن الطلبة إنما يعكس الدور الكبير الذى كان يؤديه هذا المسجد فـــــى تدريس العلم لأُبناء السودان وغيرهم •

ويتجلى اهتمام محمدعلى بأمر التعليم فى السودان أثناء رحتله والسي السودان سنة ١٨٣٨م حيث خاطب رؤ ساء القبائل والمشايخ موضعا لهم أهمية تعليم أبنائهم وقد جاء فى بعض فقرات حديثه " ••• ولكن المشاه والتقدير مع العلم بالقراءة والكتابة شىء وبدونهما شىء آخر • فان كنتم توفدون أبناءكم فإنى الحقهم بالمدارس الكثيرة التى وفقنى الله سبحان وتعالى فى انشائها لتعليم أبناء الأمة وتثقيفهم و أدفع لهم نفقات مأكله وملبسهم • وبذلك ينعم أبناؤكم بنصيب وافر من العلمو الأدب فى هسده المدارس ثم أعيدهم بعد سنوات قليلة إلى أوطانهم معزرين مكرمين • وأكون بهذا العمل قد خدمت عائلاتكم خدمة عظيمة من جهة وخلدت اسمى مقرون بالفخار إلى يوم القيامة من جهة اخرى "(۲) •

⁽۱) دار الوثائق القومية بالقاهرة و وثيقة رقم ۱۳ بتاريخ ۱۸ ربيع الأول سنة ۱۲۹۳ / ۸ فبراير ۱۸٤۷ مكاتبة رقم ۱۰ صبادر المعية السنية ، تركى الفترة التاريخية للسجل في ۲۱ رمضان ۱۲۹۳ه الى آخر رمضان ۱۲۹۳ ه نقلاً عن د عز الدين الامين – قرية كترانج و أثرها العلمي في السود ان – دار جامعة الخرطوم للتأليف و الترجمة و النشر ۱۹۷۰ مي ۱۹۷۰

⁽٢) د د د ابر اهيم - رحلة محمدعلى باشا رالى السودان • مرجع سابق ص ١٠٥٠

وقد كانت كلمات الباشا ذاتاً شر كبير على الزعماء والمشايصة حتى أن التقرير الرسمى للرحلة قد ذكر أنه كان لهذا الخطاب أشراً عظيم على نفوسهم المكروبة مما جعلهم يذرفون دموع الفرح منتا شرهم بهالمجاملات وسارعوا بالوعد بارسال أبنائهم و أنبرى عبدالقادر اغسسا شيخ الجزيرة و أظهر اخلاصه بقوله ليسلى أبناء ومع ذلك سأرسلل

وتشير المصادر الى ان عددًا من أبناء وجهاء السود ان قدوصلوا السب القاهرة عقب عودة محمد على إليها وقد أمر محمد على المدرسة التجهيزية ليتعلموا القراءة والكتابة أولاً ثم يدرسوا بعد ذلك علم الزراعة، هذا وقد وجه الباشا بلزوم العناية بهموتميزهم على غيرهم من تلاميسند المدرسة الآخريزوأن يخصص لهم خادم يقوم بما يلزم لهم واللا يفرق بينه بل يكونوا معاً (٢) .

وتشير بعض المراجع إلى أن هؤلاء الطلاب قد العقوا بمدرسة الالسسن قبل عودتهم إلى السود ان لتسلم وظائفهم الحكومية وقد قضوا في مصر شسلات سنوات كانت تصرف لهم فيها الاعانات اللازمة وعندما شرع محمد على باشسافي إرسال البعثات المصرية إلى أورباكجزء من سياسته التعليمية وقع الاختيار أيضاً على نفر من أبناء السودان الذين كانوا يدرسون بمصر ولكنهم عادوا مسن أوربا ولم يحضروا إلى السودان وفضلوا الالتحاق بوظائف في مصر (٣).

⁽۱) د محمد فؤاد شكرى ـ رحلة محمد على إلى السودان ـ مجلة آداب القاهرة العدد الثامن مرجع سابق ص ۲۲۰

⁽٢) انظر عبد العزيز أمين عبد المجيد تاريخ التربية فى السود انج٢٠٠ المطبعة الأُميرية بالقاهرة ١٩٤٩م ص٠١٦٠

⁽۳) انظر محمد عمر بشیر تطور التعلیم فی السودان ۱۸۹۸–۱۹۹۱م ترجمــــة هنری ریاض و آخرین ـ دار الثقافة ۰ بیروت ۱۹۷۰م ص ۰٤۰

وقد أورد الدكتور شكرى فى كتابالحكم المصرى فى السودان خطاباً مـــن احد العلماء المنقطعين للتدريس أرسله إلى محمد على أثناء زيارة الأخيـــر للسودانيشكره فيه على الخدمات التى يقدمها لطلاب العلم (١) .

(۱) جاء فى هذا الخطاب " من اسماعيل بنعبد الله والى حضرة صاحب الدولية العلية العثمانية (الخديو الاعظم) فى ٤ ذى الحجة ١٢٥٤ ه (٨ فبراير ١٨٣٩م)

حضرة صاحب الدولة العثمانية والمملكة البهية الخاقانية من بسط على رعيته بساط الحمد والأمان وأفاض عليهم نهال العـــدل والاحسان وحمى حوذة الملة الحنيفية بأسام المعارك وأروى أعداء الدين في مهاوي المهالك صاحبالقصر والتمكن والعز والسعد المكيـــــن وهو الأمير الأعظموالنيسوب الأكرم مبيد العصات والمشركين قامـــع شوكة الفجرة المتمردين ناصب صراط العدل المستقيم شمس فللللسلك السعادة المشرقة على كلهارد خصيم سيد الوزرا (هكذا) مقصــــد الامرا(هكذا) ملجاً الفقراء غياث الورى أفندينا المؤيد المنصـــور وولى النعيم أفندينا الحاج محمد على باشا أيده الله تعالى امين • بعد مزيد السلام وأجل التحيةوالاكرام اللائق لجنابكم المعظم أمًّا بعد بلغنا خبر قدومكم بأرض جزيرة سنار وحمدنا الله بقدومك وصحة سلامتكم وتأييد دولتكم ومرادنا القدوم إلىمواجهتكم السعيصدة وطلعتكم البهية وحصل لنا عذر وجعلنا مكتوبنا نايباً (هكـــــــذا) عناً وإنسالت عنحالي فأنى رجل صاحب طريقة ودرس ، منقطع علي باب الله • فالحمد لله منذ قدوم أولادك أرض السودان حصلت لنــــا الراحة والاكرام التام وكل ذلك بسبب اقبالك واكرامك لاهل الديلين وحفظ حرمهم ويرجون الله سبحانه وتعالى ثواب ذلك في سائــــر الأوقات في الصبح والمساء وإن شاء الله ببركة الدعاء يبلغ مقصودك وشرف علمكم كفاية ٠ السلام ورحمة الله تعالى وبركاته " ٠ نقلا عــن الحكم المصرى في السودان ص ٢٧٣٠

لميكتف محمد على السال العلماء إلى السودان وتشجيع الط السيادة الى مصرولكنه أيضاً حاول تشجيع الطرق الصوفية التى كانت منتشرة في ذلك الوقت إلى النزوح إلى السودان • وبالفعل جاءت بعض هللم

يلاحظ أن محمدعلى ـ على الرغم من تشجيعه للتعليم فى الســـودان ـ لم يفع سياسة تعليمية واضحة كتلك التى وضعها فى مصر ولذا قال أحـــد الباحثين : على الرغم من حماسة محمد على باشا للتعليم الحديث وحثـــه للناس على الأخذ به فأنه لم يفع سياسة لتوجيه التعليم فى السودان كما فعل فى مصر "(۲) .

ويعلل باحث أخر هذا التقصير بأن محمد علىباشا لم يرد أن يمليي

ويعلق أحد الباحثين على سياسة الاتراكالتعليمية بصفة عامة بقوله: وحصر الاتراك مسئولية الدولة في جباية الضرائب وحماية الولايات ملفزو واقرار الأمن الداخلي وفض الخصومات بين الناس أمّا المسائل العامة كالثقافة والتعليم فلم تكن تدخل بالضبط في مسئولية الدولة بلتركيب

⁽۱) انظر عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية فى السودان · مرجع سابق ص ۹۸ ·

⁽۲) د٠ ابراهيم الحاردلو: الرباط الثقافي بين مصر والسودان ـ دارجامعة الخرطوم للنشروالترجمة والتأليف ١٩٧٧م ص٠٨٠

⁽٣) عبدالعزيز أُمين عبدالمجيد : تاريخالتربية فيالسودان ج٢ ص ١٣٠

⁽٤) دىيوسف خليل يوسف ؛ التقومية العربيةودور التربيك في تحقيقه _____ _ الدار القومية للطباعةوالنشر • القاهرة ١٩٦٦م ص ١٠١٠

وهذا القول على اطلاقه ليس صحيحاً لأن الأتراك بصفة عامة ومحمد علـــــى بصفةخاصة قد اهتموا بالتعليم وفتح المدارس والانفاق عليها ولكــــــن اهتمامهم بالتعليم والحقف يقال لميكن في مستوى اهتمامهم بالنواحــــــى الادارية والعسكرية والعمرانية .

أمّا لماذا لميفع محمد على سياسة تعليمية واضحة فىالسودان فالسبب فى ظنى يرجع الى إنّ محمد علىكان يفكّر فى إنشا ولق مترامية الأطلب راف ولذلك كان تركيزه فى المقام الأول على الجوانب الادارية والعسكرية حتلمي اذاما استقرتهذه الأمور فكر فى الجوانب الأخرى •

وتناول أحد الكتاب سياسة محمد على التعليمية بقوله: "كان لمحمد على سياسة معروفة تتعلق بالتعليم فقد كان يغلّب المنفعة على النظريدات وقد أبقى في مصر التعليم القومى ، وهو التعليم الدينى المنتشر في القدري والحواضر على أوضاعه المألوفة ، أى أنه واجه مشكلة الثقافة عموماً ومسائل التربية والتعليم خموصًا بروح الاعتدال فتجنب الإملاء على الناس كما تجنب الفصل بين نظمونظم ، فلم يخلق شنائية في معاهد التعليم بل تمت تلالثنائية في أيام الجيلين الحاض والسابق من المصريين ولم تعرف أيام محمد على إلا ثقافة اسلامية في كل مكان ، أضف اليها إعداداً فنياً في امكنة معينة (1).

ويمكن أن يضاف إلى تشجيع محمد على للتعليم الذى كانموجود أ فللسودان اهتمامه بالرحلات الكشفية ومجهوداته فى كشف منابع النيل معلومة وقدتحدثنا عن ذلك فى النظام الادارى •

⁽۱) عبدالعزيز أُمين عبدالمجيد ـتاريخ التربية فىالسودان ج ٢ مرجـع سابق ص ١٣٠

مما تقدم نلاحظ أنّ محمدعلى قد شجع التعليم الاسلامى الذي كان موجـوداً في السودان بطرق شتى شملت بناء المساجد والخلاوى ودعمها وارســال العلماء إلى السودان وتشجيع الطلاب على السفر إلى القاهرة ، إلا أنّ الأمــر الذي يؤخذ عليه هو أنه لمينتهج سياسة واضحة في هذا المجال كتلك التــي انتهجها في مصر ولم يقمبفتح مدرسة واحدة في السودان في الوقت الــدي أنشاً فيه عشرات المدارس هناك ،

• • •

العصلالياتي المعنام التعتاجم في السودان في الفترة من ١٨٦٣ - ١٨٦٣

: عہیدت

تحدثت فى الفصل السابق عن نظم التعليم التى كانت سائدة فـــــى السودان قبلعص محمدعلى ثم تطرقت لجهود محمد على فى مجال التعليــــم فى السودان بعد ضمه إلى الادارة المصرية وذكرت أن محمد على قد شجع التعليـم الدينى الذى كانموجوداً فى السودان ولكنه لميسع إلى تطويره ولمينيسر له فتـــح مدرسة واحدة فى السودان كما فعل فى مصر وسأحاول فى هذا الفصل تتبـــع جهود خلفا عمد على ، عباس وسعيد فى مجال التعليم في السودان و

_ جهود عباسالأول:

قام عباس الأول باغلاق بعض المدارس التي كان جده محمد على قـــــد افتتحها في مصر مما جعل بعض الكتاب يتهمونه بالرجعية ومحاربة العلــــم والعلما ؛ ولكن الأمر الذي فاجأ به عباس هؤلاء الكتّاب هو قيامه بافتتاح مدرسة نظامية في الخرطوم تعتبر الأولى من نوعها مما جعل قطاعاً كبيراً من المؤرخين يشككون في نوايا عباس ويعتقدون أن عباس ما افتتح هذه المدرســة إلا لتكون منفي لرجال العلم والادب وقبادة النهضة في مصر (١) .

وقد جاء فى خطاب عباس باشا الذى أرسله إلى حكمدار السودان بخصـوص هذه المدرسة مايلى: " لما كانت الاقاليم السودانية من البلاد الجسيمـــة ولمّا لم يكن قد أنشئت فى تلك الديار المتسعة مدرسة يرى فيها أولادمشايخها وغيرهم من اهلها والأولاد الأتراك الذين ذهبوا إلى تلك الديار وتوظنوا بهــا

⁽۱) انظر . Richard _ Egypt In the Sudan.op eit. P. 88. انظر . 88. وكذلك الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطهاوى ـ تحقيق د، محمـــــد عمارة المؤ سسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ج ۱ ص ۷ دومابعدها،

منذ أعوام خلت وكذلك أحفادهم عيتعلموا فيها الفنون والقراءة والكتابــة فيزدادوا شفافة وفطانة ولمما كان المجلس الخصوصى قد تشاور في جلست التى عقدها أخيرًا فقرر إنشاء مدرسة بتلك البلاد بغية انقاذ أولادها مـــن ظلمات الجهل وتنويرهم بأنوار المعارف بمقتضى مراحم الذات الخديويــــة والمكارم الأصفية التي شملت جميع الرعايا والبرايا ، قد قرّ الرأي علـــي أن تفتح هذه المدرسة في العاصمة الخرطوم وأن يكون نظامها موافقًا لاصول المدارس المصرية وعلى نمط ترتيب مدرستى المبتديان (١) والتجهيزية (٢) ،وأن يقبـــل ويسجل فيها نحو مائتين وخمسين غلاماً من أولاد المشايخ والأهلين القاطنيلين بمديريات دنقله والخرطوم وسنَّار والتاكة وملحقاتها ، وكذلك من اولاد الاتراك الذين توطنوا بتلكالديار وأحفادهم وعلى أن يولى عليها ناظر معلم بأصــول المدارس ليتمكن من ترتيبها كما ينبغى وتنظيمها على أحسن وجه فاستحســـن المجلس إختيار أميرالاى رفاعة بك الذي بديوان المدارس ناظرًا للمدرســـة المذكورة وارساله إلى تلكالديار وانتخاب المعلمين الذين تحتاج إليهم تلك المدرسة برأى البك المشارإليه وكتب إلى حضرة صاحب العرة الباشا مديـــر المدارس في ٦ من عجب ١٢٦٦ مورقم ١٦٦ بأن يبلغ رضاعة بك المشار إليه مهمته ويطلب إليه أن يشعر المجلس بالمعلمين الذين يصطفيهم وينتدبهم وأنيف ع مشروعاً يبين فيه مقدار الماكولات والملابس وسائر اللوازم التي تصـــرف لهذه المدرسة شهرياً و سنوياً على نحو الترتيبات المتبعة في المدارس المصرية وأن يرسل هذا المشروع موضوعاً على نهج مدرستى المبتديان والتجهيريــــة كما اسلفنا وقد أنبأنا حضرة المدير المشارإليه في كتابه رقم ٧٢ المحــرر

 ⁽٢) التجهيزية عبارة عن مدرسة ابتدائية كانتتعد الطلاب لدخول المدرســة
 الحربية انظرالمرجع السابق ص ٠٨٣٠

في ١٣ من رجب سنة ١٢٦٦ م انالمعلمين إللازمين لتلكالمدرسة قد انتخبـــوا من بين اكفاء الرجال وأنه قد وضع مشروع يبين فيه الموظفون الآخــــرون ومقادير الفرش والملابس والجرايات والمرتبات فرفع إلىالاعتــــاب فنال موافقة ارادة ولى النعم وأن الاشياء اللازمة للطلبة والمذكوريــــن التي جاء بيانها في المشروع قد قدّرت أثمانها على حسب أسعار القاهـــرة وأنّ على المعلمين الذين ذكرت أسماؤهم في المشروع أن يقوموا بتدريـــــس الطلبة وبمهمة الضبط والربط ، والوزان ووكيل الخرج (١) والغســـال والسقاء والطباخ وغيرهم من الخدم ينبغى انتدابهم من تلك الديار، ،، وأن تتلاميذ اذ يكونون مبتدئين عند دخولهم المدرسة فيستطيعون الدخول في عمداد التلاميذ التجهيرية في ظرف ثلاث سنوات أو اربع فقد اعتبروا مبتدئيــــن والحالة هذه وخصص لكلمنهم مرتبًا شهرى قدره ستة قروش ٠ وقد أرســــل إلينا المشروع المذكور فاطلعنا عليه وتبين لنا أن مجموع نفق المدرسة المذكورة سنوياً تبلغ ثلاثمائة وثلاثين الفا وثلاثة وثلاثين قرشــاً وتسعاً وثلاثيه بارة فوافق المجلس على تنفيذ مقتضىالترتيب المذكور وقسسرر استصدار أمر إلى رفاعة بكالمشار اليه بأن يستصحب حين يبلغه القـــرار الأحد عشر معلماً والطبيب الذين انتدبوا من هنا وذكرت أسماؤهم فىالمشروع السالف ذكره فيسرع بهم الى صوب مهمته ويبادر فىتأسيس المدرسة المذكــورة وينظمها وفق المطلوبالسامي عند وصوله الى الخرظوم بعد أن يخابر حضــــرة الباشا حكمدار السودان وأن لايالوا جهداً فيالتاًكيد علىالمعلمين وفي البحث والتجرى وأن لاتعد عيناه عن التلاميذ واُن يرغبهم فيالعمل ويبذل همتـــــــ في سبيل تقدمهم في اكتساب العلوم والمعارف وأمر إلى صاحب العرة الباشــا مدير المدارس في سياق نحو قيد البك المشار اليهوقيود المعلمين والطبيسب الذين سبق ذكرهم من سجلات استخدامهم ويرسل كشوف مرتباتهم وجراياتهم إلىحمى

⁽۱) لم أقع على معناها ٠

حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان ليقيدوا في مجال استخدامهم بتلسيك الديار جرياً على الأصول وأمر الي حضرة صاحب السعادة حكمدار السودان بان يخصص محلاً مناسباً للمدرسة المذكورة حين يصل اليك المشار اليه إلى الخرطوم فيقيد البك المشار اليه والمعلمين والطبيب السالف ذكرهم بموجب الكشسف الذي سيرسل من ديوان المدارس وأن يختار الخدم والموظفين الآخرين الوارد ذكرهم في الترتيب من أهل تلك الديار وأن يقيد للمدرسة المذكورة بتشاور مع الناظر المشار إليه طلبة من أولاد مشايخ الجهات السابق ذكرهسا وأهلها من أولاد الأتراك المتوطنين بتلك الديار منذ قديم الزمان وأحفادهم على الوجه الذي أسلفنا كما (هكذا) جاءوا حتى يبلغ عددهم ما تتين وخمسيان طالباً وأن يقيد طعامهم ولباسهم ومرتباتهم ولوازمهم الأخرى على الوجسا الذي يبين في كتاب الترتيب إبتداء من تاريخ قدومهم ويحفرها ويصرفها المهم في آونتها ٠ كما قرر المجلس إرسال صور من المشروع المذكور والسلسا المشار اليهم في هذا القرار "(۱) .

وتنفيذًا لما جاء في هذا الخطاب انتخب رفاعة الطهطاوى أُحد عشـــر مدرساً وطبيبا للعمل معه في مدرسة الخرطوم وكان اكثر المدرسين مـــن تلاميذه الذين درسوا عليه (٢) .

⁽۱) عابدين - المعية دفتر ١٩٥٨ قرارات المجلسالخصوصى (تركى) رقــم(٤) صفحة ١١٩ فصل المدارس نقلًا عن د٠ محمد فؤاد شكرى - الحكم المصرى . فىالسودان ٠ مرجع سابق ص٣٠٣-٤٠٠ ٠

⁽٢) الأساتدة الذين أختيروا لمدرسة الخرطوم هم :

۳ الملازم أول محمدعلى أفندى ٤ الملازم ثانى علىعثمان أفندى ص الملازم ثانى ابراهيم محمد أفندى

لقد كان من الأهداف التي يرجى أن تحققها تلك المدرسة ايجاد موظفين سودانيين يعزفون القراءة والكتابة ليتولوا أعمال الكتب والمحاسبين في دواوينالحكومة وربما ترسل هذه المدرسة بعض الطالنين يظهرون استعدادًا طيباً للدراسة في مصر في المدارس التجهيرية والا أن ظروفا غامضة اكتفت إنشاء هذه المدرسة منذ البداية و فعل الرغم من أن قرار إنشاء هذه المدرسة قد صدر في سنة ١٨٥٠ إلا أنه لم يتم افتتاح هده المدرسة إلا في عام ١٨٥٣م فقد مضت ثلاثة أعوام بين صدور القرار بانشاء هذه المدرسة وبين افتتاحها بالفعل وكما ان رفاع الطهطاوي لم يكن سعيداً بالعمل الذي انتخب لأدائه ولعله قد اضطرال اللهطاوي لم يكن سعيداً بالعمل الذي انتخب لأدائه ولعله قد اضطرال المناهمة ولعله قد المسر المناهمة الناهمة والمناهمة والمناهمة

اتهم بعض الباحثين رفاعة رافع الطهطاوى بالتقصير فى أداء مهمته والتهاون فى إنشاء المدرسة فى الخرطوم • ثم اوردوافيراً بأن رفاعـــــة قد تصرف فى المهمات التى أخذها معه من مصر (٢)

⁽⁼⁾ ٦- الملازمثاني محمد مرسى افندي٠

γ الشيخ رجب وكان من علما ً الأزهر ٠

٨- الملازم ثانى أمين أفندى ٠

۹ الشيخ اسماعيل فرغلى •

١٠ـ الشيخ أُحمد الواعظ ٠

¹¹_ الشيخ مكاوى من علما الأزهر ٠

١٢_ الطبيب سليمان السيوطي •

ويلاحظ أنَّ معظم هؤلاء المدرسين من السلك العسكرى •

انظر عبدالعزيز أمين عبد المجيد : تاريخ التربية فى السود ان ج ٢ ، مرجع سابق ص ٢٨-٢٠٠

⁽١) انظرد ابراهيم الحارولو: الرباط الثقافي بينمص والسودان ،ص١٢٠

⁽٢) انظر عبدالعزيز أمين عبدالمجيد • نفسالمرجع ، ص ٣١ •

وقد صحبت الفترة التي قضاها الطهطاوى في الخرطوم ظروف قاسيوا أربعة من المدرسين الذين صحبوه الى الخرطوم للعمل في مدرستها فأصبح هذا حدثًا فاجعًا للعاملين من المدرسين ومصدر فزع لكل من يعين مستقبلاً في السودان و وكانوا يرجعون أسباب الموت إلى رداءة الطقين في السودان والامراض الناجمة عنه وكانمن بين الذين توفوا محمد بيومين أفندى صديق رفاعة ورفيق دربه (۱) .

يضاف إلى كل ذلك تشكيك المؤرخين ـ كما ذكرنا ـ فى نوايا عباس فعباس فى نظرهم مثال للرجعية ومعاداة العلمو العلماء وقد أغلـــــق من المدارس ماكان قائماً فكيف يمكن تفسر افتتاحه لهذه المدرسة مالـــم يكن قصده منها أن تكون منفى للعلماء (٢) • ويؤكدون ذلك بان مرتــــب رفاعة الطهطهاوى ظل محجوزاً منذ أن غادر القاهرة حتى عاد إليها بعـــد وفاة عباس باشا • وكان حجز الصرف بدعوى أن رفاعة كان قد تصـــرف فى الكتبُ خانة الأفرنجية التى كانت بمدرسة الألسن • وتم حجز مرتبــــه متى يتم الفراغ من جرد الكتبخانة • وبعد عودة رفاعة صدر أمر بصــرف بعض استخقاقه • وقد دافع بعضهم عن نوايا عباس فى افتتاح هذه المدرســـة بعض استخقاقه • وقد دافع بعضهم عن واعد عودة رفاعة مذه المدرســـة بعض استخقاقه • وقد دافع بعضهم عن واعد عودة رفاعة مذه المدرســـة بعض استخقاقه • وقد دافع بعضهم عن واعد الطهطاوى أو غيره لأمكنه ذلـــــك

⁽۱) انظر ابراهيم الجاردلو: الرباط الثقافي بين مصروالســودان، مرجع سابق ص١١٠

⁽۲) انظر ده مكى شبيكه : السودان عبرالقرون، مرجع سابق ص وده محمد عمارة : الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهط____اوى ج١، مرجع سابق ص ٦٠٠٠

⁽٣) انظر عبدالعزيز أمين عبدالمجيد ـ تاريخ التربية في السودان ج ٢ مرجع سابق ص ٢٥٠

وأنا أرى أنَّ الأمرين معاً يمكن أن يكونا قد حدثا • لأن المجلـــس الخصوص هو الذى وافق على افتتاح هذه المدرسة كما رأينا فى خطــــاب عباس باشا الىحكمدا والسودان • وربمايكون المجلس الخصوص قد استشعـــر حاجة البلاد إلى مثل هذه المدرسة • فلَّما رأى عباس أن المدرسة تقـــرو فتحها أرسل اليها رفاعة الطهطاوى ومن معه من الأساتذة غير المرغـــوب فيهم •

على كل افتتحت المدرسة بقليل من الطلاب ،واحدا وثلاثين (١) طالباً ولم يزيدوا علىهذا العدد بعد استمرار الدراسة فيها إن لم ينقصوا وهذا عدد قليل جداً بالنسبة للعدد الذيحدد المجلس الخصوص (٢٥٠ غلاماً) وهذا عدد قليل جداً بالنسبة للعدد الذيحدد المجلس الخصوص (٢٥٠ غلاماً) ولمتستمر الدراسة أكثر منسنة دراسية واحدة بدات في شوال سنة ١٢٦٩ هـ الى شعبان سنة ١٢٧٠ هـ وكانت نحواً منتسعة أشهر ولا أحد يستطيع الحديث عن الفائدة التي خرج بها هؤلاء التلاميذ، وفي هذا العام وبعد وفاة عباس باشا صدر أمر في ٢٧ شوال سنة ١٢٧٠ هـ إلى حكمدار السودان بالغصاء مدرسة الخرطوم وذكر أن حكمدار السودان لم يستقبل رفاعة وأصحاب استقبالاً طيباً بل وزع معدات المدرسة على الجيش وأهمل شأن رفاعة وصحبه وقد قيل أنهم بقوا في الخرطوم مدة طويلة دون عمل وبلغ الهسيوان

⁽۱) ذكر ريتشارد هل ان جيمسهاملتون الذى زار الخرطوم فى ذلك الوقت (۱۸٥٣) قد وجد فى مدرسة الخرطوم أربعة وثمانين تلميذًا ليسوا من أبناء الشعب السودانى والمواطنينوإنما هم من أبناء العاملينن فى الدولة كما ذكر أن المدرسة كانت تحت ادارة رفاعة الطهطاوى ومعه أثنىعشر معلماً ومعهم طبيب واحد وأن الطلاب كانوا يدرسون القرآنواللغة العربية والتركية وقليل من الهندسة وعجب هاملتون لتقدم التلاميذ فى هذه الفترة ، انظر :

Hill , Richard _ Egypt in the Sudan - op cit. p. 88.

برفاعه مبلغه عندما ندب لاحصاء النخيل (١)

وقد ذكر الدكتور أبوسليم أن طلاب هذه المدرسة كانوامن أبناء الموظفين وأثرياء المدينة ، أما أبناء العامة فكانوا يذهبون السلسي الخلاوي (٢)

وقد ذكر الشيخ الطهطاوى بأن مشايخ الخرطوم الذين يحفظون القراراً قد تعلموامنه تجويد القراران وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك كما قام رفاعة بترجمة كتاب فى الأدب أثناء مكوثه في الخرطوم (٣)

وبالطبع "لم تسعد الخرطوم الشيخ فصار يرسلالتوسل تلو التوسل لرؤ سائه يستعطفهم العفو عنه واعادته اليممر وقد سجل لنا في كتبيعاً عنالسودان بما في ذلك قصيدة هجا فيها الخرطوم وحياتها القاسية التي إذا قورنت بما رأى من حال المدنية والحضارة في فرنسا تعد اكثـر من بدائية (على المدنية والتي اختتمها بقوله:

ثلاث سنین بالخرطوم مسسرت وکیف مدارس بالخرطوم ترجیی نعم ترجیالمصانع وهی اُجیدی

بدون مدارس طبق المسسراد هناكودونها خرط القتسساد لتاييد المقاصد والمبسادى

⁽۱) انظر د٠ محمد ابراهيم أبوسليم : تاريخ الخرطوم ٠ مرجع سابق ص ١٤٠

⁽٢) انظر محمد ابراهيم ابوسليم • المرجع السابق نفس الصفحة •

⁽٣) انظر الاعكالالكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى • مرجع سابق 1 ص ١٤٦٠

⁽٤) حسب الله محمد أحمد : قصة الحضارة فىالسودان ـ دار يوليو للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م ، جماعة بعث التاريخ السوداني ـ ص ٣٦٦٠

علوم الشرع قائمة لديهــم لمرغوب المعاش أو المعاد (١)

ولم يقضى رفاعة الطهطاوى فى السودان بعد وفاة عباس باشاسوى أيلمام معدودات أعد فيها نفسه لمغادرة الخرطوم إلى القاهرة ولم يعد بعدها للسودان أبداً ٠

هذا ماكان عليه حال التعليم على الصعيد الرسمى وأماعلى الصعيد والشعبى فقد استمرت المساجد والخلاوى والعلماء فى أداء مهمتها التعليمية واستمر الطلاب فى هجرتهم والى مص لطلب العلم فى الأزهر الشريف و

ويلاحظ أنه قد ظهرت لأول مرة فى هذا العهد إجازات علمية لبعلم الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون العلم بالأزهر، وسأحاولهناف التعليق عليها،

أقدم هذه الاجازات المؤرخة هي اجازة الشيخ على العربي من علماً الأرهر لأحمد بن محمد بن عيسى السناري (٢) وولده الشيخ محمد (٣) وهــــي

⁽۱) انظر الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ج إ ص٥٣ومابعدها٠

⁽۲) هو أحمد البدوى أحد حفدة الشيخ عيسى بن بشارة الأنصارى الخزرجيسى ولد بقرية كترانج جنوب الخرطوم •رجِل إلى مصر والتحق بالأزهر ودرس على شيوخه ونال بعض الاجازات • عاد الى السودان سنة ١٢٧١ الموافق م١٨٥٥ وجلس للتدريس في كترانج .كانت وفاته سنة ١٨٦٩/١٢٨٦ ببربر وهو في طريقه إلى الحج ودفن بها • انظر عزد الدين الأمين • قريات على كترانج • مرجع سابق ص ٧١٠

⁽٣) الشيخ محمد بن أحمدالبدوى رحل من مولده كترانج الى مسلم وتلقى علوم الأزهر عن شيوخ والده وحصلمعه على اجازات مشتركة بينها وهذه الاجازات تدل على أن الفقيه محمد تلقى كوالده فى المذاهب الثلاثة المالكى والشافعى والحنفى و ولقد عين الفقيه محمل مدرساً بالازهر وظل فى وظيفته تلك ثمانى سنوات حيث توفى هناك ودفن بمصر بعد أنقام بها اقامة علمية تزيد عن العشرين سنة انظر المرجع السابق ص ٧٤ ٠

بتاريخ سنة المركزة لهذي بعض الاجازات غير المؤرخة لهذي المركزة الأولى (١): الشيخين من بعض شيوخ الأزهر • وقدجا و في الاجازة الأولى (١):

الحمد للمربالعالمين والعاقبة للمتقين ولاعدوان إلا على الظالمين والمعلاة والسلام على سيدنامحمد سيد المرسلين وعلى آلموصعبه أجمعين أما بعد فقد استجازتي كل من أخينا الفاضل والهمام الكامل بركة الوقلي بعد فقد استجازتي كل من أخينا الفاضل والهمام الكامل بركة الوقلي وصالح الزمان الحقيق لكماله بأنيشار إليه بأطراف البنان من أرجو الله أن ينفعني ببركته وشريف همته الممنوح من العطايا بامداد الموللي الباري الشيخ أحمد بن معمد بن عيسى السناري وولده العامل والفاضلل الكامل الشيخ محمدهما أجازتي به مشايخي الكرام الذي من جملته ما تضمنه هذا الثبت لظنه أني أهل لذلك رأني من فرسان تلك المسالك فقلت وبالله التوفيق أجزت كلاً منهما بما تجوز لي وعني روايتهمن معقول ومنقلول أدام الله لهما السرور والقبول راجياً ألاً ينسياني من الدعوات فلي الخلوات والجلواتو الناجي منا يأخذ بيد أخيه يوم لاينفع مال ولابنسون وملى الله على سيدنامحمد وعلى المومحبه وسلم • كتبه بيده الفقير على العزى المعروف بالمحلاني الشافعي مذهباً الأحمدي طريقة غفر الله له ولو الديلة وأحسن إليهما وإليه وإلى جميع المسلمين آمين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وطلى الله على سيدنا محمد وعلى الموصحبه وسلم • (1) .

⁽۱) اعتبرالدكتور عزالدين الامين هذه الاجازة هى الثانية من ضمــــن لاجازات التى منحت للفقيه أحمد بن محمد بن عيسى ولابنه محمـــد ولكن أعتبرها الأولى لأنها تحمل تاريخ سنة ١٢٦٧ ه بينما بقيـــة الاجازات لاتحمل تاريخاً أصلاً أو تحمل تاريخا بعد هذا وانظر: د عزالدين الامين : قرية كترانج وأثرها العلمى • مرجـع سابق ص ٨٣٠

⁽٢) انظر صورة هذه الاجازة في ملاحق هذا البحث ٠

(هنا ختمه علىالعزى)^(۱) ۱۲٦۷

تحليل هذه الاجازة:

طريقة الاجازات طريقة معروفة فى نظم التعليم الاسلامية وقد تحدث عنها القلقشندى باستفاضة فى كتابه صبح الأعشى • وهىنظام أشبه بنظام الشهادات العلمية التى تمنحها الجامعات والمعاهد للطلابها فرا

وبالنظر لهذه الاجازة العلمية يمكن ملاحظة عدد من الملاحظ منها أن هذه الاجازة بدأت بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وهذه سمة موجودة في كل الاجازات باعتبار أن كل أمر ذي بال لابد أن يبلدا بالبسملة والصلاة على النبي - ص - ٠

الملاحظة الثانية هيأن الطلاب هم الذين يطلبون هذه الاجازات مصلف شيوخهم ويتضح ذلك من قول الشيخ (فقد استجازني كل من أُخينا الفاضلل والسهمام ٠٠٠ الخ) ٠

ولكنالشيخ لايقوم باعطاء الاجارة إلا بعد أن يتاكد من اتقلماء الطلاب لعلومهم باعتبار أن هذا العلم أمانة ٠

الملاحظة الثالثةهىأن الشيخ يجيز فيما أُجازه مشايخه من علــــم وبهذه الصورة يكون العلم منضبطا ومتسلسلا٠

الملاحظة الرابعة تتعلق بأسلوب كتابة الاجازة الذي غلب عليه السجع وهو من أُساليب تلك الفترة •

⁽۱) يذكر الدكتور عزالدينالامين أن اسم هذاالشيخ هو الشيخ محمــــد العربى وليس العزى • انظرد• عزالدينالامين : تراث الشعـــــر السودانى • مرجع سابق ص ١٤٤٠

من الملاحظات أيضاً أن هذه الاجازة لم تحدد علماً بعينه ولا كتابسا باسمه وإنما جاء فيها (أُجرون كلاً منهما بما تجوز لى وعنى روايت من معقول ومنقول) وربما يكون سبب ذلك أن الشيخ كان مشهورًا وبالتالسي كانت المواد التى يقوم بتدريسها مشهورة ومعروفة كذلك •

فى نهاية الاجازة ذكر الشيخ مذهبه وطريقته واختتم ذلك بالدعاء له ولوالديهولسائر المسلمين ثمالصلاة والسلام على رسول الله • وفى ذيــــل الاجازة وفع ختمه •

- الاجازة الثانية ⁽¹⁾ :

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم والحمد منك وإليك ونصلى ونسلم على سيدنا محمد خيسر من دل عليك وعلى آله وصحبه الهادين والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين أمّا بعد فقد طلب منى الشيخ الفاضل والصالح والكامل الناجح الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى السنارى وولده العالم الفاضل محمد أن أجيز كلاً منهما بما تصح لى اجازته وصحت لى روايته من العلوم منقولها ومعقولها وقد اجتمع علينا كل منهما في قرائتنا بالأزهر الأنور المعمور بذكر الله وسمع كل منهما منّا من العلوم منقولها ومعقولها ومعقولها وهمع كل منهما منى على شروط الاجازة المقررة المشهورة في بابها المحررة موصياً لهما بتقوى

⁽۱) اصول هذه الاجازات موجودة بمكتبة جامعة الخرطوم و أورد نصوصه كل منعبد العزيز أمين عبد المجيد - تاريخ التربية فى السودان - مرجع سابق ج ٣ ص ٤٩-٥٥ و د٠ عز الدين الامين : قرية كترانج و اثرهالعلمى فى السودان - مرجع سابق ص ٨٩ وما بعدها٠

الله العظيم وأن لاينسيانى فهي خلواتهما وجلواتهما من صالح دعواتهم وعلى الله اعتمادى وهو حسبى وكفى وسلام على عباده الذين أصطفى قالسه الفقير أحمد بنحمد كيوة العدوى حامداً مصلياً مسلماً.

(ختمه احمد بن على بنحمد كيوه المالكي)(١)

التعليق على الاجارة:

نفس الملاحظات السابقة يمكن ملاحظتها على هذ الاجازة مما يدل عليه ان أسلوب كتابة الاجازات في الأزهر كان أسلوبا واحداً معروفا ومتداولًا حتى ان الباحث يلاحظ أن عبارات بعينها قد وردت في الاجازتين معا مما يجعلني اعتقد بأن أحد الشيخين قد رأى اجازة الشيخ الآخر قبل أن يكتب هو اجاز ولوكانت الاجازة الشانية مؤرخة بتاريخ معين لاستطعت أن أحدد من مين الشيخين رأى اجازة الشيخ الآخر ، إنفردت الاجازة الثانية بوصية للفقيد أحمد وابنه بتقوى الله العظيم ،

-الاجارة الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحب وسلم حمدًا لمن فتح قلوب ذوى المعارف لفهم أسراره ونوَّر بصايرهم (هكيدا) بنور جلاله وكساهم حلل أنواره فهم الوارثون للعلوم من حضرة الرسول مصع اقتفا (هكذا) آثاره والمغازون (٢) منه ببث العلوم والمعارف فصح سنده في ذلك وتابعهم في ذلك سالف وجائف والسعيد من تعلق بأريالهم واقتفا (هكذا) آظارهم والا فهو تالف وصلاة وسلاماً على (على) (٣) من قال علما (هكذا)

⁽¹⁾ انظر صورة الاجازة في ملاحق هذا البحث ٠

⁽٢) لعلها المجازون ٠

⁽٣) زيادة في الاصل ٠

أمتى كأنبيا (هكذا) بنى اسرائيل فكفى بذلك شرفاً وياحبذا ذلك الفضل الانتظيم وعلى الآل والأصحاب والأتباع ذو الفضل الجزيل وبعد فلمّا كلات السند من مهمات الدين وشأن (هكذا) الجهابذة المخلصين طلب أخونا العمدة الفاضل العلامة اللوزعى الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن على السنارى و ابنه الشيخ محمد أن أجيزهما بما تلقيته عن الجهابذة الأعلام على على عادة المحيين فأجزتهما بذلك و ان كنت لست أهلًا لما هنالك ضارعاً رالى المولى التريم أن ينفع (١) به المسلمين موسياً بالتقوى فانها السبب الأقوى و الأيقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه و أن لاينسانى فين صالدعواته وطواته وطواته وطلاة على سيدنامحمد وعلى اله وصحبه وسلب الفقير الى الله تعالى أحمد ابو السعود الاسماعيلى المالكي الصعيدي المقيم بالأزهر عفي عنه ٠

ر هنا ختمه احمد الاسماعيلي)^(۲)

التعليق على الاجازة:

تضمنت هذه الاجازة ماتضمنته الاجازات التى سبقتها وهىكذلك مثلل التى سبقتها بدون تاريخ • ويلاحظ أن بعض كلماتها لم ترسم رسماً صحيحاً خاصة تلكالتى تنتهى بهمزة على السطر كاقتفاء وعلماء وأنبياء حيكت كتبت بدون همزة • كما أنّ بعض الكلمات فى الاجازة ساقطة مثل كلمية ينفع المشار اليها وفى نفس الوقت وكانت هناك كلمات زائدة فى الأصلمان كلمة على كما شاهدنا •

⁽١) غير موجودة بالاصل ٠

⁽٢) انظر د٠ عزالدينالامين : قرية كترانج وأثرها العلمى ٠ مرجـــع سابق ص ٨٣ - ٨٤ ٠

يلاحظ كذلك ان الاجازة كانت للشيخ أحمد وابنه إلا أن نهايته كانت خطابًا لمفرد لا لمثنى (أن ينفع به المسلمين • أن لايقدم على أملسرحتى يعلم حكم الله فيه وأن لاينسانى من صالح دعواتهفى خلواته وجلواته) •

الاجازة الرابعـــة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد العلى الماجد الصمد والصلاة والسلام على الرسول السند سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولى الاغاثة والمدد وبعد فلما كان الاسناد من الدين وقد جرى عليه السلف من المتقدمين والخلف مسن المتأخرين وقد قيل أن من لا سند له كاللقيط الذى لا أب له ، استجازن العالم الفافل والهمام الرحامة الكامل الأغ فى الله تعالى الشيخ أحمد إلى أحمد بن محمد بن عيسى الأنصارى السنارى وولده الشيخ محمد بما تجوز لي أشياخى العارفون والأيمة (هكذا) الهداة المحققون موصياً لهما بما أوصى به نفسى من تقوى الله العظيم والنصح لعباد الله المسلمين بمتابع أوصى به نفسى من تقوى الله العظيم والنصح لعباد الله المسلمين بمتابع النبى الكريم ومن يتقى (هكذا) الله يجعل له من أمره يسرا ومن يتقلم الأولى والآخرة والملاة والسلام على سيدنا محمد وخلقنا باخلاقه الطاهرة والمؤلى والآخرة والملاة والسلام على سيدنا محمد وخلقنا باخلاقه الطاهرة وكتبه راجى عفو الله الفقير محمد خير الله العدوى المالكي عفي عنه ومناختمه)(1) .

الاجازة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهوالصلاة والسلام على رسول الله صلى اللهعليه وسلم أما بعد

⁽۱) انظر د٠ عزالدينالامين ـ قريةكترانج وأثرها العلمى ٠ مرجـــع سابق ص ٨٦٠

فقد أجرت الأخ فى الله الهمام الأمجد والامام المفرد أحمد بن محمد بنعيسك الأنصارى النسارى وولده الفاضل الكامل الشيخ محمد بجميع ما تجوز لى روايت أو تصح عندى دراية من فروع وأصول ومنقول ومعقول كما أجازنى بذلك أشياخي سيما بما حواه ثبت شيخنا الأمير عليه وعلى بقية أشياخى سحايب (هكذا) رحمة ربنا السقدير متع الله الوجود ببقاء المجازين ونفع بهما فى الداريين وأحسن لنا ولهما وجميع أهل العصر من المسلمين والختام بجاه الرسول الامام الفقير مصطفى المهلط الشافعى خادم العلم بالازهر و

(هناختمه)⁽¹⁾

الاجازة السادسية:

بسم الله الرحمن الرحمن الحمد لله والصلاة والسلام على رسول اللسسه أما بعد فقد أجزت الأخ فى الله الهمام الأمجد والامام الشيخ أحمد بن محمد ابن عيسى السنارى الأنصارى وولد هالشيخ محمد فىجميع مايجوز لى روايته أو تصحعنى درايته من فروع وأصول ومنقول ومعقول كما أجازنى بذلك أشياخ مسيما بما حواه ثبت شيخنا الأمير الكبير وولده سيدى محمد الصغير عليهم وعلى بقية الأشياخ رحمة ربنا التدير متع الله الوجود ببقاء المجازي ونفع بهما فى الدارين وأحسن لنا ولهما وجميع أهل العصر من المسلمين الختام بهاه الرسول الختام عليه أفضل الصلاة والسلام الفقير الى اللسسه أحمد و

(هنا ختمه أحمدالسنهورى) (۲)

ويلاحظ فى الاجازتين الخامسة والسادسة تشابه الأسلوب حتى أن كثيـــراً من الكلمات تكاد تكون متطابقة ٠

⁽۱) انظر د عزالدین الامین : قریة کترانج و اُثرها العلمی • مرجع سابــق ص ۱۸۰

⁽٢) المرجع السابق نفس الصفحة ٠

هذا بالنسبة للاجازات المشتركة بين الفقيه أحمد بن محمد بن عيســـــى وولده محمد ولكنتوجد هناكاجازتان منفردتان لكل منهما من الشيخ عليـــش وتحمل كل واحدة منهما تاريخ سنة ٢٦٨ وهما كمايلى :

(۱) اجازة خاصة بالفقيه أحمد البدوى بي الشيخ محمد بن عيسى : بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربالعالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آلسه وصحبه أجمعين صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين أمّا بعد فيقول محمسد عليش قد من الله تعالى على بصحبة الشيخ المبارك أحمد بن الشيخ أحمد (1) بن الشيخ عيسى السنارى المشهورين بالعلم والملاح والبركة مدة مفيدة ومشاركتى في كتب عديدة في فنون من العلوم الفرعية وآلاتها ولما أراد العود إليوطنه التمس منى الاجازة بها ظنامنه أنسسى من أهل ذلك وأنا متيقن أنى لست ممن سلك تلك المسالك ولكن جبر خاطسره ورجاء بركته حملاني على اجابته فقلت أجزت أخى المذكور بما سمعه منى وغيره مما أجارني به فأشياخي ضاعف الله لهم الأجور موصياً له بملازمة التقسوي فانها للفلاح السببالأقوى وأن لا ينساني من صالح دعواته في جلواته وخلوات فارعاً للسبالأقوى وأن لا ينساني من صالح دعواته في جلواته وخلوات فارعاً للسبالا وأن يجل النا ولأخواننا الأحوال وأن يختم لنا بخاتمة السعادة وان يجعلنا ممن لهم الحسني وزيادة الذين دعواهم فيها سبحانك اللهسم وتحييتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (٢) .

(هنا ختمه محمد علیش ۲۸) ۰

⁽۱) ، زیادة فی الاصل ۰

⁽٢) انظر قرية كتراهج واثرها العلمي ٠ مرجع سابق ص ٧٧٠

اجازةخاصة بالفقيه محمد بن أحمد البدوى:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن أجاز مستجازه وشكرًا لمن أجاب من دعاه وأفازه فله الحمسد على نعمه التي لاتحصي وله الشكر على مننه التي لاتستعُصي سبحانه لا الـــــه غيره ولا خير إلا خيره رب العالمين وبر للعاملينوهو أجل من أن يثنى عليه وإنما هي أُعراض دالةعلى كرمه منحها لنا على لسان رسوله لنعيده بهـــا على ُقدارنا لا على قدره وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد واله وصحبه مدى الأبد أما بعد فيقول محمد عليش قد تفضل اللهتعالى على بصحبة الشاب الصاليح المبارك الشيخ محمد بنالشيخ أحمد بن الشيخ محمد بنالشيخ أحمد (١) بــــن عيسى السنارى المشاهير بالعلم والصلاح والبركة مدة طويلةوشاركني فـــي كتب كثيرة من فنون العلوم الشرعية ومايعيه عليها وحين قصده الرجـــوع إلى بلده (٢) طلب منى اجازه لحسن ظنه فأُجبته وأُجزته راجياً البركة لـــى وله قائلًا أُجزت اخي المذكور بما سمعه مني وغيره مما أُجازني به اُشياخــي ضاعف الله لى ولهم الأجور موصياً له بملازمة تقوى الله وتقديمها على كــــل ماتميل اليه النفس وتهواه سائلاً المولى الكريم أن يفيض علينا خيره الجسيم وأن يوفقنا للعمل بما علمناه ويمن علينا بعلم ماجهلناه وأن ينجينـــا من الأهوال ويصلح لنا المُحوال وأن يمن علينا بحسن الختام بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وعلى سائر النبيين والحمد لله رب العالمين (٣) ..

(هنا ختمه ـ محمد علیش ٦٨)

⁽١) زيادة في الأصل ٠

⁽٢) فى الأصل قصده ولكن المعروف أن الشيخ محمد لم يرجع الى بلده وانما بقى فى مصر إلى أن توفى ٠

⁽٣) انظر صورة الاجازة في ملاحق هذا البحث ٠

هذه الاجازات تعكس المستوى العلمى الجيد الذى حازه الشيخ أحمد وولده الشيخ محمد الذى أوصله علمه لأن يصبح استاذاً بالازهر ولاشك أن الشيصيخ أحمد وابنه ماهما إلا نموذجين لكثير من الطلاب السود انيين الذين هاجروا إلى الأزهر لتلقى العلم في هذه الفترة •

_ التعليم في السودان في عصر سعيد باشـا :

كان محمد سعيد مثل عباس باشا فىعدم اهتمامه بالتعليم فىمصر والسودان على الرغممنعلمه وشقافته وتأثره بعضارة أوربا وبل قام سعيد بقفل المدرسة الوحيدة التى أنشأها عباس في الخرطوم والتى كانت بدايدة للتعليم المنظم فى البلاد و

ولكن استمر الحكمداريون فى منح العطايا والمكافات للعلمصاء والأدباء والطلاب الامر الذى شجع الحركة العلمية ولكنها على كل حال تبقىي حركة شعبية غير مرشدة ولا موجهة •

شهد عصر عباس وسعيد نوعاً جديداً من أنواع التعليم وهو التعليليم

فأن محمد على باشا كان قد أصدر أو امره للولاة فى الفرطوم بتقديسم كل عون للارساليات واعفائها من الفرائب • كما وافق سلطان تركيا العثمانيي استجابة لرغبة الامبراطور فرانز جوزيف امبراطور النمسا على منح الارساليات التبشيرية فى السود ان نفس الامتيازات و الاعفاء اتالتى منحن للمبشريسين النصارى فى سائر أرجاء الدولة العثمانية (۱) • وهذه الامتيازات كانت قسد

⁽١) انظر محمدعمر بشير : تطور التعليم في السودان ـ مرجع سابق ص ٢٤٠

منحت للدول الاوربية فى الدولة العثمانية فى طورها الأخير أيام ضعفهـا

وقد بدأ نشاط الارسالية الكاثولكية فىالخرطوم سنة ١٨٤٨حينما وصل الأبلويجى منتورى (٢) وفتح مدرسة صغيرة لأبناء الجالية النصرانية بالخرطوم ثم أنشا كنيسة ومقبرة و وتواصل هذا الجهد بوصول دفعات منالمبشريل البيض الذين عرضوا لنكبات المرض والموت فى وسط أفريقيا حيث أمر البابا باغلاق ارسالياتهم فى وسط أفريقيا وقرر بقاءهم فىالخرطوم (٢).

وقد كان القبول مدرسة الأب ليوجى منتورى قاصراً على أبناء الكاثوليك المقيمين في الغرطوم وأبناء الرقيق الذين حررتهم الحكومة وكان التلاميذ يدرسون فيها القراءة والكتابة والانجيل (٣) .

وقد كتبالاً منتورى إلى ممثل البابا بأنه اعتزم فتح مدرستي وقد كتبالاً منتورى إلى ممثل البابا بأنه اعتزم فتح مدرستي واحداهما بمنطقة الشلك بالجنوب والثانية بين قبائل القالا في شرق السودان على حدود أثيوبيا وكانمن رأيه أن يعلم ويدرب نفر من هذه القبائل للمساعدة في نشر النصرانية في أفريقيا الوسطى والاأن الاب منتورى فللمسادر السودان قبل تنفيذ مشروعاته وخلقه في الاشراف على الكنيسة والمدرسة القس سبراسنت الذي ترك رعاية الارسالية والمدرسة في عام ١٨٥٥م (٤) .

⁽۱) قسيس منابلي بايطاليا كانقد حكم عليه بالاعدام في أثيوبيا ولكنه فر الي السودان •

⁽٢) انظر حسان مكى محمد أحمد : جزور وأبعاد التبشير المسيحى فللسام العاصمة المثلثة • المركز الاسلامى الأفريقى بالخرطوم شعبة البحست والنشر • كراسة رقم(١) ص ٤٠

⁽٣) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان • مرجع سابق ص ٥٥٠

⁽٤) انظر المرجع السابق نفس الصفحة ٠

وتنفيذاً لمقترحات الأب منتورى وافقالبابا جريجورى السادس عشرو على إنشاء مركز للفاتيكان في أفريقيا و أصبحت الخرطوم بمقتفى هلى إنشاء مركزاً لنشاط الارساليات الكاثولكية في السودان و ونتيجة المرسوم البابوى مركزاً لنشاط الارساليات الكاثولكية في السودان و ونتيجة لهذه الجهود افتتحت مدرسة بالخرطوم التحق فيها أبناء الأقباط و أبنوانا الأوربيين الموجودين الغرطوم إضافة إلى أبناء غير المسلمين من السودانيين وكان يدرس فيها اللغات العربية والفرنسية والايطالية والحساب والموسيقي والأعمال اليدوية ، وقيل أن تلامذة هذه المدرسة قد بلغ عددهم في وقلم من السودانيين وكانتالمدرسة تحظري بتأييد سلطات الحكومة ولم يعترض عليها الأهالي لأنه لم يكن يعنيه من أمرها شيئاً إذ لم تفتح أبوابها لقبول أبناء المسلمين بل اقتصرت عليابناء المسيحيين (۱) .

هذا وقد أُرسل أثنان من تلاميذ هذه المدرسة الىمالطة لمواصلت تعليمهم بينما انخرط الفُلاميذ الآخرون الذين كملواتعليمهم فى المدرست فى سلك العمل الحكومي (٢) ، وقد اتسع النشاط التبشيرى فى السودان حتسم شمل الجنوب حيث أسس مركزان فى غندكرو فى سنة ١٨٥٠م وفى كاكا سنة ١٨٦٢م ، الاأن هذين المركزين لميذكر لهما نشاط فى حقل التعليم (٣) .

هذا ماكان عليه امر التعليم فيعصري عباس وسعيد وسنحاول فللم

(۱) انظر محمدعمر بشير : تظور التعليم في السودان ، مرجع سابق ص ٥٠٠

⁽٢) المرجع السابق ص٥١٠٠

⁽٣) نفس المرجع والصفحة •

الفصل الثياث نظام النعابم في السودات في المناترة من ١٨٦٣-١٨١٥

نظام التعليم في السودان في عصر اسماعيــل:

ذكرت في الفصل السابق أنَّ عباس باشا بدأ في السودان لأول مسرة تعليمًا منظمًا وذلك بافتتاحه مدرسة الخرطوم التي أغلقت بعد عام واحسد من افتتاحها • كما أشرت إلى أن سعيد باشا لم يهتم بأمر التعليم لافصص مصر ولا في السودان على المستوى الرسمى • أماعلى المستوى الشعب فقد استمرت المساجد في أدا وسالتها واستمر طلاب العلم في هجرتها الي الأزهر كما استمر العلما والمشايخ في نشر العلوم والمعارف على الراغبين فيها •

الا أُنَّ أَكبر نهضة شهدها التعليم في السودان في هذه الفترة كانـــت في عهد اسماعيل وذلك في اعتقادي ربما يرجع الى سببين:

- (1) السبب الأول هو اتصال اسماعيل بأوربا ووقوفه على النهضة هنـــاك وبالتالى محاولة جلب هذ هالنهضة لبلاده وهذا الاتجاه لايمكن أن يتم إلا بنشر التعليم الحديث •
- (۲) حرص اسماعيلالشخصى واهتمامه بالسودان وترقية سكانه ويظهر هـــدا الحرص ـ كما سبقت الاشارة ـ فى معظم المراسلات التى كانت تدور بيـن اسماعيل وولاته فى السودان ٠

ويمكن أن نشاهد آثار هذه النهضة التعليمية على المستويين الرسمـــى والشعبى •

اولاً: على المستوى الرسمى:

فى عام ١٨٦٤م طلب موسى حمدى حكمدار السودانمن الخديو اسماعيـل ر انيوافق علىتعليم ابنا العمد والمشايخ القراءة والكتابة وذلك للاستعانـة كما طلب هذا الحكمدار من الخديو ترتيب راتب شهرى مع كمية مصصف الذرة لبعض الزوايا التى يتلقى فيها الطلاب العلموقد رد الخديو على طلبه بالخطاب التالى :

> من المعية المحكمدار السودان موسى حمدى في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٠ ه الموافق ٢٧ مارس ١٨٦٤م

"قد اطلعنا على المكاتبة العربية الواردة منكم رقم البناريسين المربسنة ١٨ رجب سنة ١٨ التى تطلبون فيها ترتيب مرتب ٧٥ قرشاً وأردباً من السخرة شهرياً إلى الراوية التى بناها الشيخ مصطفى ابراهيم الأصوانى أحد الفقسرا المتوطنين في بربر بناءً على التماسه ترتيب مبلغ بصفة إعانة حيث أن تلك الراوية محضرة لتعليم القرآن والعلوم الدينية وينتسب لها أثنان وعشرون نفرًا لتلقى العلوم الشريفة والتى تذكرون فيها أن المساجد الشريفة الكبيرة المصوجودة بالسودان مرتب لها مرتبات لغاية ٢٥٠ قرشاً وأربعة أرادب بصفة احسان من الحكومة إعانة لها لمعيشة الفقراء(٢) وبما ان أملنا الوحيد هسو قيام الشعب بتحصيل العلوم وتعلمها وصلاح حالهم ودخولهم إلى سبيل المدنية بتعلم القراءة والكتابة وحيث أن إنشاء مثل هذه الزوايا والأعمال الخيريسة مما يستوجب سرورنا نأمر بتوسيع زاوية الشيخ مصطفى ابراهيم وتجديسسد

⁽۱) انظر دالسید یوسف نصر: الوجود المصری فی أفریقیا ـ مرجع سابـق ص ۲۷۲۰

⁽٢) يعنى الطلاب المنقطعين لتلقى العلم ٠

بنائها لتكون مشيل الزوايا الأخرى بالسودان على نفقة الحكومة واحتساب المصاريف وخصمها من الاحسانات على جانب الديوان ، ونأمر أيضاً بصرف ٢٥٠ قرشاً شهرياً الى ماشاء الله وكذلك صرف أربعة أرادب شهريا بصفة احسان للزاوية المذكورة لفقراء الأهالى الذين سيقصدونها لتعلم القرآن والعلوم الشريفة أسوة بالمساجد الكبيرة ، فنأمركم بتنفيذ ذلك كما أننانطلب منكم عناية كبيرة بتعليم القرآن وتدريس العلوم للأهالى في مقابلل

وهذا الخطاب يعتبر من أكبر الدلائل على حرص اسماعيل على نشر التعليم في بلاد السودان ، إذ أن حكمدار السودان وصاحب الزاوية المذكورة قصد طلبا مبلغ ٧٥ قرشا فقط و أردباً واحداً من الذرة ولكن حرص الخديو على نشصر العلم جعله يرفع المبلغ إلى مائتين وخمسين قرشاً كما أنه رفع أردب الذرة إلى أربعة أرادب •

ويزيد الخديومناهتمامه بالتعليم فيأمر بفتح خمسة مدارس ابتدائية دفعة واحدة بدلاً منمدرسة واحدة تكون فى الخرطوم وذلك بغرض نشر التعليم فى أكبر مساحة ممكنة من البلاد السودانية وقد رؤى أن تكون هذه المدارس فى مدن الخرطوم ، بربر ، دنقله ، كردفان ، والتاكة ، وقد جاء فللم خطاب اسماعيل للحكمدار بهذا الشأن مايلى : " وحيث أن تأسيس خملس مدارس فى المديريات المذكورة لنشر وتعميم العلوم والمعارف والحضارة على الوجه المشروع موافق لنفس المصلحة ، بناءاً عليه بادروا إلى اجسراء ايجابه واسعوافى تعليم سكان الجهات المذكورة وتقدمهم بأحسن وجه "(٢).

⁽۱) عابدین المعیة دفتر ۲۹ه ترکی رقم ۲ ص۱۱۷ نقلا عن د۰ محمد فاد شکری المحکم المصری فی السودان ۰ مرجع سابق ص ۰۳۰۰

⁽٢) مكى شبيكه : السودانعبر القرون مرجع سابق ص١١٤٣

وقد رودت هذه المدارس بما يلزمها من الكتب والأدوات المكتبيـــة وغيرها وقد خصت مدرسة الخرطوم بخمسين كتاباً من كل صنف من أصنـــاف الكتب المقررة وزودت المدارس الأخرى بخمس وعشرين كتاباً من كل صنف مكمـــا زودت هذه المدارس بالمدرسين اللازمين للتدريس (۱) وكان كل واحــــد منهم يتقاضى مبلغ شهرى قدره ألف قرش م أمّا العمال فقد كان العامــــل يتقاضى مبلغ خمسة وثلاثون قرشاً (۱) .

وقد كانت هذه المدارس تحت الاشراف الفنى لديوان المدارس بمصــر، وتتبع خطط الدراسة المتبعة فى المدارس المصرية وقد اختير بعض خريجــى هذه المدارس لاتمام تعليمهم بمدارس التلغراف والهندسة والطب والصيدلــة، والمدارس الفنية بمص (٣) .

وقد بلغ عدد الطلاب الذين كانوا يتلقون تعليمهم في مدرسة الخرطوم المدوم المدارس الأخرى (٤).

والمناهج التى تدرس فى هذه المدارس اللغة التركية وفى بعضه اللغة الفرنسية والرياضيات والجغرافيا والتاريخ كما كان يدرس فيه علماء من الأزهر علوم اللغة العربية والدين كشرح الكفراوى وشرح الشيخائد أو شرح الأزهرية وشرح ابن عقيل على الفية ابن مالك • بالاضافالي الله عنى به عناية خاصة ، حتى أنّ الطالب لاينجالي إذا رسب فيه • ويمكننا من ذلك أن ندرك المستوى الرفيع الذى بلغتالك المدارس (٥) •

⁽۱) وزع هؤلا المدرسين على المدارس كالتالى ؛ محمود شاكر أفندى بمدرسة الخرطوم ، حافظ محمد على الخربوطلى بمدرسة دنقله ، محمد أفندى يوده بمدرسة بربر ، حافظ خليل أفندى بمدرسة التاكة ، اسماعيلي يوسف افندى بمدرسة كردفان٠

⁽۲) انظر د السيد يوسف نصر: الوجود المصرى في أفريقيا، مرجع سابق ص

⁽٣) أنظر شوقى الجمل : تاريخ سودان وادىالنيل ج٢ مرجع سابق ص١٤٣٠

⁽٤) انظر د٠محمدعمربشير: تطور التعليم في السودان ٠ مرجع سابق ص ١٤٢٠

⁽٥) انظر محمد سليمان :دور الأزهر في السودان مرجع سابق ص ٥٥٧

وكان من يتخرج فى هذه المدارس من الطلبة يستوعب فى الوظائــــف فى دواوين الحكومة للمساعدة فى الادارة والكتابة ومن أراد منهم أنيواصل تعليمه يلتحق بالمدرسة التجهيزية فى مصر(١) .

" وكان نظام الدراسة في هذه المدارس ينقسم إلى قسمين: قسمسم خارجي وهو بالمصروفات التي تبلغ قيمتها الشهريةريال مجيدي لكل تلميد (أي ستة عشر قرشاً) وقسم داخلي وكانت الدراسة فيه بالمجان، وبعد التخرج كانتلاميذ القسم الداخلي يعينون في وظائف كتابية في السلكيسن العسكري والاداري بينما كانتلاميذ القسم الخارجي يخيرون بينالتوظيسف والأعمال الأخرى وكان تلاميذ هذه المدارس من أبنا المصريين المقيميسن بالسودان ومن أبناء جنود الجهادية والمشايخ والعمد" (۲) ،

هذاوقد كان جعفر باشا مظهر حكمدار السودان محبًا للعليم والأدب فاجتمع حوله كثير من العلما والأدباء الذين كسبوا عطفه و ونالهم حظ مسن رعايته واهتمامه و فخلق هذا الاهتمام وسطاً ادبياً علمياً في أيامه وزاد من الصلة الثقافية بين مص والسودان واخذ أدباء السودان وشعراؤه يرسلون أعمالهم الأدبية لنشرها في الوقائع المصرية بالقاهرة "(٣) .

وقد كتب هذا الحكمدار إلى مصر يطلب الموافقة على إرسال بعثـــات من الطلاب السودانيين الذين يحفظون القرآن وممن حصلوا على بعض مبادى الفقه والتحقوا للدراسة بالأزهر الشريف لمدة ثلاث سنوات يعودون بعدهـــا لأهلهم رسل ثقافة دينية سليمة ودعاة دين قويم (٤) .

⁽۱) انظرده ابراهیم الجاردلو ـ الرباط الثقافی بین مص والسودان ۰ مرجعسابق ص۱۹۰

⁽٢) د٠ السيد يوسف نصر : الوجود المصرى في أفريقيا ١ مرجع سابق ص ٢٧٨٠

⁽٣) انظر د١٠براهيم الجاردلو٠ نفس المرجع ونفس الصفحة ٠

⁽٤) انظر محمد سليمان : دور الأزهر في السودان ٠ مرجع سابق ص٥٦٠

وقد رد عليه الخديو بالخطاب التالى : من المعية إلى حكمدار السودان جعفر باشا مظهر في ه شعبان سنة ١٢٨٤ (٢ ديسمبر ١٨٦٧م)

فقد عرضنا على أعتاب ولى النعم إفادتكم المفصلة الواردة هذه المسرة بتاريخ ١٧ رجب سنة ٨٤ الوارد فيها أنه بناءاً على أمر الجناب العالـــــى الخاص بلزوم تشويق وترغيب الأشخاص المسلمين بعلوم الفقه والنحو مـــن أهالى السودان فى الحفور إلى الجامع الأزهر وملازمتهم الاقامة فيه مدة سنتين أو ثلاث سنوات لتكميل علومهم وهذا لأجل نشر وتعليم أصول أحكام الشريعــة والديانة في الأقطار السودانية حيث أنه يندر وجود العلماء والفقهـــاء فيها ـ بناءً على ذلكم الأمر قد أحضرتم معكم هذه المرة نجلى المرحوم الشيخ عمر قافى عموم مديرية التاكة وذهبتم بهم إلىجامع الأزهر وحيث اعاشتهما برغيف واحد فقط الذي هو المرتب الوحيد لطلاب الجامع المذكور سيؤدى إلــى نفورهما كما أنه سيوجب كسر رغبة أمثالهما فى المجىء إلى منهما ليكون مـــدادًا لمعيشتهما وحيث أن الجناب العالى وإن كانوافق على تخصيص مرتب يوهـــى لمعيشتهما وحيث أن الجناب العالى وإن كانوافق على تخصيص مرتب يوهـــى الكريم بلزوم صرف هذه اليوميات من إيرادات الأقاليم السودانية "(1)

كما التمس الحكمدار جعفر مظهر كذلك ريادة المرتبات لمعلمال علمارس الابتدائية في السودان وقد جاء رد الخديو كالتالي :

إلى حكمدار السودان في ١٨ ربيع الاخر سنة١٨٧٧ (١٨يوليه ١٨٧٠م) أمر منطوقه لقد علملدينامنافادة سعادتكم المؤرخة ١٤ ربيع الأول سنة ٧٨ ه نمرة (١) أن تلاميذ المدارس الأميرية التي بمراكز مديريـــات

⁽۱) د محمد فؤاد شكرى الحكم المصرى في السودان - مرجع سابق ص ٣٠٦٠

السودان تقدموا فىالكتابة والقراءة حتى أن بعضهم ألحق بعملية التلغسراف والبعض استحصل على الكتابة الديوانية والبعض جارى تعليمه فن الهندســة ولمناسبة أن الماهيات المرتبة لكل منالخوجات (١) - مايتينوخمسيــــن مرش مكفى والنظار فنهم لغاية خمسماية قرش وتكرر منهم التماس مكافاتهـم على خدماتهم فلهذا وكونهم الجميع يستحقوا الريادة فقد أوعدتهم (٢) بها واُستحسنتم أن تكونالعلاوة للخواجات من ثلاثمائة قرش لفاية خمسمايــــة قرش بحسب استعداد ووظائف كل منهم وماية قرش على ماهيات النظار وأُردب ، واحد نرة لكل من الخوجات والنظار لبذل مجهودهموالتقائهم لأداء وظائفهم لما يستلزم على هذا من انتشار المعارف بالجهات السودانية وانتظــــام أهاليها في سلك التمدن كما هو أقصى آمال الحضرة الخديوية • وعلمنـــا ر أن هذا ناشى على حسن مساعيكم الخيرية وبذل مجهود الخوجات في حركسة التعليموقيام النظار بأداء واجبات الضبط والر بط وحيثانهم بهــــنا صاروا يستحقون المكافأة علىحسن صنيعهم فقد وافق لدينا مااستحسنتمــوه من علاوة الماية قرش شهرى على ماهية كل منالنظار واجعال ماهية النوجات من ثلاثمائة قرش الى خمسماية قرش بحسب ماتروه هن استعداد كل منهم ووظيفته معترتيب وصرف أردب الذرة في كلشهر لكل من النظار و الخوجات المذكوريـــن ومع هذا يصير تفهيمهم بأننامسرورون من قبلهمو أنهم إذا استدامواعلــــى ماهم عليه من حالة الاجتهاد وصرف الأفكار في التعليمات مازال تحصــــل

⁽۱) الخوجات يقصد بها المعلمين ٠

⁽٢) هكذاوالصحيح ان يقول وعدتهم بها ٠

لهم المكافات وحسن الالتفات ولهذا لزم اصداره لسعادتكم للمعلومية (١)"٠

هذاوقد كانت هذه المدارس تكلفالحكومة المصرية الكثير من الأم وال فقد بلغت تكاليف مدرسة الغرطوم الشهرية ٨٣٤٦/٤٠ قرشاً وتكاليف مدرسة كردفان بما فى ذلك مرتبات المدرسين ومعيشة التلاميذ ٢٩١٣/٧٢ قرشاً وتكاليف مدرسة دنقله الهمرسيا ومكاليف مدرسة دنقله الهمرسيا كما بلغت تكاليف مدرسة التاكة ١٢٨١ قرشاً وبلغت التكلفة الاجماليسية الشهرية لهذه المدارس ٢٩٩١٣ قرشاً تقريباً (٢) .

كذلك أحدثت الادارة المصرية فى السودان شبكة لخطوط التلغــــراف بين الخرطوم والأبيض وفازوغلى والكوة وبربر وكسلاوسواكن وغيرهامن مـــدن السسودان (٢) .

وكان لابد لهذه الشبكة من فنيين في التلفراف يقومون بأمرها ولذلك أنشئت مدرستان في كلمن الخرطوم وكسلا لتعليم التلاميذ من خريج المدارس الابتدائية في التلفراف وكان يشرف على هؤلاء التلاميذ أحصو المهندسين ووكيل تلفراف كل جهة وبعد أن ينهى هؤلاء التلاميذ تدريباته في تعلم فن التلفراف ينقسمون إلى ثلاث فئا تحسب مستواهم العلمي فيقسمون الي ثلاث فئا تحسب مستواهم العلمي فيقسمون الي تلفرافجي أول وثاني وثالث ، وقد عمل هؤلاء التلاميذ بعد تخرجه في محطات التلفراف السودانية ، وإلى جانب تعلمهم فن التلفراف تعلم البعض منهم في الهندسة والحساب فكانوا يلحقون أيضاً بترسانة الخرطوم البحرية وكانوا يمكثون بها عدة شهور وبعدها يوزعون للعمل على السفسن التي تعمل في النيل والبحر الأحمر (٣) .

⁽۱) انظر د٠السيد يوسف نص الوجود المصرى في أفريقيا ممرجع سابق ص٢٧٨٠

⁽٢) لمزيد هم من التفاصيل حول شبكة التلغراف فى السودان فى هذه الفتسرة انظر الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أفريقيا ٠ مرجع سابق ص٢٩١٠

⁽٣) انظر د السيد يوسف نصر ١ المرجع السابق ص ٢٧٩٠

هـذا وقد أنشأ محافظ سواكن والبحر الأحمر مدرسة ابتدائية فـــــــل سواكن للمحررين من العبيد بسبب عدم انصهارهم فى المجتمع وعدم تقبـــل المجتمع فى ذلك الوقت لاندماجهم فيه (۱) •

واضافة إلى هذه المدارس طلب حكمدار السودان من الصاغ محمد شكور أدد الاطباء الذين يعملون بمستشفى الخرطوم أن يقوم بتعليم عدد مصلف التلاميذ من خريجى المدارس الابتدائية مهنة الطب وقد أبدى هذا الطبيب استعداده للقيام بهذه المهمة ولكن لما عرض هذا الأمر على الخديو اسماعيل رفض ذلك بحجة أن مهنة الطب تحتاج إلى وقت طويل من التعليم ووعد بأنصف سوف يرسل أطباء من مصر للسودان (۲) .

ويذكر الدكتور شوقى الجمل أنه قد أنشئت بعض المدارس لتدريــــب السود انيين على الصناعات الصغيرة المختلفة ، وبعض هذه المدارس كانـــت تعلم الصبية فى الصباح بينما يؤمها الكبار فى الليل لدراسة القــــرآن الكريم ، كمايضيف كذلك أنَّ ممتاز باشا عندما شعر بالحاجة إلى ميكانيكيين لادارة الماكينات الخاصة بمحالج القطن أرسل عدداً من الشباب السود انييــن إلى مصر لتعلم الصناعات الميكانيكية (٣) ،

هذا وقد وضع مشروع لفتح مدرسة صناعية فى جنوب السودان ليستفيد منها الأهالى فى تعليم أبنائهم تعليما مهنياً فضلاً عن تعليمهم اللغة العربية والدين الاسلامى • كما وضع مشروع متكامل لفتح مركز لتطوير المجتمدع

⁽۱) انظر محمد عمر بشير : تطور التعليمفى السودان ، مرجع سابق ص ٥٤٠

⁽۲) انظر د٠ السيد يوسف نصر - الوجود المصرى في أفريقيا مرجع سابق م٢٧٩٠

⁽٣) انظر د مشوقی الجمل : تاریخ صودان وادی النیل ۰ مرجع سابق ص ۱۱۶۳

فى أدفو بالقرب من القاهرة ليلتحق به حوالىمائة وعشرينطالباً سودانياً على أن تتراوح أعمارهم مناثنتىءشر سنة إلى خمسة عشر سنة على أن يقبل مئتى طالب كلعام • وأن يسكن الطلاب فى مشروع زراعى وأن يتلقوا تعليما أوليا وتدريباً عملياً فى الزراعة • وكان المشروع يتضمن دراسة مبسط للاقتصاد والتدبير المنزلى وتربية الأطفال • وكان يهدف أساساً لمد السودان بمزارعين متعلمينوذوى خبرة إلا أنَّ هذه المشروعاتالمتر النور(١) •

كذلكتشير بعض المراجع إلى أن بعض التلاميذ الذين ذهبوا إلى مسرق قد التحقوا بمدرسة المبتديان وذلك ليتعلموا العلوم الزراعية وبعرض العلوم الأخرى وكان بعض الذين التحقوا بمدرسة المبتديان منكبا رالسن والبعض الأخر من صغار السن ويبدو أنكبار السن كانوا لايتقدمون في دراستهم ولما علم اسماعيل بعدم تقدمهم في الدراسة قرر أن ينهى دراستهم وأن يلحق أقوياء البنية منهم بالجيش أما ضعاف البنية فيلحقون بالحرف والصناعات الأخرى (٢)

ذكرت سابقاً (٣) أن الحكومة المصرية سمحت للبعثات التبشيريـــــة بممارسة نشاطها في السودان كما أن الحكومات الأوربية حصلت على إذن بذلك للبعثات التبشرية من السلطان العثماني باعتباراًن السودان جزء مــــن الأراضي العثمانية وبالتالي يحق للأوربيين التمتع بالحقوق والامتيــازات التي أعطتها لهم الدولة العثمانية في أيام فعفها وقد ذكرت فيما سبــــق

⁽۱) انظر د٠ محمد عمر بشیر : تطور التعلیم فیالسودان ٠ مرجع سابق ص ١٥-٤٦-٤٥

⁽۲) انظر د٠ السيد يوسف نص ـ الوجود المصرى في افريقيا ٠ مرجـــع سابق ص ٠٢٨٠

 ⁽۳) انظر فصل نظام التعليم في تهدى عباس وسعيد٠

المحاولات التى قامت بها البعثات لنشر نوع من التعليم الخاص بها، ولقد ساعد الحكام الأجانب الذين عملوا فى السود انهذه البعثات فى مهامه وخاصة الانجليزى غردون الذى كتب فى سنة ١٨٧١م لمجلس الكنيسة الاستفيلة فى إنجلترا داعياً إياها للقيام بنشاط تبشيرى فى المناطق الاستوائية (١).

وكانمن أكبر المبشرين في تلك الفترة في السودان الأبدانيال كميوني الذي عمل في السودان منذ سنة ١٨٥٧م وكان يرى أن اعتنائه الأفارقة للمسيحية لايمكن أن يتم إلا بقسس من بني جلدتهم يتعلمون تعليماً خاصاً وقد نشرر هذا الرأى في كتيب صغير سنة ١٨٦٤م وفي عام ١٨٦٧م أسس معهدان للتبشير المسيحي في فيرونا بايطاليا وكان أولهما معهد ملاذ السود يقوم بتعليم وتدريب القسس للتبشير في أفريقيا وثانيهما هو معهدالأمهات الصالحات لتدريب الراهبات لنفس الغرض كما أسس دانيال كميوني معهدين آخريكان

وقد أرسل الاب كميونى ثلاثة سودانيين من الجنوب إلى معهد فيرونا بايطاليا كما أرسل ثمانية عشرأمرأة إلى معاهد القاهرة لتلقى التدريب هناك ٠ كما أنشا الأب كميونى مركزاً تبشيرياً بالجنوب وفتح مدرسة مهنيا بالأبيّض وقد بلغ عدد ظلابها في سنة ١٨٧٦م اكثرمن مائة وخمسين طالبلل درسوا مختلف المهن ٠ وفي سنة ١٨٨١م اعدت مزرعة كبيرة في جنوب الأبيال كانت تعيش فيها حوالى ثلاثمائة أسرة وكان أفرادها يدربون على الأعمال الزراعية ٠

⁽۱) انظر دممحمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان ٠ مرجع سابق ص ٥٥٠

⁽٢) مبشر ايطالى توفىبالخرطوم سنة ١٨٨١م ودفنيها٠

⁽٣) انظر محمد عمر بشير ٠ المرجع السابق ص ٥٥٠

كذلك أسست مدرستان تبشيريتان فى بربر وسواكن • كما بلغ عدد طلاب مدرسة الخرطوم الكاثوليكية فى سنة ١٨٧٧م مائتين من البنات ومن الطلاب ثلاثمائة معظمهم من السودانيين •

ونتيجة للنجاح الملحوظ الذى حققه دانيال كميونى فقد طلب منسم عردون باشا وجس وأمين باشا أن يعيد إنشاء وتنظيم التعليم التبشيرى في جنوب السودان (۱) .

إلا أنه يجب أن نذكر في هذا المقام أن قدرًا من اللغة العربيــــة والتعليم الاسلامي قدإنتشرت في الجنوب في هذه الفترة بسبب امتداد الادارة المصرية إلىهناك و وبسبب نشاط التجار الشماليين كالربير باشا وغيــره وفيهذا الصدد يقول الأستاذ حسن مكي: ومايهم أن جهود الربير أدت إلـــــي استتباب الأمن وازدهار التجارة مما أدى بدوره إلى تقوية إنتشار الاسلام واللغة العربية كما لعب المجندون الجنوبيون في جيش الربير باشا دورً ابارزًا في نشر اللغة العربية ، لأزولاء هؤلاء ظل يتنقل عبر الحكام والمغامريـــن بعد إبعاد الربير فعملوا مع غردون وأمين باشا وجسى وعدد هؤلاء ليـــــس بقليل إذ في الجيش الاسلامي الذي كونه الربير بلغ عدد الجنوبيين إثنا عشر الف عسكري (٢) .

إلا أنه يعلق على دخول الاسلام واللغة العربية إلى الجنوب بقول وهكذا الرى أن دخول الاسلام والعربية في جنوب السودان حدث أبان انحطاط الدولة الاسلامية وضعف كيانها إذ افتُتح الجنوب على العالم الاسلامي فـــــى

⁽١) انظر محمدعمر بشير : تطور التعليم في السودان • مرجع سابق ص ٥٥٠

⁽٢) حسن مكى محمداحمد : السياسة التعليمية والثقافة العربية فى جنوب السودان ، مرجع سابق ص١٢٠

القرن التاسع عشر حينماكانت الخلافة العثمانية تتهاوى أمام ضربيات الأوربيين كما أن الاسلام الرسمى الذى دخلالسودان إنماكان إسلام العلمانييان الذى يقوم على فصل الدين عن الدولة ، ويعد محمد على أول أبطاله فى العصر الحديث كما أن ممثلى الدولة التركية فى جنوب السودان جلهم من المسيحييان لذا فان الاسلام الذى دخل الجنوب إنما جاء نتيجة للجهد الشعبى والاتصال الحضارى العضوى الم

- وظيفة الافتاء ودورها فينشر العلم الشرعي:

عنده عنده الخرط عيين مفتى عام للسودان فى الخرط وم وتعييسن مفتيين فى المديريات قلم المفتون بدور كبيسر فى المديريات قلم المفتون بدور كبيسور فىنشر العلم الشرعى الاسلامى واللغة والأدب حيث كان اتصالهم بالجمهسور اتصالاً مباشرًا٠

هذا ويشير كثيرمن الباحثين الى ازدهار اللغة العربية وعلومها في هذ الفترة وذلك نتيجة لوجود المدارس التي أكسبت العقول ثقافة ونفجا انعكس على شعر الشعراء ومن أمثلة ذلك القصائد التي قيلت في مسلح محمد رؤوف حكمدار السودان والتي قيلت بمناسبة الاحتفال بامتحانات مدرسة الخرطوم في ١٨ من شعبان سنة ١٢٩٧ ه الموافق سنة ١٨٨٠م وكان الحكمادار قد حضر ذلك الاحتفال و القيت القصائد من قبل الطلاب والمدرسين (١) .

⁽۱) المرجع السابق ص ١٣–١٤٠

⁽٢) انظر د٠ عزالدين الامين - تراث الشعر السوداني - مرجع سابق ص ١٤٨٠

هذا وقد سبقت الاشارة إلى اهتمام الحكمدار جعفر باشا مظهربالعليم والأدب والتفاف العلماء والادباء حوله وتشجيعه لهم حيث أنهم أصبحـــوا يرسلون انتاجهم إلى القاهرة لنشره في الصحف المصرية •

أمّا على المستوى الشعبى فقد استمر الطلاب فى هجرتهم الى أرض الكنانة للتزود بالعلموبعد عودتهم إلى ديارهم يقومون بنسره ومن أمثلة هــــولاء الشيخ أحمد الازهرى (١) الذى ذهب الى مصروقضى بها فترة طويلة وأصبح من أساتذة اللازهر ثم رجع إلى بلاده حيث قصده الطلاب من أماكن بعيدة (٢).

كما استمرت المساجد في أداء رسالتها من تحفيط للقران ونشــــر لعلوم الشريعة ومن المساجد التي عمرت في هذا العهد مسجل الخرطوم، الجامع الشريف بدنقلة ، الجامع العتيق بالأبيض ، مسجد سنار ، مسجد قرية عبــود بالجزيرة ، مسجد المسلمية ،مسجد مروى مسجد ، طوكر والمساجد التي بنيــــت في سواكن وغيرها (٣) .

وبهذ المناسبة نذكر أن ممتاز باشا عندما كان حكمداراً على السودان أوقف صرف المكافات والاعانات التى كانت تعطى للعلماء بحجة فبلط وتنظيم الميزانية (٤) ، و أعيد صرف هذه المكافات والاعانات الا أن غسردون باشا قد أوقفها بعد تعيينه حكمداراً عاماً على السودان •

⁽١) انظر ترجمته في النطام القضائي ٠

⁽٢) انظر تطور القضاء في السودان - مرجع سابق ص١٠٢٠

⁽٣) أنظر د٠ شوقى الجمل ـ تاريخ سودان وادى النيل ج٢ مرجع سابق ص ١١٤٥٠

⁽٤) انظر الشاطر بصيلىعبدالجليل - معلمتاريخ سودان وادى النيـــل ، مرجع سابق ص ٢٧٢٠

هذاماكانعليه أمر التعليم فى السودان فى عهد الخديو اسماعيـــــل والباحث المنصف يلمس نهضة وتطوراً فى مجال التعليم فى السودان فــــــن هذه الفترة وقد أشاد بهذه النهضة التعليمية عدد من الكتاب السودانييــن منهم محمد أحمد الجابرى فى كتابه فى شأن الله أو تاريخ السودان كمايرويـه أهله حيث يقول: ولم تقتصر نهضة السودان على النواحى الاقتصاديــــــة والاجتماعية فحسب بل شملت هذه النهضة الناحية الفكرية فكان عهد التركيـــة السابقة (١) فتحاً جديداً فى تاريخ الفكر السودانى إذ استيقظ الفكــــر السودانى فى ذلك التوقت من سباته فتحرر من كابوس الخيالات الأولـــــــى التى تشبه هذيان المرض وأوهام الاطفال ونفض عن نفسه ماكان يساوره مـــــن فزع وهلع ازاء مشاهد الطبيعة وأحداثها٠

" فبفضل انتشار التعليم وإنشاء المدارسودراسة العلوم الفقهيــــة والرياضية وبفضل تعيين الأهالى فى وظائف الحكومة الادارية وبفضل ارســال البعثات للخارج صارت تتسابق الناس إلى دور التعليموالانتساب إلى العلماء والفقهاء "(٢) .

وممن أشاد بهذا الجهد من الكتاب المصريين الدكتور شوقى الجمـــل إلا أنه راى عليه بعض المآخذ منها أن هذا التعليم لم يحكن سائراً علــــى خطة معلومة كما أنّ هذا التعليم لم يصيغ بالصيغة الدينية "(٣) .

⁽۱) سبق أن اشرت إلى ان كثير من الكتاب يطلقون على هذه الفت را ف فترة التركية السابقة ١٠ انظر فصل النظام الادارى ٠

⁽۲) محمد أحمد دالجابرى : في شأن الله ـ مرجع سابق ص ۳۸-۳۹۰

⁽۳) انظر د۰ شوقی الجمل : تاریخ سودان وادی النیل ج ۲ مرجــــع سابق ص۱٤٦۰

ويمكن لى من خلال هذا الاستعراض أن أُسجل الملاحظات التالية :

- (۱) إنَّ التعليم خلال فترة اسماعيل شهد نهضة كبيرة على المستوييـــــن الرسمى والشعبى وفى جميع المجالات تقريباً بالنسبة لما كــــان عليه قبل هذه الفترة •
- (٢) هذه النهضة التعليمية والتوسع فى افتتاح المدارس لمتوضع لهـــــر سياسة واضحة تحكم مسارها وتحدد أهدافها مثلما كان فى مصــــر وإنما كان الأمر متروكاً لمبادرات الحكام وتوجهاتهم ٠
- (٣) كانت هذه الفترة هى بداية الفصام فى السياسة التعليمية والتى استمرت اللي اليوم حيث جعلت مؤ سسات التعليم المدنى موازية لمؤ سسات التعليم الدينى وكانت هذ هالتجربة منقولة من التجرية المصرية وملسن الآثار السيئة لهذه التجربة طهور العلمانية فى مجال التعليم والتى مايزال التعليم فى السودان يعانى منها •

ولو قامت الادارة فى السودان بتوحيد التعليم المدنى والشرعى لكان السودان فى غنى عن المشكلات التى يعانى منها اليوم • ولكن الذى حدث هو أن المدارس المدنية مثلما هو فى مصر ـ تخرج أجيالاً لاصلحة لها بالدين الا نادراً وأن المدارس والمعاهد الدينية تخرج أجيالاً تفتقر إلى العلوم العصرية مما أحدث ثنائية سيئة فى بنية المجتمع الواحد •

(٤) سمحت الدولة للمؤ سسات التبشيرية بانشاء تعليم كنسى كان له المسلمين . كما أنَّ هذه المؤ سسات التبشيريــــة طلت تنفث سمومها ضد الاسلام وحضارته عبر مدارسها ومؤ سساتها التعليمية كما أُوجدت هذه المؤسسات شريحة من المتعلمين غربية الولاء أحدثــت شرخا واسعاً فى المجتمع السودانى المسلم .

وهذه الطريقة السيئة التى اخطتها الادارة المصرية بالسماح للمؤسسات التبشرية بانشاء تعليم خاص بها ماتزال قائمة الىاليوم • وهلم المؤسسات التعليمية الكنسية لاتخفع لنظام التعليم فى الدولة وبعلم أن كانت فى الماضى قاصرة على أبناء النصارى أصبح يدرس بها اليوم قطللا كبير من أبناء المسلمين •

ومما يجدر ذكره فى خاتمة هذاالفصل أن جميع المو سسات التعليمية التى أُنشئت خلال هذا العهد قد توقفت أبان فترة المهدية ، واستأنـــــف بعضها نشاطه بعد ذلك •

• • •

الماراليات المنافعة منافع على ومجنوى على و

۱- نظام الفضاء في السوران من ١٨٢٠ - ١٨٤٨م ٢- نظام الفضاء في السوران من ١٨٤٩ - ١٨٨٥م العضل الأولوك نظام الفضهاء في السودان في الفترة من ١٨٤٠ - ١٨٤٨م

سأتحدث فى بداية هذا الفصل عنالنظم القضائية التى كانست سائدة فى الممالك السودانية قبل ضمها إلى ادارة محمد على باشسسا، وذلك حتى يتسنى لنا مقارنة هذه النظم بالنظام الذى أحدثه محمدعلسوالت التى يمكن أن تكون قد حدثت فى هذا النظام •

فى البداية أقول إنّ النظام القضائى فى السودان احمد من النظما التى لم يهام بها الذين اشتغلوا بتاريخ السودان فلايكاد الباحصيث يجد إلا إشارات هنا أو هناك ، بينما يتركز إهتمام المؤرخين والباحثين حول النظم السياسية والادارية وتطوراتها ولذا يجد الباحث فهذا المجال صعوبة كبيرة فى جمع تلك الأشتات ليصوغ منها صورة واضحة لنظام قضائى متكامل ،

رم أولاً: النظام القضائي في مملكة سنار:

مملكة سنار كماسبقتالاشارة فى النظام الادارى واحدة من الممالــك الاسلامية التى كانت تجتهد فى أن تحكم نفسها بالكتاب والسنة ، فى ذلـــك الزمنالذى كان يكتنفه الجهل خصوصاً سكان تلكالمناطق النائية ، وقد سبقت الاشارة إلى ماذكره صاحب الطبقات فى هذا الشان حيث قال: " ولم تشتهــر فى تلكالبلاد مدرسة علم ولا قرآن ويقال أن الرجل كان يطلق المـــراة ويتزوجها غيره فى نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى مـــن مصر وعلم الناس "(۱) .

١) كتاب الطبقات: مرجع سابق ص ٠٣٤٤

وقد أُشرت فى نظام التعليم إلى الدور العظيم الذى لعبه سلاطيــــن هذه المملكة فىنشر العلم ، واكرامهم للعلماء حتى انتشرت مدارس الفقــه والقرآن ، وكان المذهب الرسمى لهذه السلطنة هو المذهب المالكى ،

وقد كان منصب القضاء في هذه السلطنة يقوم به عالم ينتدبه السلطسان للنيابة عنه في نظر القضايا بين المسلمين في المحاكم ويسمى هذا القاضسي بقاضي الاسلام •

كما أنَّ منصب الافتاء يقوم به عالم ينتدبه السلطان ليستفتى فــــــى مسائل المسلمين الدينية وكان يطلق عليه مفتى الاسلام •

كذلك هنالئمنصب شيخ الاسلام ويقوم به عالم ينتدبه السلطان يرعـــى شئون العلماء بحسب درجاتهم واستحقاقهم ولياقتهم وينظر فى جميع المسائــل المتعلقة بهم كالعزل والتولية والايقاف ٠

كما ينتدب السلطان كذلكعالمًا يرعىالطرق الصوفية وشئونها ويسمصيى شيخ مشايخ الطرق (1)ويلاحظ أنَّ هذا النظام يكاد يطابق نظام الدولــــــة العثمانية وربما انتقل هذا النظام إلى مملكة سنار منمصر أو الحجـــاز بحكم أنها كانت ولايات عثمانية ٠

أنشأت دولة سنّار محكمة عليا بسنّار العاصمة وعين ملوكها لها قاضياً يسمى بقاضى عموم سنّار وأمروه بالحكم بين الناس بالعدلو الانصاف • كما أنشأ كل ملك من ملوك هذ «المملكة وكل شيخ من مشايخها محكمة صغرى بعاصمت وعين لها قاضياً ليحكم بين الرعية بما أنزل الله • فهناك قاضى مملك

⁽۱) انظر حسين سيد احمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السود ان · مرجع سابق ص ١١٠

السعداب فى شندى وقاضى مملكة الرياطاب فى ابى حمد وقاضى مملكة الميرفاب فى بربر وقاض مملكة الشايقية فى حنكوقاضى مملكة المحس فى فريات وقاضى مشيخة المناصير فى السلمات وقاضى مشيخة المناصير فى السلمات وقاضى مشيخة المناصير فى السلمات وقاضى مملكة الدفار فى الحتانة وقاضى مملكة تنفسى بجزيرة تنقس وقاضى مملكة الخندق بالخندق وقاضى مملكة أرقو بأرقووهكذا فى باقى أنحائا المملكة "(1) .

وكانت المحاكم تشكل منقاض واحد أو أكثر وعدة نواب يختلف عددهـــم قلة وكثرة بحسب أهمية المحكمة وأعمالها ويجوز أن يكون بالمملكـــــة أو المشيخة الواحدة عدة قضاة في جهة واحدة أو في جهات متفرقة ومن ذلـــك ماحصل في مشيخة العبدلاب فان الملك دكين ١٥٦٢مــ٧١٥١م الموافق ٩٧٠ــ٩٨٥ امر الشيخ عجيب من مشايخ العبدلاب بتوليه القضاء في مشيخته فولى الشيناء عجيب من مشايخ العبدلاب بتوليه القضاء في مشيخته فولى الشيناء على دار الجموعية (٢) .

هذا وكان يوجد قضاء بالممالك المذكورة يسمى " قضاء الشريع البيضاء " وهو ينحصر فى القرى و البوادى فاذا حصل نزاع بين جماعة مسان أهل القرية أو البادية فأن لهم أن يذهبوا باختيارهم الى أحد العلم المقيمين معهم بالقرية أو المسافرين معهم بالبادية فيقضى هذا العالم بينهم بالشريعة الاسلامية فإذا عارض معارض فى الحكم فأنه فى هذه الحالة يكتب العالم حكمه فى ورقة يرسلها مع المعارض إلى قاض المملك أو المشيخة للنظر ومتى وجد القاضى الحكم مطابقاً لأحكام الشريع في المعارض ألى الشريع في المعارض المسلك المشيخة للنظر ومتى وجد القاضى الحكم مطابقاً لأحكام الشريع في المسلمة المشيخة للنظر ومتى وجد القاضى الحكم مطابقاً لأحكام الشريع في المسلمة المشيخة للنظر ومتى وجد القاضى الحكم مطابقاً لأحكام الشريع في المسلمة المشريع في المسلمة المسلمة المسلمة المشرية المسلمة ا

⁽۱) انظر حسين سيد احمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السود ان • مرجع سابق ص ۱۷ • ويبدو أن أهل السود ان كانوا يطلقون على حكمام الولايات أيضاً لقب الملوك •

⁽٢) انظر كتاب الطبقات _ مرجع سابق _ ص ٢٥٢٠

فانه يجيره ويسرى مفعول الحكم كسائر أحكام القضاة "(١) .

كذلك عرف نوع من القضاء أطلق عليه قضاء الأجاويد وهم جماعة مـــن كبار السن وشيوخ القبائل اذاعرضت مشكلة من مشكلات الأرض أو الدمــــاء أوغيرها فانهم يجتمعون ويدرسون المشكلة ويعملون على حلها وهذا النـوع من القضاء موجود في كل المجتمعات اليدوية تقريبا٠

ولمتحدّد دولة سنار رواتب محددة للقضاة بل كانالملك ياُمر بــــان يدفع إلى القاضى من بيت المال مافيه الكفاية له حتى لايمد يده إلى اُمـوال الناس بطريقة تسى اليه وإلى قضائه ٠

_ المحكمة العليا بسنار :

هذه المحكمة عبارة عن محكمة عليا ولذلك فهى لاتختص بنظر دعـــاوى اقليمبعينه وإنما يشمل اختصاصها كل أرجاء دولة سنار وتحكم هذه المحكمــة فى القضايا الخاصة بالسلب والنهب والسطو والقتل وفى قضايا الزواج والطلاق والوراثة والوصايا والهبة والبيع والشراء والوقف والوكالة وكانـــــــ أحكامها وفق المذهب المالكي وبها عدد من النواب العلماء المعروفيـــن بالعلم وحسن السيرة يعينهم القاضى ليساعدوه في الأحكام كما أنّ بهــــا كذلك عدد من الكتاب الذين يشتهرون بحسن الغط ولهم والمام تام باللغـــة العربية وفقه الشريعة ولم يكن لهذه المحكمة دار معينة فكانت تعـقـــد بمسجد المدينة أو بمنزل القاضى أو في أي مكان آخر.

⁽۱) انظر حسين سيد أحمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان • مرجـع سابق ص ١٨٠

ويحيط بمجلس القضاة الحجاب لجلد كل من تحدثه نفسه بالتشويــــــش أوالتعدى على الغير أثناء انعقاد الجلسة فأذا تمادى هذا المعتــــدى أُمر القاضي بحبسه حالاً تاديباً له ومحافظة علىحسن سير مجلس القضاء الذلك فأنه قد كان للجلسة روعتها وأبهتها وجلالها الشيء الذي يدل على مكانـــة القضاء في نفوس جميع السكان ٠٠ ثم يشرع القاضي في سماع الدعوى ويتوليي بنفسه رتوجيه الأسئلة إلى الخصوم وسماع شهادة الشهود ومناقشتهم ولامانـــع من أن يطلب منالنواب الذين معه بالجلسة توجيه مايريدون منالاً سئلـــــة وبعد أن يتم التحقيق اللازم في القضية يأمر القاضى الخصوم بالخروج مــــن قاعة الجلسك وبعد خروجهم يتناقش القاضى والنواب فىالقضية وبعد البحصيث والمناقشة إذا تماتفاق الجميع فبها ونعمت ـ أما إذا حصل اختلاف فيرجح الجانب الذي معه القاضي وقل أن يختلف القاضي مع النواب • ثميعاد الخصوم إلى الجلسة فينطق القاضى بالحكم ثم يملى القاضى الحكم على أحد الكتبـــــة فيذكر فيه اُقوال المدعى والمدعى عليه وأُدلة الأُثبات والنفى وشهــــادة الشهود وغير ذلك من الاجراءات والمرافعات ثم ترجيح أحد الجانبين مع بيان النصوص الشرعية التي يعتمد عليها في حكمه فيكتب الكاتب ذلكعلى ورقــــة بخط جميل واضم وبعد التوقيع عليها من القاضي تسلّم إلى المحكوم له الذي يجسب عليه أن يحافظ علىهذه الورقة حتى يتم تنفيذ الحكم إذ لا صورة لهــــــا سالمحكمة (١)

والقاضى فى دولةسنار لايتقاعد عن العمل مادام يتمتع بصحة جيـــدة فى جسمه وقوة فىعقله وسمعه وبصره ولذلك قل أن تجد قاضيًا من الشبـاب٠

⁽۱) مخطوطة مذكرات الاستاذ محمد عبدالرحيم مؤرخ السودان نقلا عــــن حسين سيد أحمد المفتى ـ تطور نظام القضاء فى السودان ٠ مرجع سابــــق ص ٠٢٨

ويظهر أن القضاء في مملكة ستّار في النصف الثانى من القرن العاشرو الهجرى قد توارثه الناس كماتتوارث الضياع فبيوت القضاء معروف مشهورة لايخرج القضاء عنها ولذلك في كثير من الأحوال تجد أن قاضاء الجهة هو ابن قاضيها السابق وحفيد قاضيها الأسبق كما في تراجم كثير مسن القضاة في كتاب الطبقات مثال ذلك الشيخ حلالي بن الشيخ محمد عيسوار الدهب فقد كان قاضياً بدنقله وكان أبوه قاضياً بها والشيخ ديساب ابن الشيخ نجيب كان قاضياً بسنار وكان ابوه قاضياً بها والشيخ قناوي بسن محمد القناوي المصرى كان قاضياً بسنار وكان ابوه قاضياً بها والشيخ قناوي بسنا ما ماحب الطبقات عن الشيخ محمد القناوي هذا قصة مشهورة إذ تناول ابند قناوي الرشوة في أحكامه فركب الشيخ محمد القناوي رايته وحمل علماً أبيض وطاف بالأسواق وهو ينادي أن أحكام ابنه قناوي باطلة لأنه ارتشاب في قضائه (۱) .

_ المحاكم الصفرى :

تحدثنا عن المحكمة العليا • أمّا المحاكم الصغرى فاختصاصها الحكم فى المسائل الزراعية والجرائم الصغيرة كالمشاجرات والسرقات البسيطة وفى مسائل الرواج والطلاق والمواريث والهبة والحجر والوصاية والوقسيف وكتابة حجج العقارات والأطيان ولا اختصاص لها فى الدعاوى الكلية التسمى تختص بها المحكمة العليا •

وتتشكل كل محكمة صغرى من قاض واحد ونائب واحد _ إلا فيما نـــدر _ وانها تتشكل من أكثر من ذلك كما سبقت الإشارة إلى محكمة الجموعيــــة

⁽۱) انظر كتاب الطبقات _ مرجع سابق ص١٠٠٠

التى ذكر صاحب الطبقات أن قضاتها ثلاث وربما يرجع ذلك لاهميتها وكثــرة . القضايا فيها أو لاتساع المنطقة التى تدخل فى دائرة اختصاصها٠

هذا وقد ذكر بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة سنسسار بعض المشاهدات المتعلقة بالقضاء ومن ذلك ماذكره الرحالة يونسيه عسسن حاكم سنار حيث قال إنه "لم يكن يظهر فى المناسبات العامة لجمسهور الناس رالا وعلى وجهه نسيج من الشفوق الملون يغطى ملامحه ، يراس بنفسسه محكمته القضائية فى هيئة شبيهة بهيئة حاكمرومانى ، وفيما يصدر الحكسم على المجرمين كانوا يطرحون ارضاً ويضربون بالهراوات حتى الموت "(1)،

ويمعب على المرا تصديق هذه الرواية في ضوء النظام القضائي السنى رأينا كذلك ذكر الرحالة كرمب أنه شاهد محكمة الماثجل (٢) فذكر أنّ الشاكي والمدعى عليه يغتار كل منهما محاميه من بين الحضور فغير الشاكي محاميه بالقضية الذي يقوم بعرضها ويرد المدعى عليه بأنه غير مذنب ثم يترافي كل محام عن جانبه الذي أوكله وقد يشترك بعض الحاضرين في المناقش مويدين أو معارضين وأثناء ذلك ينصت المائجل وقد استوعب القضية بعسد شرحها وتقديم الأدلة من الجانبين سواءً من المحامين أو من الحضور الذيسن اشتركوا في المناقشة وعند الانتهاء يصدر حكم طلذي لا استئناف بعده و وفسى هذه المحاكمة بالذات أصدر حكمه على احد المتخاصمين بالضرب حيث تنسساول المحاضرون عصيهم و انهالوا عليه ضرباً حتى أمر المانجل بالتوقف (٣) .

⁽١) أُللن مورهيد : النيل الأزرق • مرجع سابق ص ٢٣١ •

⁽٢) في دولة سنار كان طلق على حاكم المنطقة او المشيخة لفظ مانجل٠

هذه الحادثة والتى سبقتها لايمكن أخذها على اطلاقها وذلك لجهــــل هؤلاء الرحالة بلغة أهل البلاد وعاداتهم اضافة إلى أن مشاهداتهــــم هذه لاتطح للتعميم إذ ربماشاهد أحدهم واقعة تأديب بعينها فيأخذهــــا كمثال يصدر به حكماً عاماً٠

وقد علق أحد الباحثين على نظا مالقضاء الاسلامي في دولة سنسسسار بقوله : "لهذا يمكننا أن نقول بأن تطبيق الشريعة خلال هذه الفتسسط قد شابه شيء غير قليل من التحريف لعدم وجود علماء يطحون لاستنبسط الأحكام الفقهية التي قامت عليها القواعد القانونية المختلفة خلال فتسرة مملكة الفونج (سنار) ويمكننا أن نقول أيضا بأن ضآلة علم القباطسسل التي تكونت منها مملكة الفونج بالشريعة الاسلامية أدى إلى اختلاط قواعد الشريعة بشيء غير قليل من العادات القبلية وإلى طغيان تلك العادات على الشريعة نفسها أحيانا وقد ظلت العادات والعرف القبلي يسيطران علسي المجتمعات القبلية التي لم تدخل تحت سيطرة الفونج وبالتحديد في أقاصي الجنوب والشرق "(1) .

وربما يكون هنالك شيء من الجهل وربما تكون بعضالتقاليول والأعراف قد أُخذت طريقها الى النظام القضائى وخاصة قضاء الأجاويد ولكوت قطعاً لم تكن المورة بهذه القتامة التي حاول الباحث المتى يعكسهودليانا على ذلك هذا النظام القضائى الذي أشرنا اليه والذي قام عليه قضاة علماء سبقة أن ترجمنا لبعضهم في نظام التعليم •

⁽۱) الأستانزكى مصطفى عبدالمجيد المحامى: القانونالمدنى السودانـــى تاريخه وخصائمه ـ معهد الدراسات العربية • القاهرة ، ١٩٦٨م، ٥٠٠٠٠٠

النظام القضائي في سلطنة الغور:

كان في سلطنة الفور نوعان من القضاء قضاء شرعي وقضاء عرفي أما القضاء الشرعي فقد كان يقوم على الكتاب والسنة ويستند في أحكام على المذهب المالكي و وكانت محكمة السلطان في الغاشر العاصمة تتكون من عدد من القضاة ولها دار ملحقة بقصر السلطان ويراس هؤلاء القضاة أوفرهم علمًا ومعرفة و أكثرهم فطنة ويقوم بتعيينه السلطان وتستمع هدف المحكمة إلى القضايا فاذا كان المدعى والمدعى عليه موجودين بالفاشر سمعت الدعوة وفصل فيها أما إذا تخلف أحدهما فتؤجل القضية لإعلانه بالحفور وتحدد جلسة لسماع القضية .

ويجلس الخصوم على الأرض كجلسة المصلى تأدبا للمحكمة وينظر كل منهم الله الكالم ويسوى رئيس الجلسية الله الكلام ويسوى رئيس الجلسية بين الخصوم فى الجلوس و الاقبال و الإشارة و النظر لافرق فى ذلك بين غنى وفقير ووزير وخفير وكبير وصغير ويحافظ الرئيس على حسن سير مجلس القضائ فاذا حصل من أحد الخصوم إساءة أدب أو حصل مايشوش على المحكمة أو يخلل بنظامها انتهزه الرئيس فأن لم يمتثل وتمادى فى فعله أمر بجلسده فى الحال ويحيط بالقضاة جماعة من الرجال عرفوا إذ اك باسلم

ويباشر الرئيس التحقيق فى القضايا بحضور باقى الأعضاء ويشاورهـــم فيما يحتاج إليه ولامانع من أن يلفت أحد الأعضاءنظر الرئيس إذا فـــات عليه شىء أثناء نظر القضية ، وكانت القضايا لاتدون فى محاضر، وكانـــت أحكام محكمة الفاشر غير قابلة للطعن أو المراجعة (١)

⁽۱) انظر مخطوطة مذكرات الاستاذ محمد عبد الرحيم مؤرخ السودان نقلل والمدان عن حسين سيد احمد المفتى لل تطور نظام القضاء فى السودان مرجع سابق ص٥٦-٧٥٠

أمافى الأرياف فقدكان لكل جهة محكمة تتألف من قاض واحد وكلات الختصاصها فى القضايا الجزئية كقضايا الطاعة والخضانة والديون و أملور الزراعة ، أمّا القضايا الكلية فيجب احالتها إلى محكمة الغاشر ، وكلان للخصوم الحق فى استئناف أحكام قضاة الأرياف أمام محكمة الفاشر ، وكلان القاضى فى دارفور يرتدى جبة وقفطانًا من أجود واردات القطر المصلو

وكان جل القضاة في دارفور من خريجي الأزهر الشريف (١) .

اما القضاء العرفى فى دارفور فكان يوجد فى القرى وقبائل الرحسل ويشبه إلى حد كبير قضاء الأجاويد الذى يقوم به كبار السن و القضاء العرفى فى دارفور مخالف لأحكام الشريعة وربما يكون السبب فى ذلسك أن كثيراً من القبائل فى دارفور لم تكن مسلمة أوان بعضاً فرادها قد دخلوا فى الاسلام حديثاً ومن الأمور التى تصالح عليها القضاء العرف

- (1) حرمان النساء من الارث ٠
- (٢) كل من يسرق يحاكم بغرامة مقدارها ست بقرات أو قيمتها ٠
- (٣) كل من يزنى بمتزوجة يحاكم بغرامة قدرها ست بقرات فاذا زنى بغيـر
 متزوجة فيحاكم بفرامة قدرها بقرة واحمدة فقط ٠
- (٤) جزاء القاتل الدية وهي منالبقر امائـة إذا كان القاتل من مــــلك الأبقار اما اذا كان القاتل من أصحاب الابل فالدية مائة بعير٠

⁽۱) انظر المرجع السابق ص٥٩٠

- (ه) كل من يضرب غيره ضرباً مبرحاً ينتج عنه كسر فى العظم أو تهشيام وها يحاكم بغرامة هى ثوب من الدمور (نوع من القماش) فاذا كان الضرب غير مبرح فالغرامة نصف ثوب من الدمور٠
- (٦) كل من يشتم غيره شتيمة فظيعة فغرامته ثوب م الدمور فاذا كانست
 الشتيمة غير فظيعة فالغرامة نصف ثوب من الدمور ٠
 - (٧) لاعقاب على الجرائم التي تقع من الصغار بعضهم على بعض ٠
- (A) لاعقاب على الذى ياخذ من بهائم غيره لغرض ذبحها فى وليمة عرســــه
 بشرط أن يكون العدد الماخوذ فى حيز المعقول (1)

وقد جمعت الاحكام العرفية كلها فى كتاب واحد عرف بقانون والى وهو بمثابة قانون الجزاء ويقوم بتنفيذه المقاديم بالاتفاق مع أُصحـــاب المناطق والقبائل (٢) .

_ القضاء في كردفان:

بالرغممن أنَّ جزءاً كبيراً من كردفان كان تابعاً لسلطنة الفور الا اُنَّ القضاء يختلف هنا قليلاً عن القضاء في دارفور •

فقد عين سلطان الغور قاضياً عاماً لكردفان وجعل مقره الأبيض وأمــره بالقضاء بين الناس بالعدل ومن اختصاص هذا القاضى الفصل فى سائــر القضايا على اختلاف أنواعها طبقاً لأحكام الشريعة والمذهب المالكى ومــن اختصاص هذا القاضى أيضاً تعيين الكتاب والنواب لمحكمته وكان للمحكمــة

⁽۱) انظر حسين سيد أحمد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان · مرجع سابق ص ٢٠-٢١٠

⁽٢) انظر نعوم شقير: تاريخ السودان ـ مرجع سابق ص ٢٩٠

مقر دائم هو مسجد الأبين حيث يجلس القاض ضحى كل يوم للقضاء بيـــــــن المسلمين وعن يمينه وشماله نوابه ومعهم جماعةمن الفقهاء والأجاويــــد ومشايخ القبائل ويحيط بهم الحماة والأعوان وقد اختيروا بحيث يستطيعــون التغلّب على من يلجأ إلى القوة والعنف ويباشر القاضى التحقيق فى القضية بمفته رئيس الجلسة وكان القاض فى كثير من الأحوال يرجع إلى النواب وإلى الفقهاء الموجودين معه بالجلسة فيما أشكل عليه من المسائل الشرعيــــة وكان لايقطع أمراً دون استشارتهم وبالمحكمة المذكورة جماعة من الكتاب لكتابة الأحكام بعد أن ينطق بها القاض ولم تجرالعادة هناك بتدويــن مايجرى بين الخموم فى محاضر ولا دفاتر وكل مافى الأمر أنه بعد أن ينطـــق القاض بالحكم فانه يأمر الكاتب بأن يكتب على ورقة تسلم إلى المحكــوم لم مذيلة بختم القاضى وكان القاض فى كثير من الأحوال يبعث نائبــــه ومعه من يستعين به من الكتاب وأصحاب الخبرة فى معاينة الأراض وذلــــك للتمكن من اصدار الحكم المحيح (۱)

و أُحكام هذه المحكمة لاتقبل المعارضة ولا الاستئناف ولا الطعــــن ويتم التنفيذ بواسطة نائب السلطان المقيم بالأبيّض وذلك بالنسبة للأحكـام الكبرى أمّا الاحكام الجزئية كاحكام الطاعة والجلد فيامُر بها القاضــــى وتنفذ في جلسة المحكمة •

⁽۱) انظر حسين سيداحمد المفتى: تطور نظام القضاء فى السودان، مرجع سابق ص ٢٦٠

هذا عرض للنظم القضائية التى كانت سائدة فى سنَّار ودارفوروكردفان، قبل ضمها للادارة المصرية وسنحاول أن نستجلى معالم النظام القضائـــــى الذى أنشاه محمد على فى السودان بعد ضمه للادارة المصرية •

- النظام القضائي في السودان في عصر محمد على :

معلوم عند المؤرخين أن محمد على كان قد أرسل عصوب ثلاثة من القضاة بصحبة حملته التى أرسلها إلى السود انوهم القاض محمد الأسيوطى الحنف والقاضى أحمد البقلى الشافعى والقاضى السلاوى المغربي المالكي ووهب كلمنهم خلعة سنية وخمسة عشر كيساً وأوصاهم أن يحثوا أهل البلاد على الطاعبة بلا حرب بحجة أنهم مسلمون وأن الخضوع لجلالة السلطان أمير المؤمني وخليفة رسول المسلمين واجب ديني (1) .

وبعداًن تمت عملية فتح السودان تمتعيين القاضى محمد الأسيوط في منصب قاضى عموم السودانوهو من علماء الحنفية المعروفين إذاك بالديار الممرية وبقى الشيخ فى منصبه هذا رالى أن توفى فى سنة ١٨٢٣م بمدين قلار مدنى التى كانت مقر رئاسة الحكومة فى ذلك الوقت (٢) .

وبعد موت القاضى الأسيوطى قام عثمان بك حكمدار السودان بتوليـــة الشيخ دريس اليعقوبابى منصب قاضى عموم السودان سنة ١٨٢٥م وكان هــــذا القاضى من علـماء السودان وقد مات بعد عام منتوليته القضاء فى سنــــة

⁽۱) انظر نعوم شقير ـ تاريخ السودان ٠ مرجع سابق ص١٩٦٠

⁽٢) انظر حسين سيداً حمد المفتى: تطور نظام القضاء فى السودان • مرجــع سابق ص ٩٩٠

وفى شهر يونيو سنة ١٨٢٦م تمتعيين العلامة الاستاذ الشيخ أُحمـــد السلاوى المغربى المالكى الذى قدم إلى السودان مع حملة اسماعيل باشــــا قاضياً عاماً للسودان وقد كان عالماً وشاعراً والىجانب تعيينه قاضياً عاماً على السودان تمتعيينه مفتياً للمالكية بالسودان وقد كان أشـــر القاضى السلاوى على السودان كبيراً خاصة فى مجال التعليم كماسبقت الاشـارة إلى ذلك ٠

وقد سبق أن ذكرت أن المذهب الرسمى للممالك السودانية قبل ضمه الادارة المصرية كان هو المذهب المالكى ولكن بعد ضم الاراضى السودانيسة للادار الله المصرية أصبح المذهب الرسمى هو المذهب الحنفى الذى كان معمولاً به في جميع أرجاء الدولة العثمانية فأصبح أهل السودان من ذلك التاريسين يتمذهبون في شعائرهم على المذهب المالكي وفي معاملاتهم واقضيته بالمذهب الحنفي ٠

كما أن الحكومة قد جعلت رواتب معلومة للقضاة فى السودان تتــراوح بين الخمسمائة والألف قرش للقاضى شهرياً مع اعفائه من العوائد والضرائــب، وكان القاضى يرتدى جبة وقفطاناً ويفع على راسه الطربوش المغربـــي وعليه عمامة بيضاء (٢) .

⁽۱) انظر محمد سليمان : دور الأرهر في السود ان ـ مرجع سابق ص ٥٥٠

⁽٢) انظر حسين سيداً حمد المفتى : تظور نظام القضاء فى السودان - مرجع سابق ص ٧٩٠

" ومن أشهر القضاة الذين رشحهم الأمير اسماعيلنجل محمد على باشال المقضاء في دنقله الاستاذ الورع العلامة الشيخ البدوى القرافي الذي يقال أنه قد اشترط الا ياخذ أجراً من الحكومة عن القضاء كما اشترط أن لايقياد فسم باللوائح والمنشورات بل يقضي بكتاب الله وسنة رسوله صلى اللسلم عليه وسلم ومما يشار إليه ان جميع القضاة في ذلك العهد كانوا مالسود انيين فيا عدا قضاة مديرية سنار وبربر "(1) و

وبضم السود ان إلى الادارة المصرية أصبحت البلاد عبارة عن وحدة ادارية واحدة مقسمة إلى مديريات يرأس كل مديرية مدير كان يجمع فى يده جميع السلطات العسكرية والمدنية ويراس قوة أمن الجند لحفظ الأمن في المديرية ويساعده فى شئون الادارة وكيل وعدد من المعاونين والكتاب وقاضى ووكيل قاضى ومفتى ومجلس أهلى وضبطية (٢) .

ونلاحظ هنا أنَّ النظام القضائى أُخذ شكلا محدداً يتمثل فى قاضـــــى المديرية ووكيله والمجلسالاُهلى والضبطية التى تقومباقرار النظام رغـــم أن المصادر لاتفصل أكثر ولكنتشير إلى أنَّ الشئون القضائية كان القاضى هـو الذى يفصل فيها ويصدر الأحكام (٣) .

وتشير بعنالمراجع إلى أن الحكومة المصرية رأت أنه لابد من إنشاء محاكم شرعية فى السودان لتقوم بمهمة القضاء حيث أن قانون الشريعكان هو القانون المعمول به فى تلك الديار وتم لها ذلك و أنشئت محاكسم شرعية عديدة فى المراكز وفيى المديريات وكان قاض عموم السودان هو الذى

⁽۱) انظر حسين سيدادمد المفتى ـ المرجع السابق ص ٠٨٠

⁽٢) انظر د٠نسيممقار : الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى - مرجــــع سابق ص٤٢٠

⁽٣) انظر نفسالمرجع ص ٠٤٨

يختار القضاة من بين العلماء ويقوم حكمدار عموم السودان بالتصديــــق على تعيينهم •أما قاضى عموم السودان فيتم تعيينه من قبل الحكومـــــة المصرية بالتشاور مع حكمدار عموم السودان •

وكانت المحاكم الشرعية وحدها المرجع الأعلى لكلماينشا من خصومـــة بين السكان على السواء فالمحاكم الشرعية هى التى تنظر فى قضايا القتــل والسرقة والديون وقضايا الأحوال الشخصية وكل مايتعلق بالأمور العائليــة والارث والوقف واقامة الاوصياء على القصر واقامة القيم على المحجور عليــه من أهل السفه والجنون والمفقودين وفى وصايا المسلمين وأوقافهــــم وهباتهم ونقل الملكية وغير ذلك من أمور القضاء الشرعية ٠

ولكن لم يطل الزمن على هذه الحالة حيث صدر أُمر باحالة نظـــر القضايا الجنائبة لبمديرى المديريات • وفى الخرطوم العاصمة كان ينظــر فى القضايا الصغرى مأمور الضبطية ومعه مفتى من الضبطية (١) •

من هذا يستخلص أحد الباحثين أن الادارة المصرية فى السودان للسمع فى وفع نظام المنابت للقضاء فى السودان واتسمت سياستها فى هذا الجانب بشىء غير قليلمن التخبط والارتجال ولكن الشيء الذى يمكننا أن نستنتجه من الوثاعق الخطية وما كتب عن هذا الموضوع أنه على الأقل من الناحياة النظرية كان هناك مجلس محلى لكل مديرية وكان هناك مجلس استئناف بالخرطوم يسمى مجلس استئناف السودان وفى بعض الأحيان كان يوجد بكل مديرياة مفتى يقوم بالتصديق على أحكام المجلس المحلى وأحكام قاضى المديريات كما كان هناك مفتى لمجلس استئناف الخرطوم وكانت كل أحكام ذلك المجلس تخفع لتصديقه والمحلى والمحلم والمحلم دلك المجلس المحلى والمحلم دلك المجلس المحلى والمحلم دلك المجلس المحلم والمحلم دلك المجلس المحلم والمحلم دلك المجلس المحلم والمحلم دلك المجلس المحلم دا المحلم دا

⁽۱) انظر حسين سيد المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان - مرجــع سابق ص ٢٧٦

وكان مجلس استئناف السودان يختص بنظر الاستئنافات من جميك أنحاء القطمر السوداني، كما أن كل الأُحكام الهامة كقفايا القتلل والأُذي الجسيم وسرقة أموال الدولة تحال الى مجالس الاُحكام في القاهرة للتصديق عليها (١) .

ويضين هذا الباحث " وتوضح الوثائق أن الصلة بين مجلسسس كل مديرية ومفتيها ومجلس استثناف السودان ومفتيه من جهة ومجلس الأحكام في مصر يشوبها كثير من الغموان : وقد صدرت لوائح عديدة لتنظيم هله المسائل ولكن الغموفي الخلط وتد اخل الاختصاصات ظل الطابع المميز فلي علاقات هذه المؤسسات وقد امتد هذا الخلط والتد اخل فشمل تعيين القضاة وعزلهم ، إذ أن بعض الوثائق تتحدث عن صلاحيات حكمدار السودان في تعيين القضاة وعزلهم بينما تتحدث وثائق أخرى على أن تعيين القضاة منحق وللمن الأمر في مصر أو من حق مجلس الأحكام بالقاهرة ولم ولم تكن تشترط في البداية مؤهلات معينة في القضاة حتى أننا نجد أنه قد تم تعيين أحد الجنود الأتراك قاضياً في مديرية كردفان في وقت لم يكن فيه ذلك التركي يعرف حتى مبادي القراءة والكتابة وكان أعضاء المجالس المحلية على الدوام من الأعيان ووجوه المنطقة ولم يكن يشترط في تعيينهم أن يكونوا ملمين بقدر من المعرف

ولعل السبب في الهطر اب نظام القضاء في السودان في بداية عها الادارة المصرية هو ماصاحب هذه الادارة نفسها من الأطراب كما سبق توضيح ذلك في النظام الادارى • يضاف إلى ذلك جهل الحكومة بطبيعة السلم

⁽۱) انظر ركى مصطفىعبد المجيد : القانون المدنى السودانى - مرجــــع سابق - ص ۸ ۰

⁽٢) نفسالمرجع السابق ص٠٩٠

وأعراف أهله وعاداتهم وصعوبة المواصلات وانتشار الامية٠

وهذا النظام القضائى الذى وضعته حكومة محمد على _ وإن كان نظريـــاً فى أغلبه _ إلا أنه كان أساسًا لنظام قضائى متكامل طبق فى السودان بعــد ذلك ٠

وسنتعرض فى الفصل التالي على ما اضافه أُبناء محمد على فـــــى هذا المجال ٠

• • •

الغيم الفضي المحافي من المفضي المعام الفضي المعام المفضي المعام المفضي المعام المعام

: عـــــهمت

لمتذكر لنا المصادر والمراجع شيئاً يذكر حول نظام القضلا فىعصرى عباسوسعيد وربما يرجع ذلك الى أن هذه الفترة تعتبر قصيـــــرة إذاماقيست بفترة محمد على السابقة أو فترة اسماعيل اللاحقة • وقــــد سبق لى أن أشرت المعدم اهتمام عباس الأول بأمور السودان عامة وأغلب ظنى أن القضاء في هذاالعصر استمر بنفس النظام الذي أقامه محمدعلــــــى والذى يتميز بوجود قاض لعموم السودان يشرف على شئون القضاة وتعيينه للمسم وعزلهم وقضاة المديريات إلىجانبالقضاء المحلى الذى يقوم به مشايـــــخ القبائل والرؤ ساء المحليينومما يؤكد هذاالأُمر أُن سعيد باشا أُبان زيارته للسودان أشار في منشوره الأول الذي أصدره في الخرطوم لتنظيم الادارة الــــى بعض النواحىالتي تتعلق بالجانب القضائي فأشار الىالمؤ سسات القضائيـــة التي سبق انذكرناها ٠ ومما جاء في هذا المنشور عن القضاء قولــــه: " أُمًّا المنازعات والقضايا فيكون بحثها والبت فيها أمام المشايخ ولكــن فى الحالة التي يتعذر فيها الوصول إلى حل بهذه الطريقة فأن هذه القضايـــا يفصل فيها المكوك (1) الذين يقبلهم الطرفان المتنازعان • وإذا كانـــت من نوع لايحل بهذه الطريقة فأنها ترسل إلى المديرية • ومالم يمكن الفصل والحكم فيه فانه يعرض على المجلس أثناء الشهور الثلاثة التي ذكرت أعلله ر ـ فعلى المجلس أن ينظر في هذ ه الأمور ويصدر حكمه فيها"(٢) •

وهذا هو القضاء المحلى المرتبط بالادارة الأهلية ويختص بالمنازعات البسيطة حيث يتحاكم الناس إلى مشايخهم فأن قبلوا أحكامهم انحلت المشكلات

⁽١) المكوك جمع مك وهم الحكام الممطيين في السودان في تلك الفترة ٠

⁽۲) محمد فواد شكرى : الحكم المصرى فى السود ان ـ مرجع سابق ص ٣٤٧٠

وإلا فيلجا الخصوم إلى المكوك وهم الحكام المحليون فأن فشلوا فى حصل القضايا فأنها ترفع إلى محكمة المديرية فأن عجزت محكمة المديرية فأن عجزت محكمة المديرية فمحل بعض القضايا فأنها تحال إلى المجلس الذي كوّنه محمد سعيد في الخرطوم من الحكام والروّ سات المحليين وشيوخ القبائل لينظر في كيفية حلها ٠

ويفيف سعيد باشا في منشوره " أما فيما يختص بالمسائل المتعلقــة بالقانون فهذه يحكم فيها القضاة ، ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام المشايـــخ والمديرية ، أمّا قضايا القتل فيجب أن ينظر فيها مدنيًا بمساعدة المديرية وتبحثها المحكمة في المديرية ، وفي المجلس الذي سبق التحدث عنه وذلــــك بحضور القاضي والذين يخصهم الأمر حتى ترفع إلىّ بعد ذلك بو اسطـــــة المديرية ، أمّا قضايا البدو فهذه من اختصاصات شيخ قبيلتهم أو الشيــخ الأعلى "(۱) ،

ونجداًن سعيد قد ترك المسائل المتعلقة بالقانون للقضاة لأنهم أهل دراية ولم يتركها للحكام المحليين ولا للحكام العسكريين ولا لمشايا القبائل ولاحتى للمجلس الذي يجمعهم جميعا واشترط في القضايا التيبحثها المجلس أن تكون بحفور القاضي كما أن قضايا القتل بعد الحكسم فيها لابد من رفعها إليه في القاهرة للتصديق عليها •

وفى منشوره هذا ذكّر سعيد الحكامبالعدل بين الناس وبرحم المساجين ومما جاء فى هذا الشان قوله " ابحثوا المسائلواُعدلوا بين الناس دون ما تحيز فإذا استحق إنسان السجن لذنب من الذنوب فمن واجبكم الاهتمام بانهاء هذه المسالة حتى لايبقى المجرم وقتاً طويلاً فى السجن ، لأنسه

⁽١) المرجع السابق ص ٣٤٧٠

مع كون السجن ضرورياً لعقاب احد الأشفاص على ارتكاب عمل سى ومن المنتظر أن ينتج خيراً إذ أن هذا من شأنه أن يمنع المجرم من اقتراف آثام أخصرى فى المستقبل وفى نفس الوقت تكونهذه العقوبة مثلاً يردع الآخرين عن الاتيان بأعمال تستحق هذا العقاب ، فأنه لما كان السجناء هم من رعاياى وشعبى فان عدلى ورحمتى لايسمحان بأن يبقوا فى السجن أكثر من الوقت المقرر ورغبتى أنكون شفيقاً فى معاملتهم "(1) ،

هذا كل ماوصلت اليه حولنظام القضاء في عهدى عباس الأول وسعيـــد باشا أما عن نظام القضاء فيعصر اسماعيل فسنحاول التعرف عليه خــــلال الصفحات التالية :

بِ نظام القضاء في السودان في عصص اسماعيل :

بما أنَّ فترة حكم الخديو اسماعيل باشا كانت طويلة نسبي المراء - ١٨٦٣ ١٨٦٩م فقد شهد نظام القضاء فيها حمثل بقية أنظمة الحكموالادارة - تطوراً نحاول هناأن نتلمس جوانبه ٠

فى هذا العهد برعهد اسماعيل ـ قسمت المحاكم رالىمحكمة عليا ومحاكم محافظات ومديريات ثم محاكم أقسام ·

_ أولاً: المحكمة العليا:

مقرها الخرطوم وكانت تسمى مجلساستئناف السودان وتشكل مصحصة عدة قضافا برئاسة قاضى عموم السودان ولها هقيها ويسمى مفتى مجلسة قضاة السودان ومن خضائصها أنها كانت تنظر فى الأُحكام الصادرة من قضطاة المديريات والمحافظات الكائنة من مختلف أنحاء السودان بصفة استثنائيسة

⁽۱) محمد فؤاد شكرى: الحكم المصرى فى السودان - مرجع سابق ص ٣٥٠ -

اذا لم يقتنع المستأنف بقرار الاستئناف الصادر من مفتى المديريــــة فى الحكم فأن كان الحكم مطابقاً للأصول الشرعية صدقت عليه وإلا قررت بطلانــه وحددت جلسة للنظر فى القضية والفصل فيها ، والأحكام التى تصدرهــــا هذه المحكمة تكون نهائية وغير قابلة للمعارضة (١) .

هذا وقد كان آخر رئيس لهذه المحكمة هو الشيخ محمد خوجلى حتيك كما انالشيخ شاكر بن الرئيس كان المفتى الأخير لهذه المحكمة وكانست أحكامها تسجلفى محاضر ومن أمثلة القضايا التى قامت بالفصل فيها قضيا التنازع بين أهالى قبة خوجلى وأهالى جزيرة توتى (٢) فى الحد الفاصل بينهم فى الأطيان (٣) .

هذا وقد صدر قرار بالغاء هذا المجلس وتكوين مجالس مشابهة فــــي كل مديرية وقد جاء قرار الالغاء هذا فى الخطاب الصادر من الخديو اسماعيل فى الثانى و العشرين من ذى القعدة سنة ١٢٨٨ هـ الموافق الثانى من فبرايــر سنة ١٨٧٢م ، وقد جاء فى هذا الخطاب مايلى :

" جواب للمستشار صورته ورد للمعية إفادة من مجلس الأحكام رقبع ٢٧ نمرة ١٢ بأن جهة السودان كان موجوداً بها مجلس واحد وكانت قضاياه تقدم للأحكام (٤) والآن وردت مكاتبة هن حضرة الباشا مدير عموم قبلان انفهم منها (٦) لغو (هكذا)(٧)ذلك المجلس وأن حضرة مدير التاكال

⁽۱) انظر حسين سيداًحمد المفتى ـ تظور نظام القضاء فى السودان · مرجع سابق ص ٨٨٠

⁽٢) ضاحيتان من ضواحى الخرطوم بحرى ٠

⁽٣) انظر حسين سيداًحمد المفتى • نفسالمرجع ص ٨٤-٥٨٠

⁽٤) يقصد مجلس الأحكام بالقاهرة ٠

⁽٥) يقصد مدير عموم قبلي السودان ٠

⁽٦) يقصد فهم منها ٠

⁽٧) يقصد إلغاء ٠

غير معلوم (١) إن كان صدر أمر بلغو (هكذا) مجلسالسودان المحكى عنسسه أو تسميته باسم آخر كما أنه مهما علم طن تشكيل مجالس لمديرية التاكسة وبربر ومحافظات سواكن ومصوع مافهم إنكان مديريات كردفان وعموم قبليي السودان ترتب لها مجالس محلية أم لا • وإن كان ترتب للجميع مجلـــــــ استئناف أُم كيف؟ لاَخُر ماذكر ، والحال أنه وان كان لم يصدر أوامــــر خصوصية بلغو (هكذا) المجلس السالف ذكره غير أن وجوده كان قبل تبديـــل هيئة الأقاليم السودانية كما هو معلومبالمجلس الخصوصي ٠ ولما صــارت التشكيلات الجديدة واجعالها (هكذا) جهات قايمة بنفسها ولغو (هكــــذا) الحكمدارية ، قد أُشير بالأوامر في وقتها أنكل جهة تعمل ترتيبها (٢)، وتقدمه وفي غضون ذلك كان محافظ مصوع عمل ترتيب رقم (٢) ثم إن مديــــر التاكا عمل أيضاً ترتيباً وقدمه للمعية وأرسل إلىالمجلسالخصوصي بافللات رقم (١٦) شوال سنة ٨٨ ه نمرة (٢٢) للنظر فيه كما أن مدير عموم قبلــــى السودان عمل ترتيبه وقدمه إلى المجلسالمشار اليه وأرسل صورته إلى المعية مع افادة رقم(٤) الماضي نمرة (١١) وافادة أُخرى في ذلك التاريخ نمرة (١٢) بأنه لمناسبة لغو^(٣)(هكذا) واستقلال المجلس البلدى قد أُجرى رقْت الـــذوات الذين كانوا بمجلس السودان ورتب مجلسللخرطوم مركب من ريس (هكذا)وفقى (^(ه) (هكذا) وكتاب وفراش وموظفين وأن الاعضاء يكونوا من عمد ووجوه البنـــدر

⁽۱) يقصد الغاء ٠

⁽٢) يقصد أنه لايعلم ٠

⁽٣) يقصد أنه قد ترك لكل جهة اختيار التنظيم الذي يناسبها٠

⁽٤) يلاحظ ضعف لغة الخطابات الرسمية وركاكتها فى هذه الفترة وربم يرجع السبب فى ذلك الى أن القائمين على شئون الدو اوين كانوا مصدن الأتراك الذين كان المام معظمهم باللغة العربية ضعيفاً •

⁽ه) يقصد فقيه ٠

يحضروا بأوقات اللزوم ، فبهذه المناسبة وما تودى عن مجلس الأحكام عـــن وجود مجالس ببعض الجهات دون البعض وعن مجلس الاستئناف الذى قيل عنـــه صار هذا مما ينظر فيه بالمجلس الخصوص وأن تحسزوجود مجلس بكل جهـــة واستئناف بالخرطوم على مجالس الجهات القريبة منه مثل جهات قبلى السودان وكردفان ودنقله وبربر عدا التاكا وسواكن ومصوع لمناسبة بعدهم عن الجهــة المذكورة وقربهم لمصر يكونوا تابعين استئناف مصر أو غيرذلك فما يــرى ويستموب بأفكار المجلس الخموص بهذا الشأن يصدر عنه القرار اللازم ويتقدم لعرضه على الأعتاب السنية (۱) ، بناءً عليه اقتضى تحريره بما ذكر (۲) ".

ثانيا : محاكم المديريات :

وداغرة اختصاص كل محكمة مديرية تشمل البلاد الداخلة في حصدود المديرية الكائنة بها وتختص هذه المحكمة بالنظر والفصل فيما يرفع إليها بصفة استثنائية منالدعاوى المحكوم فيها منقضاة الأقسام التابعة لها وكما تختص بالنظر والحكم فيما يرفع اليها من القضايا بصفايا بصفاية متى ماكان المدعى من متوطنى بلاد مركز المديرية و وتشكل كلم محكمة مديرية من قاضي واحد ونائب واحد وعدة كتبة وكانت الجلسطة علنية يحفرها من يشاء من العلماء والفقهاء ولمن يشاء منهم أن يعارض القاضي أثناء التحقيق متى ما رأى اغفالاً عن نقطة لازمة في القفيطة فاذا اقتنع القاض بصحة رأى المعارض قبله وأما إذا أصر القاضات على رأيه وأصدر حكماً فللمعارض في هذه الحالة ان يقدم مذكرة والسي مدير المديرية يذكر فيها ماكان من القاضي ويشير إلى الخطأ الذي ظهرر

⁽١) يقصد بالاعتاب السنية حضرة الخديوى ٠

⁽٢) عابدين دفتر ١٨٥٢ ـ معية عربى رقم ٢٩ صفحة ٧٣ نقلا عن الحكـــم المصرى فى السود ان ص ٢٧٦-٢٧٧٠

له ثم يذكر مايؤيد معارضته من النصوص الشرعية وهنا يطلب المدير إلــــى القاضى النظر فى مذكرة المعارض فإذا وافق عليها فيجب إعادة النظر فــــى القضية (١) .

أما إذا لم يوافقالقاض على مذكرة المعارض فيجب عليه أن يرفي مذكرة الىمدير المديرية يذكر فيها حيثيات حكمه ثم بعدذلك يرسل مدير المديرية مذكرة المعارض وحيثيات حكم القاض مع أوراق القضية والسما المفتى للنظر فيها ، ويجب هنا وايقاف تنفيذ الحكم حتىياتى الرد ولايخلو الرد من أمرين أما أن يؤيد المفتى حكم القاض وأما أن يوافق على مذكرة المعارض وفى الحالة الأخيرة يكلف مدير المديرية القاض باعادة النظرو

واذا استشار المحكوم عليه عالماً من العلماء وأخبره بحكم القاضي ورأى العالم أن حكم القاضي كان خطأ فيجوز أن يذهب العالم إلى القاضي ويلفت نظره إلى الخطأ في الحكم ، وبعدالمناقشة إذا اقتنع القاض برأى العالم أعاد النظر في القضية ، أما إذا لم يقتنع القاض فللعالم أن يبادر برفع مذكرة إلى مدير المديرية ، ويحصل هذا عادة في القضايا الكبري والمهمة ، ولهذا الاجراء فائدة كبرى حيث يشعر القاضي أن أعماله مراقبي من قبلفيره كما أن أحكامه عرضة للانتقاد ولذلك كان القضاة يبذلون جهدا كبيراً واحتياطاً واسعاً ومراجعة للنصوص قبل النطق بالحكم ،

استنئاف السودان قائماً ، ولماتم الغاء هذا المجلس جعل لكل مديريــــة

⁽۱) انظر حسين سيد احمد المفتى ـ تطور نظام القضاء في السودان ص ٥٨٦٠

مفتياً أصبح يقوم بمهمة مجلس الاستثناف وفى حدود المديرية وكانت محاكسم المديريات لها أماكن معينة وغالباً ماتكون مبائسى المحكمة ضمن مبانسسى المديرية نفسها (۱) .

د ألثاً : محاكم الأقسام واختصاصها :

توجد هذه المحاكم فى الأقسام التى تتكون منها المديريــــة أو المحافظة وتسمى فى بعضالاحيان محاكم الأقاليم •

ودائرة هذه المحاكم تشمل البلاد الداخلة فى القسم الذى توجد بلطمكمة وتشكل هذه المحاكم من قاض واحد ونظام المجلسات فيها لايختلف كثيراً عن نظام الجلسات فى محاكم المديريات واختصاص هذه المحاكي يشمل النظر والحكم فيما يرفع اليها من القضايا متى ماكان المدعلي بدائرة القسم الذى توجد به المحكمة ولكن يجب عليها أن تحيل القضايا الكبرى إلى محكمة المديرية أو المحافظة التى يتبع لها الاقليم أو القسم وقد جاء فى خطاب الحكومة المصرية إلى المسئولين فى السود ان بهذا الشان مايلى:

" والدعاوى الجسيمة التى تحتاج إلى النظر فى القرى والبــــلاد تحال على قضاة الولايات (المديريات) لينظروا فيها بما يتحقق وليحكموا بما يوافق أصول الشريعة الغراء (٢) .

ومن حقوق محكمة القسم كغيرها منالمحاكم اضافة إلى الفصل فللمحاكم اضافة إلى الفصل فللمحاليا ، كتابة حجم العقارات والأطيان ومباشرة الاشهارات كالهبلوة والوقف والتوكيل والرهن والبيع والشراء وكمثال على هذا حجة الشلواء

⁽١) انظرتطور نظام القضاء في السودان - مرجع سابق ص ٨٧

⁽٢) المرجع السابق نفسه ص ٩٩٠

التى قام بكتابتها قاضى اقليم الحلفاية ^(۱) فى سنة ١٢٩٧ ه الموافسية سنة ١٨٩٧ م ونصها كالتالى:

" حجة شرعية مضمونها اشترى حضرة المكرم على ولد سالم بماله لنفسه منبايعه أحمد ولد الفكى محمد ولد أحمد ولد النور قطعة أرض زراعيكانة بجهة الدبيبة ساقية بنت أبكر قدرها خمسة أذرع بالزراع الثماني كاعنة بجهة الدبيبة ساقية بنت أبكر قدرها من جهة الصعيد البشيروليد المتعارف عليه بينهم ومحدودة جهتها وحدها من جهة الصعيد البشيروليد الحسين ومن جهة الشمال طين بابكر ولد النصيح وشرقاً منتهى حد جيرانها وغربا بالبحر(٢) بمبلغ وقدره ثمانية ريال مجيدى ونصف وربع من الريال قيمة كل ريال عشون قرشاً من القروش الأربعينية قطعة مصرية عملة رائجة فضة خالصة مسكوكة وكذلك البيع الواقع بينهما عاماً اتفقا على فللمشترى ويشتمل هذا البيع على الايجاب والقبولو التسليم والتسلم وشروط المشترى ويشتمل هذا البيع على الايجاب والقبولو التسليم والتسلم وشروط البيع بالتخلية الشرعية بينه وبينها وأوقفه عليها وعلى حدودها فارغاما عن تعلق حق أحد عليها وصارت ملكه وحقه بالبيع والتسليم بطوعهما واختيارهما وعقلهما وصحة تصرفهما وأفترقا عن تراض منهما بذلك بشهادة

۲۱ جماد اخر سنة ۱۲۹۷ (۱۲۹۹م) قاض اقليمالحلفاية خوجلى عبدالرحمــن خوجلى عبدالرحمــن (الختم) (۳)

⁽۱) ضاحية من ضواحى الخرطوم بحرى ٠

⁽٢) يقصد بالبحر نهر النيل ٠

⁽٣) حسين سيد أحمد المفتى تطور نظام القضاء في السودان ص٩٨٠

ـ منصب قاضي عموم السودان في هذه الفترة :

تولىمنصب قاضى عموم السودان فى عهد اسماعيل باشا الشيخ محمد خوجلى حتيك وهو من قبيلة المحس (1) وكان ذلك فىعام ١٨٥٨م وكان عالما ورعاً تقياً وبقى فى منصبه المذكور إلى أن قتل يوم سقوط الخرطوم على أيدى أنصار المهدى(٢) .

ومن هذا يتضح أنه فى عهداسماعيل لمتكن هناك فترة محددة للقضـــاة يتقاعدون بعدها وانمايستمر القاضى فى منصبه الى أن يهرم أُو يموت اُو يعــزل لسبب من الاُسباب ٠

فى عام ١٨٨٢م رات الحكومة المصرية فصل غربالسودان قضائياً عسن شماله فعينت المغفور له السيد أحمد الازهرى (٣) قاضياً عاماً لغرب السودان ، ولكنه توفى قبل تسلم مهام منصبه ٠

أما فى شرق السودان فعندما ضمت سواكن الى أملاك الخديو اسماعيل " استصدر محافظها ممتاز باشا مرسوماً من الخديو اسماعيل باشا بتعيين القاض عبدالقادر حسين بن عبدالقادر أفندى راذ كان أول الفائزين فللمتحان الذى أجراه مندوب مشيخة الأزهر الشريف بسواكسن فكان نزيه جدا ومدققا فى أحكامه الشرعية والمدنية وخصوصا الجروح فانه يعطيها

⁽۱) المحسن من قبائل السودان الشمالى ويسكنون إلى الجنوب من حلفا وهـم احدى المجموعات النوبية التى تسكن شمالالسودان • انظر محمد عـوض محمد : السودان الشمالى • مرجع سابق ص ٣٠٢٠

⁽٢) انظر تطور نظام القضاء في السودان ص ١٠١٠

⁽٣) ولد السيد أحمد الازهرى بمدينة الأبيض عاصمة مديرية كردفان سنصة المرام وحفظ القران الكريم بمسجد والده بالأبيض وتلقى علومه الاولية على بعضالعلما و في على بعضالعلما و في الكردفانومن ثم ذهب الى الأزهر لطلب العلم فانتظم في سلك طلبته و أظهر نبوغا عظيما وبعد أثنتي عشر عاماً قضاها في الأزهر أصبح من فحول العلماء العاملين وعين مدرساً بالأزهر فكان مرجصع (=)

استحقاقها من العناية سواءً كانت كبيرة أو صغيرة • واشتهر بتعييــــن القضاة من أبناء البيوتات الدينية فىالمراكز التابعة لرئاســـــة فضيلته "(1) •

بعد ذلك جمعت سواكن ومصوع فى ادارة واحدة فكان يقوم بالقضاء فكل منها مجلس مكون من العمد والتجار وراًى المجلس الخصوص أن القضيا وادا نظرت باعد هذين المجلسين يكون استئنافها فى المجلس الآخر مسدا وقد طلب حاكم هذه الادارة الفاء هذه المجالس لأنها كلفت الحكومة المصرية مصاريف كثيرة مع أنه لاتوجد قضايا تستدعى ذلكولكن مصر لم تقرطلبه (٢).

وقد كان من اختصاص قاض عموم السودان إلى جانب تعيين القضوع وعزلهم والمرور عليهم بالمديريات والمحافظات بعد تعيينهم والتفتيش علي اعمالهم وارشادهم إلى مايجعل أعمالهم صحيحة ـ إلى جانب هذه الأعمال كالم عليه رئاسة المحكمة العليا، بالخرطوم الوسواء كان القاض مصرياً أم سودانيا فقد كان يختاره قاض عموم السودان ويعينه سعادة حكمدار عموم السودان الماء فقد كان يعينون بامر خديو مص (٣) .

__وظيفة الافتاء:

ظهر منصب الافتاء كوظيفة رسمية فى السودان فىعهد محمد على كماسبقت الاشارة إلى ذلك حيث عين الشيخ القاضى أحمد السلاوى مفتياً للمالكيف في السودان كما تمتعيين السيد أحمدالبقلى مفتياً للشافعية ولكنه رجع بعد فترة وجيزة إلى مصر لأنه لايوجد فى السودان إلا القليل جداً مسسن الشافعية .

⁽⁼⁾ العلماء والطلاب في مصر في المسائل العلمية وفي سنة ١٨٧٣/١٢٨٩م عساد السيد أحمد اليوطنه السودان وفي بلده الأبيض عقد حلقات العلم فقصده

الطلاب في مختلف الجهات ثم عينقاضيا ولكنه توفي قبل استلام عمله • (۱) محمد صالح ضرار :تاريخ سواكنو البحر الاحمر • مرجع سابق ص ١٤٠٠ (٢) انظر د • شوقى عطا الله الجمل ـ سياسة مصر في البحر الاحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ـ المصرية للكتاب • القاهرة ١٩ ١٠٢٥ (٣)

الثانى من القرنالتاسع عشر-الهيئة المصرية للنتاب العصورة ١٠١٠ المارة ٣٠٠) عبدالله حسين المحامى - السودان منالتاريخ القديم الى رحلـــــــة البعثة المصرية ، مرجع سابق ص ١١٤٠

بعد ذلك عين السيد الشيخ محمد السليدى سنة ١٨٢٥م و استمر فمنصبه إلى أنتوفى في سنة ١٨٣٩م وخلفه الشيخ ابراهيم عبد الدافع ٠

ولما تم الغاء مجلس استئناف السودان جعل في كل مديرية مصاب المديريات مفتيا وكان اختصاص مفتى المديرية هو افتاء أهالي مديريت في العيادات والمعاملات وغير ذلك من أمور الدين وكان مدير المديريات لايقوم بعمل يتعلق بالاسلام والمسلمين إلا إذا اتصل بالمفتى وتحصل علية فتوى منه •

كما كان من اختصاصه وايضًا النظر بطريقة الاستئناف فى الأحكام الصادرة من قضاة مديريته واذا لم يقبل بها المحكوم عليهم وتلك الأحكام هى التصلى كانت ترسل الىمفتى المالكية بمصر قبل وانشاء وظيفة الإفتاء فى السودان، فلمنًا تم وانشاء وظيفة مفتى المديرية جعل من اختصاصه نظر ماكان يحال الى مفتى المالكية بمصر (1) .

وتذكر بعض المراجع أسماء المفتين فى المديريات ومنهم الشيخ اسماعيال عبد القادر المشهور باسماعيل المفتى ، مفتى مديرية كردفان وهو ملت خريجى الأزهر الشريف ومنهم الاستاذ عبد الحى الطرابلسى فقد كان مفتياً لمديرية دنقله والأستاذ زروق إدريس الحلقى الذى كان مفتياً لمديريات التاكة والأستاذ السيد أحمد الشنقيطى الذى كان مفتياً لمحافظ واكن ١٠٠ وهكذا فى بقية المديريات (٢) .

⁽١) انظر تطور نظام القضاء في السودان ص١٠٩٠

⁽٢)

- استئناف الاحكام:

أوجد التنظيم القضائى الذى أحدثته مصر فى السودان نظلسام استئناف الأحكام فى حالة عدم قناعة المحكوم عليه بالحكم الصادر فده وشمل نظام الاستئناف كل مراحل التنظيمالقضائى ، ففى محاكم الأقسام أو الاقاليم متى ماصدر الحكم فد شخص ورأى المحكوم عليه فرورة الاستئناف ذهب إلى محكمة المديرية ، وهناك يغد القاضى بطلبه للاستئناف فيحدد القاضى يوماً للنظر فى الدعوى يحضر فيه الخصمان وتستمع المحكمة إلى أقو الهم والى الشهود فاذا رأى القاض صحة الحكم ولم يقدم المستأنف دفعاً شرعياً قرر تاييد الحكم الصادر من قاضى القسم أو الاقليم ، أما إذا رأى قاضى المديرية بطلان الحكم الصادر هن قاضى القسم أو الأقليم سار فى الدعسوى

وبعد انتهاء القضية من محكمة الاستئناف فىالمديرية فأن هذه المحكمة تخطر محكمة القسم بمضمونالقرار الصادر عنها للعمل بموجبه (۱) .

أما الأحكام التى تصدرها محاكم المديريات والمحافظات فانها لاتقبال الطعن إلا إذا قدّم الطاعن سواءً كان المحكوم عليه أو المحكوم له نصوصاً شرعية تدل على عدم صحة الحكم ، وبيان ذلك ، أمّا أن يكون المستأنف عالما بالنصوص الشرعية وإما أن يرجع إلى الراسنين في العلم فيكتب له أحاد العلماء النصوص الشرعية ثم بعد ذلك يقدّم المستانف هذه النصوص إلى القاضى الذي أصدر الحكم فإذا اقتنع القاضى بنصوص المستانف وحججه أعاد النظامات

⁽۱) انظر تطور نظام القضاء في المسودان - مرجع سابق ص١١١٠٠

فى القضية ، أما إذا لم يقتنع القاض فللمستأنف أن يرفع الأمر والسمور المديرية الذي يطلب من القاضي حيثيات حكمه و أوراق القضية ثم يوقف تنفيذ الحكم الذي أمدره القاضي ويرسل النصوص التي قدمها المستأنف مصع أوراق القضية وحيثيات الحكم إلى مصر فاذا جاء الرد من هناك بعدم مطابقة الحكم للنصوص الشرعية نظرت القضية من جديد و أصدر فيها الحكم الشرعصيين

ـ تنفيذ الاحكام :

يكون تنفيذ الأحكام من اختصاص القاضى الذى أُصدر الحكم مت ماكان الحكم جزئياً كأُحكام الجلد والحضانة والطاعة ، فأنالقاضي يأم بتنفيذ أمثال هذه الاحكام في قاعة الجلسة فيأمر بجلد المجرم ويسل المحضون إلى حاضه والزوجة إلى زوجها وهكذا ، أما بقية الأحكام فيباشر تنفيذها الحاكم الإدارى من غير حاجة للتصديق من جهة أخرى إذا كان تنفيذها الأحكام لاتشتمل على حكم بالاعدام ٠

أما أحكام الإعدام فلايمكن تنفيذها إلا بعد التصديق عليها من قبال الحكومة المصرية بالقاهرة ، وبعد التصديق عليها فأن الحاكم الادارى هو الذي يقوم بتنفيذ الحكم ، ففي اليوم المحدد يؤتي بالمحكوم عليه مسع جماعة من المسجونين ، ثم يأتي الحاكم الادارى والقاضي لمكان التنفيلة ثم تقراً حيثيات الحكم جهراً على مرأى ومسمع من الحاضرين وبعد الفراغ مسن قراءة الحيثيات يسأل المحكوم عليه عما إذا كان يريد أن يوص بشاع وهل له أو عليه بعض الديون وهل له رغبة في تناول طعام أو شراب أو غيسر ذلك فان ذكر شيئاً معقولاً لايعطل التنفيذ فأنه يجاب إلى طلبه ، ثم بعدد ذلك ينطق المحكوم عليه بالشهادتين وينفذ الحكم عليه علناً (1).

⁽۱) انظرتطورنظام القضاء في السودان ٠ مرجع سابق ص١٢٣٠

القانون السائد:

القانون السائد في كل الولايات العثمانية هو القانون الهمايوني العثماني والمعروف عن هذا القانون أنه كان يقوم على أساس الشريع الاسلامية رغم أن القوانين الوضعية الأوربية قد عرفت طريقها اليه منذ عهد السلطان سليمان المعروف بالقانوني ٠ والا أن هذا القانون في معظمه كالمناوني المعروف بالقانوني ٠ والا أن هذا القانون في معظمه كالتانوني المعروف بالقانوني ٠ والا أن هذا القانون في معظمه كالتانوني المعروف بالقانوني ٠ والا أن هذا القانون في معظمه كالتانوني المعروف بالقانوني ٠ والا أن هذا القانون في معظمه كالتانوني ١ والتانون في معظمه كالتانوني ١ والتانون في معظمه كالتانوني ١ والتانون في معظمه كالتانوني ١ والتانوني ١ والتانون في معظمه كالتانوني ١ والتانوني ١ وال

أما في مصر فيذكر أحد الباحثين أن مصر حتى عهد محمد على كانست تطبق الشريعة الاسلامية " ومنعهد محم دعلى بدأ القانون الفرنسي يدخصم مصر ، لاسيما فيما يتعلق منه بالتجارة والقانون الجنائي وأخذ تأثير الشريعة الاسلامية ينكمش رويدًا رويدًا كلما دخلت مصر قاعدة من قواعد القانون الفرنسي وانتهى الأمر في عهد اسماعيل بأن صدرت التقنينات المصرية الأولي آخذة الأغلبية من أحكامها عن القانون الفرنسي والقليل النادر منها عسن الشريعة الاسلامية ، وهكذا فعف أثر الشريعة في القانون المصرى بالنسبة إلى مانظمته التقنينات الصادرة وقتذاك بيد أن هذه التقنينات لمتتناول تنظيم مسائل الأحوال الشخصية " (1) .

أما فى السودان فقد استمرت المحاكم الشرعية خلال فترة محمد على تطبق الحكام الشريعة وفق القانون الهمايونى وفى عهد اسماعيل بقى القانون العائد فلي الهمايونى أساس المعاملات المدنية أما القانون العسكرى فهو السائد فلي الأوساط العسكرية واختصت المخاكم الشرعية بالأحوال الشخصية (٢) . وبظ هسر

⁽۱) الشيخ عبد المجيد الشاذلى : حد الاسلام وحقيقة الايمان ـ مركز البحث العلمى المعامعة ام القرى ـ الطبعة الاولى ١٩٨٣م مطابع الصفا بمكة المكرمة ص ٢٧٢٠

⁽٢) انظر د٠ مكى شبيكة : السودان عبر القرون ٠ مرجع سابق ص ٢٤٦٠

هذا الأمر من خلال الخطاب الذى أرسله الخديو إلى رؤوف باشا حكمدار السودان وقد جاء في هذا الخطاب مايلي: " وأما مايتعلق بالأمور القضائي والماء على قواعده المتبعة والحالة هله الما يختص بهذا القسم من المخابرات أو ماترونه لزوم اجرائه من الاصلاحات يجب أولا المخابرة عنه مع نظارة الحقانية ثم إن الرخصة التي كانت ممنود لأسلافكم بتنفيذ مايصدر من الأحكام شرعية كانت أو سياسية في المواد القضائية الحقوقية والجنائية قد أبقيناها بعهدتكم أيضا ماعدا أحكام القصاص الواجب استحصال أو امرنا عنها (1) " •

يقول الخديو في موضع آخر من نفس الخطاب مايلي: " فهذه الأفكات المعالتي تكون أسي أعمالكم في ترتيب وتنظيم عسكرية السود ان مع مراعا اجراء القانون العسكري وكافة مايتعلق بهذا القسم من المخابرات والاستئذانات هو خاص بنظارة الجهادية ، هذا مع بقاء حيازتكم الرخصة المعطاة لأسلافك بتنفيذ أحكام القانون العسكري في الجنايات وسائر الأحوال حسب ما تصدر به مفابط المجالس العسكرية فأن حكم العزل أو تنزيل رتبة أو ترقى الضابط جميع ذلك لابد من العرض عنه لطرفنا بو اسطة نظارة الداخلية (٢) " .

هذا الخلط فى القوانين جعل أحد الباحثين القانونيين يقول " ولم يحدث أن وضع طوال فترة الحكم المصرى قانون خاص بالسودان وكل الذى نجده هـــو اشارات إلى منشورات ولوائح وأوامر صدرت لتنظيم أعمال المجالس أسوة بماكان يحدث فى مصر ويبدو أن الادارة الجديدة وجدت نفسها مفطرة لاستمـــرار تطبيق الشريعة الاسلامية على السود انيين نسبة لأنهم كانوا يعتبرون القوانيين الوضعية التي كان يطبقها المصريون بدعاً لاتتمشى مع الشريعة وليسوا علــــى

⁽۱) نعوم شقير : تاريخ السودان - مرجع سابق ص ٣٠٨٠

⁽٢) المرجع السابق ص٥٣٠٩

استعداد لاحترامها والانصباع لها ، وهذا مما اضطر هذه الادارة أن تطبيق ثلاثة أنواع من القوانين القانون المدنى المصرى على موظفى الدولوالقانون العسكرى على الجيش والمناطق التي توضع تحت القوانين العسكرية والشريعة على مسلمى السودان من المدنيين ، بالاضافة والى كل ذلك كرابا الدول الاجنبية لايخضعون لأى من هذه القوانين ولا كانت قاضاياهم وممثلى دولهم "(1) .

ويفيف هذا الباحث في موضع آخر من كتابه: " ٠٠٠ وقد طبقت قوا والشريعة المتعلقة بالقسامة في الحالات التي لميعرف فيها القاتل، هذا فيما يختص بجرائم القتل أما الأجرائم الأخرى المتعلقة بالانسان من أذى جسيم وبسيط وسب وخلافها فقد كانت تحاكم سياسة حسنصوص القانون الهمايوني واللوائح والأو امر الصادرة بموجبه ، أما الجرائم المتعلقة بالأموال من سرقة وخيانة أمانة وأمتلاك جنائي وتعدى على ممتلكات الدولة أو الفير فقد كانت تحاكم سياسة وكانت عقوبتها رادعة صارمة ويبدون أن جرائم قطع الطريقو السلب والنهب كان مرتكبوها يطبون أو يرفعون أن جرائم قطع الطريقو السلب والنهب كان مرتكبوها يطبون أو يرفعون أما خيانة الأمانة والاستيلاء على أموال الدولة فقد كانت من أكثر الجرائح المتفشية وسط موظفي الدولة وعمالها وقد كانت عقوبتها هي الأخصول مارمة للغاية تشميل ارجاع المسروقات والحبس مع الخدمات الدنيئية

⁽۱) زكى مصطفىعبدالمجيد : القانون المدنى السوداني • مرجع سابق ص ١٤٠

⁽٢) الخوازيق جمع خازوق وهو من اللغة التركية (قازيق) ويعنى الوتصد وهو عمود مدبب كانوا يجلسون عليه من يحكم عليه بالاعدام ليمصوت موتاً بطيعاً أليما بنزيف الدم ، انظر تأصيل ماورد فىتاريخ الجبرتى منالدخيل ، مرجع سابق ص ١٨٠

والتقييد بالحديد والارسال الى الجهادية (١) " ٠

" أما القضايا الأخرى التى كانت تشمل شرب الخمر ولعب الميسر فقد كان يقام الحد الشرعى على مرتكبيها بينما نجد أنه فى حالات أخرى كتزويسر الأخكام يعاقب الجانى سياسة "(٢) .

وفىختام هذا الفصل استطيع تسجيل الملاحظات الاتية :

- (۱) حدث تطور هائل لنظام القضاء في السودان خلال عهد اسماعيـــــل مقارنة بالذين سبقوه ـ ولو على المستوى النظرى ـ وأصبحت القضايـا تسجل وتوثق ٠
- (٢) نظام الاستئناف المعمول به يدل على الحرص على تحقيق العدل على الرغم من تأخيره للقضايا والنزاعات ٠
- (٣) تعيين الحكام الأوربيين كان من الأسباب الأساسية فى اقصاء قوانيــــن
 الشريعة واستبدالها بالقوانين الوضعية ٠
- (٤) محاولة الغاء قوانين الشريعة سببت سخطاً شديداً فى أوساط الشعبب المعدوة السودانى المسلم وجعلت قطاعًا كبيراً من هذا الشعب يلتف حول الدعوة المهدية لمناداتها بتطبيق الشريعة فى كافة أوجه الحياة ٠

هذا ويعد انتصار الثورة المهدية انهاءاً لهذا النظام القضائك كيقية الأنظمة وقام بدلاً عنه نظام قضائى آخر ٠

• • •

⁽۱) زكى مصطفىعبدالمجيد : القانون المدنىالسوداني ـ مرجع سابق ص ۱۱۰

⁽٢) المرجع السابق ص١٨٠

الماري الماري المالي المالي المنظام الافتصادى والمنالي ويحتوى على و

1- النظام الافتصاى والمالى في الفترة من ١٨٢٠ - ١٨٤٨ م م- المنظام الافتصادى والمالى في الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٨٥م

للفيطولأوك

النظام الافتضادى والمالى في السود ان في النود ان في النود من المدن المدن

- تمهيــد :

_ الوضع الاقتصادي في السودان قبل عصر محمد على :

سأتحدث فى بداية هذا الفصل عنالنظم الاقتصادية والماليــــة التى كانت سائدة فى آنحاء الممالك السودانية قبل ضمها للادارة المصريــة وذلك حتى يتسنى لنا معرفة التطور الذى يمكن أن يكون قد طرأ على السودان فى هذه المجالات فى ظل هذه الادارة من خلال المقارنة مع النظم السابقة •

_ النظم الاقتصادية والمالية في مملكة سنّار :

ذكرت عند الحديث عن النظام الادارى لهذه السلطنة أن النظام الادارى فيها كان نظاماً بسيطاً يدور حول القبيلة وشيخها وكان المجتمع نفسه مجتمع بدوى أو قروى كما أن الاقتصاد كذلك كان اقتصادا بسيط قوامه الرعى والزراعة والتجارة •

فالقرية وهالمعروفة محليا "بالحلة " قد تتكون من أسرة واحدة أو مجموعة من قبيلة أو بطون قبائل متالفة مع من دخل في كنفها من السكان المحليين ويتولى شئون القرية زعيم يعرف بالشيخ يعاونم مجلس منكبار رجال القرية يسمى " الأجاويد " كما يساعده جماعة من أتباعه يعهد إليهم بوظائف الكتابة وتحصيل العشور والمحافظة على الأمن ويتأثرون عددهم ووظائفهم بمركز القرية الاقتصادى والمالى ، الأمر الدي يختلف بين منطقة و أخرى و المحافظة و أخرى و المحافظة و أخرى و المحافظة على الأمر الدي

والقرية تتكون من مجموعة قليلة منالمساكن تقع على اطلب الأراض الزراعية التى يقوم الشيخ بتوزيعها على أفراد القرية وفق النطاق الذى يراه من ناحية مقدرتهم على العمل فى الأرض ولايختلف الحال كثيراً

من ناحية الأسسالتى تقوم عليها القرية عن حال المدينة الصغيرة أو الكبيرة فالمدينة تسيطر على مجموعة من القرى ويتولى شئونها مانجل (١) أو مك أما المدينة الكبرى وتكون عادة واقعة على ملتقى القوافل وتسيطر على عصدد من المدن الصغيرة وما يتبعها من قرى ويتولى شئون هذه الوحدة الكبيرى زعيم الدار ويحمل لقب مانجل وينادى بالأرباب ٠

وولاية السلطة للشيخ والمك والمصانجل وراثية يتبادلها الزعيـــم ر واقاربه أو من ينتمون إليه (۲) .

وتقام فى المدن الكبرى والصغرى الأسواق الأسبوعية التى يختار لهـا يوم معين لكل منطقة يتاسب مع المصلحة العامة للسكان حتى يتمكنوا مـن الانتقالمن سوق إلى سوق ، وفى هذه الأسواق يتبادل الأهالى مختلف منتجاتهـم المحلية وكان التبادل غالمباً عن طريق المقايضة فى القرى والمدن الصغـرى أما فى المدن الكبرى فكانت تستخدم بعض العملات الأسبانية وغيرها (٣) .

" ويتحصل المانجل أو المك على نصيبه من الدخوليات ، ومن المكوس على القوافل التى تختلف قيمتها بين منطقة وأخرى ، ويدفع الزعيم المحلى جرءًا من حصيلته ، العينية والنقدية إلى خزينة السلطات السنارى ، وكانسست هناك ثلاث مراكز جمركية هامة في السودان الأول في دنقله والثاني في قسرى والثالث في تشلجة (٤) " .

⁽۱) سبق شرحها٠

⁽۲) انظر الشاطر بصيلى عبدالجليل - معالمتاريخ سودان وادىالني---ل مرجع سابق ص ۱۱۰ ٠

⁽٣) انظر المرجع السابق ص١١١٠

⁽٤) الشاطر بصيلى عبدالجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسـط من القرن السابع حتى القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية للكتـاب ١٩٧٢م ، ص ٢٧٢٠

أما سنّار العاصمة فيصفها الرحالة كرمبالذى زارها سنة ١٧٠١ بأنها "مركز تجارى هام وتتردد القوافل التجارية بينها وبينالقاهرة ودنقلسة ، وبلاد النوبة والهند وأثيوبيا ودارفور وبرنو وفزاف وغيرها من الأقطلسار وهى تأتى فى المرتبة الثانية بعدالقاهرة من حيث ازدحام السكان ويقطنها جميع الأجناس بحرية واطمئنان وسوقها منظم وكل سلعة لها أماكن خاصست تعرض فيها (١) " .

وكانهن قبله الرحالة الفرنس يونسيه قد ذكر أن البضائع التى تـــرد الى سنّار منالخارج هى البهارات والورق والنحاس الأصفر والحديد وأســـلك النحاس والادوات الحديدية والعطور والكحلا وغيرها من أدوات الرينة وتجار سنّار حسب مايروى الرحالة بونسيه يتعاملون مع مينا واكن حيث ياتـــون باللؤ لؤ من مقاصاته فى تلك المدينة ويتاجرون مع مخافى اليمن ومع سـورات فى الهند وهناك ينقلون إليها الذهب والزيار وسنالفيل ويرجعون بالبهارات والبصائع الهندية الأخرى ويمفون فى هذه الرحلة نحو سنتين من الزمان (٢).

ومن داخل السودان كان يرد إلى سنّار التمر من دنقله ومن كردفـــان التبر والحديد ومن فازوغلى والمعيد يأتيها الذهب والعسل والجلود والنعال والسياط والسمسم • وكانوا يتعاملون بقطع من الدمور (٣) • كما يتعاملــون بقطع من النقود أشهرها ريالات مارباتيريزا النمساوية (٤) •

⁽۱) د، مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص ٠٨٠

⁽٢) المرجع السابق نفسه صفحة ٧٧٠

⁽٣) الدمور نوع من القماش ٠

⁽٤) انظر ألن مورهيد : النيل الأُزرق - مرجع سابق ص٢٦٦٠

اما فى مجال الصناعة والحرف فيوجد الصاغة الذين اشتهر عمله فى مصر بالسنارى وكذلك الحاكة لحياكة الدمور وغيره من المنسوجات القطنية وهذا وقد كان ملوك سنار يجمعون الزكاة والفطرة والعشور على نحو مايفرضه الشرع الاسلامى • كما أنهم كانوا يقومون بتوزيع الأراض على الراغبي فى فلاحتها أو رعيها وكثير من أهالى السودان اليوم يملكون اراضيه بحجج منذ أيام ملوك سنار (۱) •

ـ التعامل الاقتصادي في دارفور :

اقتصاد دارفور كان بسيطاً مثلاقتصار سنار يقوم على الزراعــــة والتجارة والرعى ، أهم زراعة كانت موجودة فى دارفور هى زراعة الدخـــن الذى كان يزرع بالأمطار (٢) ،

هذا وكان سلاطين دارفور يعملون بالنظام المشهور في الشرق فيما يتعلق بملكية الاراضي حيث جعلوا البلاد كلها ملكا للسلطان وقسموا بلد المحضر إلى اقطاعات وحواكير وزعوها على اهلهم أو اصفيائهم أو كبار قومها بحجج مختومة فعاشوا بريعها هم وأهلها المزارعون وكذلك قسمت قبائلله البادية فخصفت كل قبيلة بأمير من الأمراء أو بعين من الأعيان يجبى اليه خراجها ويجمع السلطان من الناس الزكاة والفطرة والعشور حسبما تأمر بله الشريعة الاسلامية وكان العمال يجمعون الزكاة من البادية وربما تنسازل السلطان عن نصيبة في القبيلة أو " الحاكورة " فيعطى صاحبها " حجسسة بالجاه " فلا يقربه أحد من الجباة "(٣)

⁽۱) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ، مرجع سابق ص١٢٢٠

⁽٢) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان - مرجع سابق ص ١٨٨٠

⁽٣) انظر المرجع السابق ص ١٧٨٠

أما دخل السلطان في دارفور الذي كان ينفق منه على بيته وأهلـــه وجنوده في العشور والفطرة التي تجمع من الحضر والركاة التي تجمع مــن اهل البادية وعشور البضاعع التي تجمع من التجار والضرائب على التجــــار والحدادين والنفوس ومن الهدايا التي كانت تأتيه من الحكام وأصحاب المقاطعة والتجار ولم يكن يدخل عليه أحد من رعيته من موظفين وأعيان وتجــــار إلا بهدية نفيسة تعرف " بالسلام " من الرقيق والأبل والخيل والبقر والغنــم والذهب والفضة والعسل والسمن وسن الفيل "(1) .

وكانت سلطنة الغور مستقلة عن دول الأرض كلها لاتدفع جزية لأحصد ماعدا الحرمين الشريفين فأنها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة فكصان موكب المحمل يأتى إلىمصر ومعه الريش والسن والضمغ وغيرها من فيصدات البلاد فيبيعها ويتم بثمنها نقود الصرة ثم يستطرد الحج الى الحرميصان مع الركب المصرى (٢) ".

أما عن التجارة فى دارفور فقد كانت تربطها علاقات تجارية مصطكردفان وبحر الغزال ورداى ومصر وكان يرد منها إلى مصر من ١٠-١٥ ألصف جمل فى العام تحمل الرقيق والسن والريش والصمع والتمر الهندى والنحاس والعطرون والجلود والأقداح الخشبية والأطباق والعسل فتعود إلى دارفومها الأنسجة القطنية والحريرية والدبلان والجوخ والملايات الحجاريات والبنادق والسيوف والسروج وأنواع الحلى الذهبية والفضة والمرجان والسوميت وغيره من أنواع الخرز" (٣) .

⁽۱) انظر نعوم شقير : تاريخ السودان ص ۱۸۰۰

⁽٢) انظر المرجع السابق نفسه ص١٨٣٠

⁽٣) انظر المرجع السابق نفسه ص ١٨٨-١٨٩٠

هذا وقد ذكر محمد بنعمر التونسي وسائل التعامل التي كانت سائسدة في دارفور فذكر أن " مملكة دارفور ليس فيها شيء من المعادن والا ماطلب من الأقطار ،حتى ان أعظم حلى نسائهم من الحجارة ، وتغير الحلي من الأقطار ،حتى ان أعظم حلى نسائهم من الحجارة ، وتغير الحلي بدخول التجار في دارفور وتمصرت متاجرهم وعملوا حينذاك سكة يتعاملون بها في البيع والشراء فانقسمت بذلك مجموعات السكان أقسامًا ،وأعملك كل قسم من المعاملة مايتناسب مع حاله وأول هذه الاقسام الفاشر وهي مقر السلطنة ، فقد جعلوا من القصدير خواتم يشترون بها مايحتاجونه ملك مأكل وغيه وهذه الخواتم تنقسم إلى قسمين رفيعة وغليظة ، ويتعاملون ما بالخواتم الرفيعة في الأمور البسيطة ويتعاملون في الأمور الكبيرة بالتكاكي جمع تكية (بضم التاء وكسر الكاف المشدد وفتح الباء) وهذه التكياعين عبارة عن شقة من غزل القطن طولها عشرة أذرع وعرضها ذراع وهي علي نوعين : شبيكة (بكسر الشين وفتح الكاف) وهي نسيج خفيف غير مندم والثانية كتكات (بفتح الكافين وسكون التاء) ونسيجها ثقيل مندم

وما عدا ذلك فبيعهم كله بالمقايضة شيء بشيء • وتباع الحاجيـــات الكبيرة بالرقيق "(١) •

والملاحظاًنهذا الريال الفرنسى هو المعروف باسم أبومدفع · وهـــو أيضا معروف بهذا الاسم فى حوض النيل الأوسط · كما أنهم يستعملون فـــــى (٢) حوض النيل الابيض قطع القماش فى المعاملات بنفس الصورة المستعملة فى دارفور ·

⁽۱) محمد بنعمر التونس: تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان · مرجع سابق ص ۲۹۷۰

⁽٢) انظر الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقـــــى و الاوسط ٠ مرجع سابق ص ٣٨٧٠

ويذكر التونسى أن هل كيكية يتعاملون بالحرش (حاء مفتوحــة وراء مكسورة) وهو خرز ليس بالغليظ ولا بالرفيع ومنه أخضر و أزرق يعمـــل سبحاً في كل سبحة مائة حبة ويستعمل لزينة النساء كما يستعمل في البيـــع والشراء للحاجيات الصغيرة • وقيمة التكية ثمان سبح وتسير المعاملات فـــى وقيمة الأحوال كما هي عليه في الفاشر • (1)

ویتعامل فی منطقة قوطة وما والاها بالفلقة (سکون اللام وضم القصاف) وهو ملح یستخرج من تراب الاُرض یصب علیه الماء لترسیب الاُوساخ والتراب ویصفی ویقطر ماؤه ویتلقون المقطر منه فی قوالب کالاُصابع لیجمع بعد برودت ویدکر التونسی اُنَّ لهذا لملح لذة عجیبة فی طعمه تخالف تلك التی فلسس الملح الطبیعی الا اُنتَّ غیرشفاف وفیه سمرة ، وفید ارفور ثلاثة اُنواع مسسن الملح : الرغاوی وهو ملح طبیعی یستخرج من بئر الزغاوی ومیدولی وهو ملح طبیعی یستخرج من بئر الزغاوی ومیدولی وهو ملح طبیعی ولونه اُحمر وتستخرج منه قطع کبیرة وهو غال فی ثمنه وثالثه السابق (۲) ،

وفى منطقة كسا يتعاملون بالدخان الذى يعرف باسم التابا (٣) ويصنع منه أحجام على شكل أقماع هرمية مصنوعة من ورق الدخان الأخضر يعد دقـــة فىمهر اس من خشب حتى يصير كالعجين ويجفف فى الشمس وهو شديد الرائحــــة ويتعامل به فى صغائر الحاجيات ومن هذه الأقماع ماهو صغيرو كبير ويتعاملون أيضا بربطات غزل القطن طول الواحدة عشرة أذرع وفيها عشرون فتلة وتستخــدم

⁽١) انظر تشعيذ الاذهان ٠ مرجع سابق ص ٢٩٨٠

⁽٢) انظر المرجع السابق ص٢٩٩٠

⁽٣) لعله تصحيف لفظى لكلمة التبغ ٠

فى ∵المعاملات الصفيرة كما يتعاملون أيضاً بلوزات القطن بعد جنيه "(¹).

ويتعاملون في سوق رأس الفيل بالحشاشات وهي قطبع حديد يستخدم فيحرث الأرض ويتعاملون في الأمور البسيطة من حشاشة إلى عشرين ومازاد ، فبالتكاكي أما في تموركا في معاملتهم بدمالج النحاس وتستخدم فللمور الهامة وبالحذور (بفتح الحاء وتشديد الذال وفتحها) وهلستعمل في المسائل المغيرة ويتعاملون كذلك بالذرة والدخن كما يتعاملون بالبقر فيشتري الفرس مثلا بعشرة أو بعشرين بقرة (٢) .

وهكذا تختلفاً ساليب المعاملات في سلطنة الغور من منطقة إلى اخصري، سبقت الاشارة في النظام الاداري إلى أن هذه السلطنات قد ضعفت في أو اخصر أيامها وانفرط فيها حبل النظام وتهدد الأمن فانعكس ذلك كله على النشاط الاقتصادي حيث لم يكنهناك سلطة عامة موحدة تستطيع أن ترسم سياسسة اقتصادية موحدة أو مشتركة تشرف على أوجه النشاط الاقتصادي في أقاليم السودان المختلفة وتوجه هذا النشاط وفق حاجات البلاد ومقتضيات الطهروف والأحو ال

وخلاصة القول أنه لم يوجد بالسودان قبل امتداد الادارة المصريـــــة الله دول أو حكومات بمعنى الكلمة تشرف أو تنظمنواحى النشاط الاقتصــادى المختلفة فى البلاد راذ فيما عدا الفرائب والرسوم التى كان السلاطيـــن والملوك يجمعونها من التجار والمزارعين والبدوو الحرص على تنظيم قوافـــل التجارة التى كان لهم فيها النصيب الأوفر ، فقد ترك كل شيء يكيف نفسـه

⁽۱) انظرالتونسى : تشحيذ الاذهان ٠ مرجع سابق ص ٣٠١٠

⁽٢) انظر المرجع السابق ص ٣٠٢٠

⁽٣) انظر د٠ نسيم مقار : الأُسس التاريخية للتكامل الاقتصادى ـ مرجـــع سابق ث ٢٢٠

وفق ظروفه الطبيعة الخاصة ، حتى أن الباحث في أُحوال السودان الاقتصادية في ذلك الوقت يجد نفسه أمام أوجه للنشاط البشرى التلقائي الذي فرضت في ذلك البيئة على الانسان ونتيجة لتفاعلها معه اكثر من أن يكون نشاط معماً من قبل الحكومات السودانية القائمة وقتذاك •

فالتجارة على سبيل المثال وقد كانت تمثل أهم مظهر للنشاط الاقتصادى، فى الأقاليم السود انية قبل امتداد الادارة المصرية إليها فى سنة ١٨٢٠م أسهم فيها مختلف الجماعات من بدو وسكان مدفى وقرى وحكام ، هذا المرفق الحيوى الهام فى اقتصاد البلاد كان يتهدده خطر داهم يتمثل فى غارات السلولية والنهب التى اعتادت بعض القبائل البدوية شنها على القوافل عندمرورها عبر المحراء حيث يقطن أكثر هذه القبائل وبخاصة على الطرق المحراويسة التى كانت تربط شمال الوادى بجنوبه (١) ،

هذاماكان عليه أمر النظم الاقتصادية فى الممالك السود انية قبل أن يقوم محمدعلى باشا بحملته التى نتج عنها ضم هذ الممالك إلى الادارة المصريــــة وسنتناول فى الصفحات التالية النظم الاقتصادية والمالية التى أوجدهــــا محمدعلى فى السود ان بعد أن أصبح جزءاً من دولته ٠

_ النظام الاقتصادى والمالئ في السودان في عصر محمد على :

بعد أنتم لمحمد على ضم السودان إلى أملاكه على يد ابنه اسماعيـــل كامل باشا وصهره محمد بك الدفتردار - أنشاً فيه نظاماً اداريا أشبــــه بالنظام الادارى الذى كان قد أنشاه في مصر حكما سبقت الاشارة عند الحديث عن النظام الادارى - وبالتالى كانت سياسة محمدعلى الاقتصادية والماليــة

⁽۱) المرجع السابق ص۲۹۰

تبعاً لهذا النظام الادارى وأشبه بسياسته في هذا المجال في مصر٠

وقد سبقاًن أُشرت إلى الاهداف التى دفعت محمد على لفتح الســـودان فكان منها اُهدافاً اقتصادية تتمثل في استخراج الذهب وتأمين طرق التجارة (۱).

ترك محمد على لابنه اسماعيل تقدير مايراه مناسباً من الضرائب عنصد فتحه للسودان وذلك لأنالسودان كان مجهولاً بالنسبة لمحمد على • وبعصد أن تم الفتح أرسل محمد على ابنه ابراهيم باشا ليعاون أخاه الأصغصول في ادارة البلاد وتنظيم اقتصادها وذلك لما له من خبرة في الشصصام

اهتم ابراهيم واسماعيل بأمر الضرائب وتقديرها على الناس وكان مسن رأى ابراهيم باشا أن يجرى احصاءًا تقريبياً لعدد من القرى فى ألاقاليليسم السودانية من أفواه الذين يوثق بكلامهم وبعد عمل هذا الاحصاء التقريبي كانت النتيجة أن قرى سنارو الطفاية تبلغ ثلاثة آلاف قرية وفازوغلى أليف قرية وكردفان والف وخمسمائة قرية ولم تزد فى الوثائق احصائية عنقسرى مناطق يربر وشمال السودان • ورأى ابراهيم أن يعين قائمقام مع عشرة من الفرسان وعشرة من الجنود المغاربة على كل من ١٣-١٧ قرية لجمضخ خراجها وقدد انه عمكن الحصول على ألف أو الفين من الريالات فى كل قرية (٢)

ولكن فىتقديرى ران عدم معرفة ابر اهيم باشا بواقع البلاد وباقتصلام ر اهلها هو الذى جعله يتصور امكانية الحصول على هذه المبالغ الكبيلرة

⁽۱) انظرالشاطر بصيلى عبدالجليل: معالم تاريخ سودان وادىالنيل ، مرجع سابق ص ١٩١٦ ود، سليمان محمد الغنام: قراءة جديدة لسياســة محمد على باشا التوسعية ١٨١١-١٨٤٠م فى الجزيرة العربية والســودان واليونان وسوريا ، تهامة ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م ص ١٩٨٠

⁽٢) انظر مكى شبيكة : السودان عبر القرون ٠ مرجع سابق ص١١٥٠

فنظام الضرائب الذي أقامه محمد على فىالسودان والذى هو من المقومــات الرئيسية لسياسته المالية فى هذه البلاد لايختلف - كما ذكرت - فىجوهره عن النظام الضريبى الذى طبقه فىمصر من حيث أنه يقوم أصلاً على أساس أن تدفع الضريبة نقداً • وربما كان دفع الضريبة بالنقد أمراً مألوفاً عندالمصريين بحكم تقدم مجتمعهم وتمدنه بيدأنه أمر لم يعتده السودانيون إذ كانت غالبية التعامل بينهم تجرى بطريقة المقايضة أو المبادلة بالسلع والمنتجـــات المختلفة • وليس من شك فى أن حكومة محمد على قد أخطات التقدير حيـــن أفترضت وفرة النقد فىالسودان وفاتها أن الحال فى السودان غيره فـــى مصر(۱) •

ترك اسماعيل باشا بعد عودة أخيه إلى مصر أمر تقدير الضرائب إلى وكيله سعيد افندى والمعلم حنّا الطويل ف قاما بتسجيل القرى ووفعاعليها فرائب باهظة لم يالفها الناس من قبل فقد رأيا أن يدفع صاحب الحمـــار خمسة ريالات فى العام وكذلك صاحب الشاة فى وقت ماكانت الشاة ولا الحمار يساوى ثمنها هذا المبلغ وبالطبع " ماكان لوكيل مثل محمد سعيد أفنــدى يريد أن يرتفع فى عين رئيسه أو لمباشر كحنّا الطويل يريد ان تتفخـــم الجزية التى يحرسها أن يفعلا غير ذلك وربما كانا يقيسان الحالة بمصــر وهما يجهلان مبادى الاقتصاد ويجهلان أن السلع تختلف قيمتها باختـــلاف البلاد ، وهذه المقارنة قادتهما إلى ارتكاب ذلك الخطأ الفادح فأهــل السودان آنذاك اغلبيتهم تتعامل بالذرة والدمور كنقد والريالات المتداولة

⁽۱) انظر د•نسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل • مرجع سابــــق ، ص ٦٢-٦٢٠

بين الناس قليلة · والسودانى الذى يريد ان يقوم بتادية هذه الضريبــــة الباهظة قد يعوزه السوق الذى يبيع فيه ماشيته "(۱) ·

وقد أدت هذه الاجراءات المستحدثة إلى فرار قطاع كبير من السكان الذين لجاوا إلى تخوم بلاد الحبشة كما فكر بعضهم فى الثورة على النظام الجديد وكان المعلم حنا الطويل قد ارسل الدفاتر التى قدرت فيها الفرائب الى مصر لاعتمادها وفلما راى اسماعيل باشا الأثر الذى احدثته هذه الاجراءات فكر فى تعديلها وبعث بهجان ليلحق بالدفاتر التى ارسلست الىمصر ويرجعها ولكنه لم يدركها فحذف اسماعيل جزءًا كبيراً منها بأن أنزل الخمسة ريالات الى ريالين وأمر الجباة باستعمل الرفق واللين فسلما تحصيلهما "(۲) .

ولكن اسماعيل باشا لم يستعمل هذا الرفق واللين مع نمر ملسحيك الجعليين وين طالبه بمبلغ ضخم احتج عليه الملك همر مما جعل الباشا يشحيء إليه الأمر الذي تسبب في مقتل اسماعيل •

ذكرت فى فصل النظام الادارى ان الشئون المالية والضرائبية قد اختص بها المباشر أو الباشكاتب وهو الذى يتولى تقدير الضرائب وتوزيعها على أقسام المديرية المختلفة ويقوم بعمل حسابات المديرية لتقدم للخزانية العامة فى القاهرة فى الوقت المعين ويكون ذلك بجمع حسابات الأقسام التى تضمها المديرية وعملحساب اجمالى فى دفتر خاص يصدق عليه مدير المديريسة والحكمد الرويشفع بالمستندات المالية اللازمة (٣) .

⁽۱) د مكى شبيكة : السودان عبر القرون • مرجع سابق ص١١٨٠

⁽٢) انظر المرجع السابق نفسه ص١١٩٠

⁽٣) انظر د انسيم مقار : الاسس التاريخية للتكامل ص ١٤٨٠

ويعاونالباشكاتب فى المديرية و وفى المناطق التى يكثر فيها التعامل رؤية الحسابات النقدية فى المديرية و وفى المناطق التى يكثر فيها التعامل بالاقمشة التى تصنع محلياً ويقدمها الأهالى من حساب الضريبة المقصررة عليهم كما هو الحال فى مديرية دنقلة كان يعين فيها صراف لرؤية أمصور الجوالات والقماش وكذلك فى المناطق التى يكثر فيها التعامل بالذهصب والفضة وتكون أكثر المعاملات التى ترد لخزانة المديرية أو تصرف منهمن هذين المعدنين كما فى مديرية سنار وفيزوغلى (١) وكان يعين فيها صراف مختص باختبار الذهب والفضة وضبط عيارهما ويعرف بالمعيارجي " (٢) ومنتص باختبار الذهب والفضة وضبط عيارهما ويعرف بالمعيارجي " (٢) وكان يعين فيها مراف

هذا ويدخل ضمن اختصاصات الحكمدار القيام بجولات تفتيشية فىالمديريات والمراكز وبخاصةعند وقوع حوادث رشوة او اختلاسات مالية وفى تليك الحالة تتولى لجان فنية تكون عادة مرافقة للحكمدار وتضم عددا مين المفتشين الماليين والكتبةمهمة فحص اوراق وحسابات الجهة التى تقع فيها مثل هذه الحوادث وهو مايعرف بنظام التفتيش المالي(^(۳) وقد تطرقييت لذكره عند حديثى عن النظام الادارى فيعصر محمد على و

أدرك محمد على بعد فترةخطأ سياسته الاقتصادية فى السودان والتكى كانت غايتها أول الأمر الاستغلال السريع غيرالمنظم الذى يصل أحيانا الله درجة الاستنزاف وتمثلذلكفى حرصه على ارسال العبيد إلى مصر وحرصه الشديد على جمع السلع والمنتوجات السودانية ذات القيمة التجارية مثل الصمون وسن الفيل وريش النعام وحثه الحكام والموظفين على بذل الجهد والسعلى للحصول عليها بكافة الطرق والوسائل ، هذا إلى جانب إهتمامه البالسغ بأمر النقيب عن معدن الذهب في بعض مناطق السودان ، ولكن سرعان ما اتضح

⁽١) هكذا والصحيح فازوغلى ٠

⁽٢) د٠ نسيممقار : الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادي ص ٥٥٠

⁽٣) انظر المرجع السابق ص ٠٤٠

لمحمد على فشل خطة السعى إلى الاستغلال السريع غيرالمنظم و أدرك أن الحصول على المنافع الحقيقية والشاملة لاتكون بهذه الطريقة راذ أن السود انغنسى بموارده الطبيعية المتنوعة (1) .

ويشير الدكتور شوقى الجمل إلى أن امتداد الادارة المصرية للســـودان ترتب عليه زيادة في حجم التجارة الخارجية بالاضافة إلى تنظيم التجـــارة الداخلية حيث بدأت تنتشر العملة المصرية الفضية والجنيه المصــرى خاصة في مدن السودان الكبرى (٢) .

كذلكتشير المراجع الى أن محمد على قد اهتم بالبلاد السود انية اهتماماً كبيرًا بعد أن وصلته أنباء الدمار الاقتصادى الذى أصاب هذه البلاد نتيجال السياسة ولاته ، فأرسل خورشيد باشا حكمد اراً على السود ان وأمر أنيرسلم معه ماينوف على المائة من الفلاحين والخولية وزعوا على الأخطاط المختلفة يعلمون الأهالي بالطريق العلمي أحدث وأنفع طرق الزراعة ، كما وضلع لخورشيد باشا أن الانتاج الزراعي يجب أن يبنى على الرى المستديم لاعلمه مياه الأمطار ، فطلب عمالًا من مصر يجيدون صناعة السواقي المصرية لتروى بها أراض بلاد الجعليين كماطلب عمالا آخرين لحفر الترع حيث تستغلل مياه الفيضان ، وفي الجزيرة أغرى خورشيد السكان الذين يقطنون بعيداً عن النيل بأن يبنوا بيوتهم عليه وينشئوا السواقي هناك ،

وقد استحضرت أغراس الأشجار المثمرة من مصر لتزرع فىالسودان وشجعت بعضالمزروعات كالتيلة وقصب السكر ولتحسين نسل الضأن الموجود بالسودان ، جلبت أكباش ممتازة من مصر لتحقيق هذا الغرض (٣)

⁽۱) د٠ نسيممقار : الاسس التاريخية للتكاملالاقتصادى ص٥٦-٥٧٠

⁽٢) انظر د٠ شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل مرجع سابق ج٢ ص ٣٥٠

⁽٣) انظر د٠ مكى شبيكة : السودان عبر القرون ٠ مرجع سابق ص١٢٨٠

ودعا خورشيد باشا لاجتماع موسع يضم معظم الاداريين بالبلاد وذلــــك لمناقشة الوضع الاقتصادى والمالى وقد تم هذا الاجتماع فى يوم السبــــت الثامن من محرم سنة ١٢٤٦ ه الموافق ١٢ اغسطس سنة ١٨٢٦م وقد حضر هــــذا الاجتماع صاحب الدولة الدفتردار وحسن أغا ناظر المواشى وحسين بك ورستــم أفندى ناظر القماش ومحمد أفندى ناظر القسم الثانى للمعامل (الفاوريقات) وراتب أفندى وكيل ناظر الكيلارية (١) وأمين افندى وكيل الأحناف وأميــن أفندى ناظر المبانى الأميرية وعبدالرازق أغا مأمور التقارير والمعلــم حنا الطويل وآخرين وقد كتب بهذا الاجتماع محضر وارسل الى القاهـــرة وهو محفوظ بدار المحفوظات المصرية (٢) .

فى بداية هذا الاجتماع قال خورشيد باشا مخاطبا الحضور وتصحصن المبدل مافى وسعنا ومقدورنا فى عمران هذا الأقليمولكننا نرى هذا الأقليم فى غاية من الخراب والتشتت والوقت لايسمح لنا أن نتجول فى أنحاء البلد كى نظلع على الدرك الذى أنحطت اليه من الخراب واطلاعا مصيباً لحلصول الأمطار فكل واحد منكم قد قضى فى هذه الديار سنة أو سنتين أو ثلاث سنيسن فانبؤنا بما عندكم من العلم بما يختص بعمرانها أو خرابها كما وكيفا "(٣)

كانت أول مشكلة تعرض لها هذا الاجتماع هى مشكلة المواطنين الفاريسن من الضرائب وكيفية طمأنتهم وتحصيل الضرائب السابقة منهم حيث قال أحسد الحاضرين واما مسألة عمران الجزيرة وتحصيل الأموال الأميرية فلم يقبسض

⁽۱) كلمة كيلار كلمة تركية من أصل يونانى وهى غرقة تخزن فيها حوائــــج البيت من المواد الغذائية والكيلارية تعنى المخازن ، انظر تأصيــل ماورد فى تاريخ الجبرتى فى الدخيل ، مرجع سابق ص١٨٠٠

⁽٢) عاباين : المعية ـ محفظة ١٩ ترجمة الوثيقة التركية رقم٢٢٠

⁽٣) د محمد فؤاد شكرى _ الحكم المصرى في السود أن • مرجع سابق ص ٣٢٠٠

شيء من مال سنة احدى وأربعين (١٢٤١هـ) حتى الآن ولن يمكن تحصيل شيء منه بعد ذلك مادامت البلاد خربة ، وأما مال سنة اثنين واربعين (١٢٤٢ ه) فاذا نزلت الامطار كالمعتاد قديماً ورجع الفارون أو الهاربون وعمــرت الجزيرة ومنع من الناس ظلم العساكر ومنعت سخرتهم وصار رفئ الاهانة عنهم المانة العربان واذاهم ، ولميطلب منهم المال بموجب الترتيب والتوزيــع القديمين ، بل وزع بمعرفة خورشيد على السواقي والجرف والجزر والقــري على حسب قدرة كل شخص وبمقتض القانون توزيعاً لائقاً وحسبت الذرة والسمــن والقماش الماخوذ منهم لحاجة الجنود من المطلوبات الأميرية فأنه يمكــن قبض سدس المطلوبات الأميرية من الجزيرة وحلفا والبحر الأبيض بموجـــب الدفتر الذي نظمه حنّا الطويل ، وأما سنة ثلاث وأربعين (١٤٢٣هـ) فـلــاذا والنيلة وصار شراؤهما من الرعايا بأثمان مناسبة في مقابل المطلوبــات الأميرية ، فأنه يمكن قبض ثلث الأموال الأميرية بموجب الدفتر القديم وعلــي الأميرية ، فأنه يمكن قبض ثلث الأموال الأميرية بموجب الدفتر القديم وعلــي

وقد تحدث فى هذا الاجتماع كل من موسى الكاشف وعثمان أغا ناظــــر المهمات وصالح أغا وحنا الطويل أما الدفتردار فقد قال: " أنا أيفــا نزلت إلى سنار فى شوال سنة ١٢٣٨ ففتحت خراج ١٢٣٧ ه فى ربيع الأول سنــة ١٢٣٨ه (٢) وقد افتتح أيضاً عثمان بك خراج سنة ١٢٣٨ ه فى ربيــع الأول سنــع الأول سنة ١٢٣٠ ه فى ربيــع الأول سنة ١٢٤٠ ه وقد قال مباشر سنار فى تقريره أنه يمكن تحصيل الله كيس من مال خراج سنة ١٢٤٠ وأمًا مال سنة ١٢٤٣ فيمكن تحصيل أربعة آلاف كيس

⁽۱) د. محمد فقاد شكرى : الحكم المصرى في السودان - مرجع سابق ص ٣٣١٠

⁽٢) لعل السبب فى اخير الخراج هو اضطراب الاحوال الامنية بسبب مقتـــل اسماعيل باشا ٠

منه بعد مساعدة البلاد واعانتها • فعلى تقرير المذكور يمكن تحصيــــل مدد مساعدة البلاد واعانتها • فعلى تقرير المذكور يمكن تحصيـــــد ستة الاف كيس من مال فراج سنة ١٢٤٤ ه بعد بذل الاعانة وصرف الجهـــــد على الوجه المشروع (١) •

وعند الحديث عن الايرادات طلب الاجتماع من المعلّم حنّا الطويل توضيح المقدار الذى يبلغه الايراد فأخذ المعلّم دفتر الايراد وقرر المعلّم ميخائيل(٢) بموجب ترتيب المعلّم حنّا الطويل أنّايراد نفس جزيرة سنّاسار يبلغ ١١١٠٠ كيس وأنّ ايرادها حقاً يبلغ ٢٩٤ كيساً وأنّ الايراد الوارد مسن العرب بجهة النيل الأبيض يبلغ ٣١٤ كيساً وأنّ المجموع كله يبلغ ١١٧٠٨كيساً.

هذا وقد تركالمجتمعون أمر تعديل هذه المبالغ للحكمدار خورشيد باشا، بعد ذلك ناقش المجتمعون أمر زراعة الأفيون التي كان محمد على باشا قلد بدأها في السودان فقرروا وقف هذا النشاط وذلك لأن الأفيون لم ينتج فللسودان ، كما قرر الاجتماع إرجاع خبراء الأفيون اليمصر حيثاًن مرتباتهم الشهرية تكلف الحكومة اثني عشرة كيساً (٤) ،

كذلك ناقشهذا الاجتماع مواضيع اقتصادية أخرى مثل صناعة الدباغــة والتنجيم عن الذهب ومتأخرات الجند وتوريع الخولية الذين أتوامن مصــر بمحبة خورشيد باشا كما ناقش الاجتماع موضوع إقليمعطيش التابع للحبشـــة حيث أنه أصبح ملجة للفارين من الضرائب (٥).

⁽١) المرجع السابق ص ٣٣٣٠

⁽٢) لاحظت أن معظم القائمين على النظام المالى في السود ان في عهد محمد على و أبنائه كانوامن الأقباط ٠

⁽٣) انظرد، محمد فؤاد شكرى :الحكم المصرى في السودان مرجع سابق ص ١٣٢٨

⁽٤) يتعجب المرء كيف تقوم دولة مسلمة بتشجيع مثل هذا النوع من النشـــاط الاقتصادى فى الوقت الذى كانت فيه الدول غير المسلمة تقوم بمحاربـــة زراعته بشتى السبل ٠

⁽o) انظر د محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فى السودان ـ مرجع سابـــق، ص ٣٢٠ ومابعدها٠

بلغمن اهتمام الادارة المصرية وحرصها على رفع مستوى إدراك السودانيين في نواحي النشاط الاقتصادي المختلفة وتزويدهم بالخبرات اللازمة للاستقلل موارد بلادهم الطبيعية على الوجه المرض ، أنها فرضت على الخبرات والفنيين المصريين الذين يقومون بتعليم السودانييين وتدريبهم فللمجالات الاقتصادية أن يقوم كل واحد منهم حسب مجاله بتعليم وتدريب عدد معين من السودانين ، بل وألا يغادر البلاد السودانية إلى الديار المصرية قبل أن يتم له ذلك ، وهذا مافعلته مع المشايخ والخوليات والمهندسين الزراعيينومع أصحاب الحرف مثل الدباغين والحداديات والنجارين (۱) ،

سعت الادارة المصرية فى المجال الصطاعى الى تعليم السود انيين وتدريبهم على بعضالحرف والصناعات مثل صناعة دبغ الجلود وصناعة النيلة التى تستخدم فى صناعة الاقمشة • كما اهتمت هذه الادارة بصناعة السفن والتعدين •

أما فى مجال الرراعة فنجد أن محمد على عند ريارته للسودان عـــام ١٨٣٨ / ١٨٣٩م قد شرح للزعماء والمشايخ السودانيين فضائل الزراعــــة ووضح لعم ماتتمتع به بلادهم الواسعة من الأراضى الخصبة ومايمكن أن يعــود عليهم بالنفع والخير والتقدم وحثهم فى الوقت نفسه على أن يوفدوا أبناءهـم إلىمصر ليستزيدوا بالعلم والمعرفة (٢) .

⁽۱) انظر د٠ نسيم مقار ـ الأسس التاريخية للتكامل ٠ مرجع سابق ص٠٦٠

⁽٢) انظر : مجلة آداب القاهرة العدد ٨ المجلد الثاني ص ٤٤ ٠

التحقوا بمدارس مصر التجهيزية والفنية وقد أوص محمد على المسئولي بوجوب معاملتهم معاملة ممتازة نوعًا ما عن التلاميذ الآخرين نظرًا لمجيئه من بلاد بعيدة وروعى أن تكون مدة تعلمهم ثلاث سنوات ـ يتعلمون فيها فللم بادئ الأمر القراءة والكتابة حتى إذا ظهرت كفاءتهم بدأوا في تعلم فللم الزراعة لتكون لهم القدرة التامة علمًا وعملًا في الشئون الزراعية (1) .

واستكمالا للمنفعة أمدتالحكومة الفلاحين بالألاتالزراعية التعليمات كان يستعملها الفلاحون المصريون وقتذاكو أهمها المحراث الحديدى الذى لم يكن قد انتشر استعماله فى بلاد السودان حتى ذلك الوقت وفى الوثائق وافسادة من مجلس شورى المعاونة إلى وكيل الجهادية يستعجله فيها ضرورة وارسلسال خمسمائة محراث (٢) و

ولقد توسعت الادارة المصرية بصفة عامة فى اقامة السواقى وشجع الأهالى فى جهات السودان المختلفة على الاكثار منهاوبخاصة فى المناطق التى الأهالى فى جهات السودان المختلفة على الاكثار منهاوبخاصة فى المناطق التى أقامت فيها بعض مشروعاتها الزراعية لانتاج الغلات والمحصولات الجديدة وكذلك فى الأراض الخالية "البور حيث سمحت للمواطنين أن يقيموا عليها السواقى بقصد استغلالها فى الزراعة وزيادة عمر انها ع (٣) حتى أن أحد الباحثين فقد ذكر أن قرية القطينة (٤) الواقعة على الطرف الشمالى للنيل الأبيني كانت تنتج محصولاً وفيراً من القمح بفضل الساقية المصرية التى عرفها أهالى هذه الجهات منذ الفتح التركى المصرى فقط • كذلك اهتمت الحكومة بحفر الترع

⁽۱) انظر محمد عمـر بشير : تطور التعليم في السودان ٠ مرجع سابق ص ١٤٠

⁽٢) انظر د٠ نسيم مقار : الأسس التاريفية للتكامل ٠ مرجع سابق ص ٧١٠

⁽٣) انظر المرجع السابق نفس الصفحة •

⁽٤) سماها الكاتب قرية جوتينة والصحيح القطينة وربما يكون السببب في ذلك ان الكاتب استقى معلوماته من مصادر أُجنبية ٠

والقنوات والأبار في بعض جهات السودان التي يتطلب التوسع الرراعي فيها مثل هذه الوسائل لرى الأرض كدنقلة وسنار وكردفان وبربر التي بعشما حاكمها مرة إلى حكومة القاهرة يفيدها بوصول المهندس الذي أرسلته لحفر التبرع في الاقليم المذكور •

وقد ذكرت بعض المراجع أنَّ عدد الأبار التى قامت الحكومة المصريـــة بعفرها قد بلغ خمسة الآف بئر (۱) وهذا يدل علىعظم اهتمام الادارة المصريــة بأمر الزراعة فىالسودان ومحاولة تطويرها والنهوض بها٠

فىختام هذا الفصل يلاحظ الباحث أنّ النظام الاقتصادى فى السود ان فصحت عهد محمد على حمثل بقية النظم حوجد اهتماماكبيراً من الحكومة إلا انها لمتضع سياسة واضحة فى هذا المجال بل تركت الأمر لتقدير المسئولين ٠

ملاحظة أخرى، هى أنّ الادارة المالية فى القاهرة كانتتتكم فى حسابات السودان فترسل حسابات السودان المركزية والمحلية شهرياً وسنويات السودان الدخل والانفاق وحساب حصول الغرق بينما سلات سياسة محمد على على مبدأ ضرورة قيام السودان بدفع نفقات حكمه وقد طالبب خورشيد باشا بانشاء ادارة للحسابات خاصة بالسودان (٢) .

كذلك طبق محمد على نظام الاحتكار الرراعى والصناعى فى السودان كمسا طبق فى مصر وإن لم يكن تطبيق هذا النظام فى السودان بنفس المستوى السندى طبقه به فى مصر اإذ يلاحظ أن الاحتكار فى السودان لم يشمل الحبوب وغيرها من الفلات الزراعية التى اعتمد عليها المواطن السودانى فى معيشته ولكسن بصفة عامة لم يكن السودانيون راضين عن نظام الاحتكار الذى فرضه محمد على

⁽۱) انظر: محمد صبرى: الامبراطورية السودانية فى القر التاسع عشر مرجع سابق ص ۷۲۰

⁽٢) انظر د٠ ابراهیم شحاته حسن : مصر والسودان ٠ مرجع سابق ص١٠٨٠٠

على بعض نشاطهم الاقتصادى ، بل لقد عدوه هو وغيره من النظم الجديـــدة تقييداً لحريتهم حيث أنها لم تكن مألوفة لديهم من قبل بغض النظر عــــن الفوائد والمنافع التي قد تنجم من جراء تنفيذها أو العمل بها (١) .

ولعل من أكبر الأخطاء التى رافقت النظام المالى والاقتصادى ولازمـــت جهاز الحكم بصفة عامة هى الطريقة التى كانت تجبى بها الضرائب القادهـــة فقد مورست وسائل قهرية لاجبار المواطنين على الالتزام بما فرض عليهم مــن ضرائب الأمر الذى اضطرهم إلى الهجرة وترك ديارهم مما ترتب عليه خلخلــة كبيرة في بنية الاقتصاد السوداني التقليدي الذي كان يعتمد على العنصــر البشرى في الزراعة والرعي ٠

هذا ماكان عليه أمر النظم الاقتصادية في السود ان أبان فترة محمد على وسنرى التطور الذي حدث في هذا المجال خلال مطالعتنا للفصل التالي ٠

⁽۱) انظر د٠ محمد صبرى : الامبراطورية السودانية فى القرن التاسع عشر ص ٧٢ ود٠ نسيم مقار : الأسس التاريخية للتكامل ٠ مرجع سابق ص ٥١-٦٢٠

الفصلاليثالي

النظام الافتصادى وَالمَالَى فَى السّودَان فى الفترة من ١٨٤٩ - ١٨٨٥ مر

: میسوت

بعد أن عرفنا التطورات التى حاول محمد على ادخالها فى السـودان فى مجال النظام الاقتصادى والمالى وذلك من خلال مطالعتنا للفصل الـسابـــق نستعرض فى هذا الفصل سياسة خلفا ً محمدعلى فى هذا المجال وسنبدأ بفتـــرة عباس الأول وسعيد باشا ثمنستعرض جهود الخديو اسماعيل فى هذا الجانب •

أُولاً: فترة عباس الأول :

ذكرت عند الحديث عن النظام الادارى أنَّ عباسالاُول عندما تربع على حكم مصروملحقاتها جعل اهتمامه الأول هو تصفية حساباته مع أفراد اُسرة محمد علم فانشغل يحيك المؤامرات وتنفيذها عن سياسة دولته ورفاهية شعبه وانقضما السنوات الخمسالتى قضاها فى الحكم دون أن ينجز أعمالا كتلك التى أنجزهم حده محمدعلى ٠

انتهر الحكّام فى السودان انشغال عباس عنهم فعاشوا فى الأرض فسلماداً حيث انتشرت الرشوة بينهم وعمّ الفساد وخربت النفوس وفرضت الضرائب الباهظ على الشعب المسكين •

ولهما تفاقم الأمر حاول عباس أن يخفق وحدة الرشوة المنتشرة بين الاداريين والموظفين كبارهم وصفارهم فعالج ذلك بأن عين موظفين برتب اعلى فى الوظائمية المسئولة وكانتأول خطوة قام بها فى هذا المجال هى تعيينه للمديرين برتبالأمير الاى بعد أنكانوا من قبل فى رتبة القائمقام وكان يظنأن الموظف المسئول إذا كان فى رتبة عالية وتناول مرتباً عالياً خفت حدة رغبته فى استلام الرشاوى كما أن رتبته العالية وكبرياءها سوف تمنعانه من قبول الرشوة (١) .

⁽۱) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث مرجع سابق ص ٧٠٠

كما حاول أن ينظم النواحى المالية فى السودان وذلكبوضع أسس صحيحـــة للحسابات والمراجعة المالية العامة ، ولذلك وفدت على السودان أعداد كبيــرة من الأقباط للقيام بهذا العمل ، وبحث هذا الفريق فى الشئون المالية و الاقتصاديــة فى السود انوكان التعدين و البحث عن الذهب من أبرز المعوبات التى و اجهتهـــم لأنهم بعد مراجعة الصرف و الدخل وجدوا أن استخراج الذهب يكلف أكثر مماينتــج وهذا ماجعل الخديو عباس يأمر بابطال العمل فى استخراج الذهب فى السود ان (1).

وفى عهد عباس بد أتهمجموعات من التجان الأوربيين تدخل السودان وأخــــدوا فى تنشط التجارة بين السودان والدول الأخرى ، كما فتحوا المتاجر والمخــان فى عنشط التجارة بين السودان والدول الأخرى ، كما فتحوا المتاجر والمخــان فى عنف أماكن من البلاد وكانت تقابلهم بعنهال صعوبات في تجارتهم ، خاصة فــــك النيل الأبيض حيث أن الحكومة ومنذعهد محمدعلى كانت تحتكر التجارة فى هـــده المنطقة وسبب هذا الأمر بعنى المشكلات بين هؤلاء التجار وبين لطيف باشا حكمــدار السودان والذى حاول أن يمنع الأجانب من استغلال جامعى الصفغ، ولذلك فقد حــدد له سعر اخاصا يعاقب من يشترى ومن يبيع بأقل منه ، وبالفعل نفذ حاكـــــــ كردفان عقوبة الجلد في أحد التجار الانجليز المخالفين لهذا السعر فاحتجـــت الدول الأوربية على ذلك واعتبرت هذا الاجراء مخالفة لحرية التجارة الممنوحة للأوربيين في الدولة العثمانية كماتقدم هؤلاء التجار بعرائض إلى الخديو يشكون فيها الحكمدار وقد زعموا أنه يقيد تجارتهم ويحتكر لنفسه جزءاً كبيراً مـــن فيها ماسودان ، وتجنباً لما قد يحدثه القناصل الأجانب ودولهم من متاعــــب في مصر، فأن عباس باشا قد استدعى عبد اللطيف وعين بدلاً منه رستم باشا الــــذي اتخذ سياسة فعيفة تجاه التجار الأجانب وأطلق يدهم في البلاد ليفعلوا مايحلــو اتخذ سياسة فعيفة تجاه التجار الأجانب وأطلق يدهم في البلاد ليفعلوا مايحلــو لهم حتى أصح نفوذهم كبيراً في كل أنحاء البلاد (٢) .

⁽١) انظر المرجع السابق ص ٧٠٠

⁽۲) انظر د مکی شبیکة : تاریخ شعوبوادیالنیل / مرجع سابق ص ۵۰۶ وضـــرار صالح ضرار : تاریخالسودان الحدیث ص ۷۲ ۰

كذلك تذكر المصادر أنَّ عباس باشا حاول أن يستفيد من الماشيــــــــة السودانية في مصر حيث جلب منها ١١٠١٦ رأسًابيع منها عدد للعمل في المديريات كما بيع الباقي إلى ديوان الجهادية ليوزع لحومها على الجنود كما أنَّه جلـــب من الأبل حوالي ألف رأس (١)

هذاكل ماذكرته لنا المصادر التى تيسر الحصول عليها عن سياسسسسة عباسالاقتصادية فى السودان وهيكما ترى تعكس عدم الاهتمامبالسودان وادارتسسه الأمر الذى أدى الى فوضى شديدة حاول سعيد أن يتداركها بعد توليه الحكم٠

ثانياً : سياسة سعيد المالية والاقتصادية في السوداني:

بعد تولى سعيد لمهامه انهالت عليه الشكاوى من السودان تتحصدت عن ظلم الحكمداريين الذين غرقوا فى الرشوة واستغلال النفوذ حتى إنَّ بعضه أخذ يجاهر بما يقبضه من أصحاب الحاجات (٢) وسبق أن أشرنا فى النظلول الادارى إلى عريضة مجلس الخرطوم التى أرسلوها إلى محمد سعيد باشا يشتكلون فيها من الحكمدار على باشا سرى واستغلاله لمنصبه واهماله لمصالح الناس ، الأمر الذى جعل الخديو يقوم بتغييره / ولم يكتف بذلك بل ظلب إلى الحكمدار الجديد محاسبة سلفه على مانسب إليه من جرائم و أخطاء ،

اهتم سعيد باشا بالسودان وحاول أن يرفع الظلم الذي لحق بالأهالــــــــــى وذلك بتعيين حكام أكفاءمثل أخيه الأمير عبدالحليم وبمحاسبة الحكّام السابقين وفوق ذلك قام بنفسه بريارة للسودان كما أشرنا من قبل • وقد راعته الحالــة الاقتصادية المتردية ففكر في اخلاء السودان وسحب الادارة المصرية منه ولكـــن

⁽۱) انظر د، مكى شبيكة : السودان عبرالقرون ، مرجع سابق ص١٥٢

٢) يقصد سواقيهم جمع ساقية وهيالنواعير ٠

هذه هى الحال التى كان عليها شعب السود ان ابان زيارة محمد سعيد باشا مما جعله يفكّر فى رفع معاناة الناس وتخفيف الضرائب ولذلك قلم فى منشوره الأول الذى أعلنه فى الخرطوم أثنا عزيارته لها : " ٠٠٠ فقد عقدت النية على جعل الخراج قدرًا يناسب حالة البلاد وأهلها وعلى أن أبذل جهالمجتهد فى اصلاح أحو الهم وترتيب أمورهم على مافيه الصالح لهم ولذريتهم مسسن بعدهم (٢) " .

ولقد نفذ سعيد ما انتوى فعله حيث طلب من الأهالى أن يقدروا مبلول الخراج الذى يسهل عليهم القيام به بلاكلفة ولا مشقة ففرحوا بذلك وطلبوا أن يربط علىكل ساقية خراجاً قدره مائتان وخمسون قرشاً فى كل سنة ولكممد معيد راًى أن يخفض هذا المبلغ الذى حدده السكان بانفسهم رأفبهم ورحمة لما شاهده من ضنك وفقر وقدقال فى ذلك " ٠٠٠ولكنى حبى لشعبي يحملنى على منحه أكبر قدر ممكنمن الرخاء وعلى الاهتمام بشأنه حتى أضمين

⁽١) انظر محمد فؤاد شكرى :الحكم المصرى فىالسودان • مرجع سابق ص ٣٤٢٠

⁽٢) المرجع السابق نفس الصفحة •

عطفه ، وحتى يستطيع هو الأُخِر أن يهتم برعاية شئونه وتحقيق رفاهيته ، ولمنا كنت أريد بالإضافة إلى ذلك أناعيد الطمأنينة إلى قلوب أولئك الذين هاجمهروا حتى يعودوا الىأوطانهم وهم لايخشون ظلماً ولاعدواناً ولاضرائب باهظة فقلم أمرت أللا تزيد ضريبة كل ساقية عن مئتى قرش وخراج كل فدان من أراضى الجزائر (١) .

وقد أفرحت سياسة محمد سعيد هذه المواطنين فرحاً كبيراً إذ لأول مرة يقوم المواطنون بتقديرمايستطيعون من ضرائب على أنفسهم وفوق ذلك قام الخديــــو بتخفيض مقد ار الخراج الذى فرضوه على أنفسهم تقديراً لظروفهم ٠

وأمرسعيد الخُكّام بعدم الظلم واستخدام القسوة في جباية الخراج وذلـــك حين خاطبهم قائلًا: "فاياكم والعنف والجور ولاتجبوا الخراج إلا في الأوقــات المناسبة واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جمعية في الثلاثة شهور التي لارزع فيها ولاقلع (٣) وقسموا الخراج على أقساط متساوية يسهل عليكم جبايتها في آخــر كل سنة بصورة تجعلمن الممكن تحصيل الخراج في بحر السنة دون أن يتعرض الأهالي لارهاق ما ودون ترك مت أخرات لديهم ويجب أن تت الف هذه الجمعية من ١٢ إلــي ٢٤ عفواً من أعيان المديرية حسبما ترونه مناسباً للمصلحة العامة وبوصفك ورؤ ساء لهذا المجلس فأنتم الذين تقومون بتقسيم الخراج والنظر في الوسائــل الأكثير صلاحية لزيادة الرخاء والهدوء بصورة تؤدي إلى استتباب الأحوال فــي المدن والقرى استبابً الموكلين بجبايـــا المهذا الشأن واحداً اثر واحد ثم احصوا جميع الكشاف والجند الموكلين بجبايـــا

⁽۱) يقصد بالجرائر الجرر التى تتكون على النيل بعد موسم الفيضان ويقصوم السكان بزراعتها • أما أراضى العلو فهى الأراضى التى تغمرها المياه أثناء الفيضان ثم تنحسر عنها بعد ذلك وتزرع •

⁽٢) المرجع السابق ص٣٤٣٠

⁽٣) يقصد بالقلع تنظيف الأرض من سيقان وجذور المحصول السابق ٠

و اُخلعوهم وقلدوا مكانهم مشايخ البلاد فهم أُولى بُذلك» (١) .

ومن خلال هذا النص من منشور محمد سعيد الذى أصدره فى الخرطوم تتفليح بجلاء سياسته الاقتصادية الحكيمة فبعد مطالبته للحكامبعدم الجور والظلوعدم جباية الفراج إلا فى الأوقات المناسبة نراه يطالبهم بعقد مجلس يتكلون من مشايخ القرى والقبائل حتى يقرروا الفراج بأنفسهم ودونما تدخل من السلطة وطالبهم بأن يكون اجتماع هذا المجلس فى الثلاثة أشهر التى لاتكون فيها زراعلة ولا استعداد وربما يكون السبب فى ذلك هوحرص محمد سعيد بألا ينشغل هليولاء المشايخ عن زراعتهم والاعداد لها بأى شاغل آخر أو قد يكون السبب هو حسرص محمد سعيد أن ياتى تقدير الفراج فى وقت تكون الرؤية فيه واضحة ويستطيع كلل شيخ أن يقدر ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والميقان يقديراً سليماً والميقان يقدير ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والميقان المياتي يقديراً سليماً والميقان المياتي يقديراً سليماً والمينان يقدير ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والمينان المينان يقدر ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والمينان يالمينان يقدر ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والمينان يقدر ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والمينان يالمينان يقدر ماعليه من الفراج تقديراً سليماً والمينان يالمينان يقدر ماعليه والمينان المينان والمينان وا

كذلك طلب محمد سعيد من الحكّام بأن يقسموا الخراج المفروض على كــــل العام إلى أقسام حتى يسهل ذلك على السكان فلا يؤخذ الخراج جملة واحدة كما كـان فى السابق فيكون ذلك سببًا فى ارهاق المواطن أو فى بقاء متأخرات عليه ٠

ومن أكثر القرارات التى أسعدت السكانقرار محمد سعيد بعزل الكشـــاف وهم الحكّام العسكريين الأتراك عن جباية الخراج وتعيين مشايخ القرى والمناطق بدلاً عنهم وبهذا القرار يكون محمد سعيد قد رفع عن المواطن الظلم والارهـــاب والتعذيب الذى كان يمارسه الجند والحكّام أثناء جباية الضرائب وأكد محمـــد سعيد على قراره هذا حين قال: " وعلى الجمعية أن تعنى ضمن ماتعنى بــــه الأمور التالية : " عليكم أن تسرحوا الكشّاف الذين هم اليوم حكام تلـــك الجهات وكذلك الجند الموجودين معهم ثمعليكم اللّاترسلوا بعد الأن كما كــان الحال سابقاً جندًا لتحصيل الخراج ، فأن القرى وحدها هى التى ترسل شهريـــاً

⁽۱) د، محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى في السودان ، مرجع سابق ص ٣٤٣-٤٣٠٠

خراجها حسب التقسيم بواسطة مشايخها ولاتستخدموا قوة القانون الا بكل عـــدل لاجبار المتاخرين على الدفع ولتشجيع المشايخ على القيام بوظائفهم بأمانـــة واخلاص .، وجدت من الحكمة أن يكافأ المشايخ على خدماتهم وذلك بان تعافوهم في مقابلة هذه الخدمة برفع خراج سقاية (هكذا) في كل خمس وعشرين سقايـــة (هكذا) ٥٠٠ ومعنى ذلك ألا تحصلوا خراجاً إلا عن أربع وعشرين ساقية من خمس وعشرين بينما تبقى الساقية الخامسة والعشرين من سواقى المشايخ دون خراج وبالمثــــل فيما يتعلق بالأراض فتعفون من الخراج أربعة أفدنة من كل مائة فــــدان تخص المشايخ (٢) .

وقدعلّل محمد سعيد اعفاء المشايخ من الخراج بقوله: "هذا وحيـــــث أن لأولئك المشايخ والأعيان بيوتاً ينزل عليها كل طارق وقاصد ،فارفعـــوا عن كل منهم خراج أربعة أفدنة فيكل مائة فدان فأنه لمّا كان المشايخ وهم أصحاب هذه المنازل _ يقدمون المأوى والمأكل للسياح والمسافرين ولمّا كانوا مشهورين بضيافتهم فقد وجدتمن العدل أنيعم كرمى فيشمل نفقات هذه الضيافوو على ذلك فقد تركت لتقديركم بحث وتعيين مايمكن أن يمنح لهؤلاء المشايــــخ وما ترونه أنتم مناسباً وعادلاً وذلك حسب مركز كل قرية "(٣) .

واستمر سعيد في شرح سياسته المالية والاقتصادية بقوله: " وعليك من أن تقوموا بقياس الأراضي واحصاء السواقي بواسطة المشايخ الذين يجب علي أن يقدموا بيان ذلك إلى المديرية وأمنا راذا أرسلتم رجالاً من طرفكم له الفرض وحدثت أخطاء فسيكونون المسئولين وحدهم عن هذه الأخطاء والخراج السذى

⁽١) هكذا والصحيح "بان تعفوهم "٠

⁽٢) المرجع السابق ص ٣٤٤٠

⁽٣) الحكم المصرى في السود ان مرجع سابق ص ٣٤٤٠

سوف يجرى تعديده على السواقى يجب أن يدفعه زارع الأرض وحاصد غلاتها وذلك حتى لايستطيع أحد أن يقول إن الملزم بدفع الخراج قد تمكن من الهرب و الخراج الذي يجرى تعديده وتعيينه على النحو الآنف الذكر يبدأ العمل به منذ هله السنة الهجرية سنة ١٢٧٢ ويحتسب الخراج الذي حصل من ابتداء هذا العلم من خراج هذه السنة وتمشياً مع هذه القاعدة يؤخذ هذا الخراج عن الأراض التسمى تروى بماء الفيضاء أو ماء الأمطار أو السواقى ولكن إذا - لاقدر الله -انخفض النيل أو احتبس المطر ، فالخراج لايستحق ولايجبى " (1) .

وبعد سفر محمد سعيد إلى القاهرة خشى أن يتهاون ولاته فى السود ان فــــى تنفيذ سياسته المالية والاقتصادية أو أن يفسروها تفسيرًا يخدم مصالحه فبعث بمنشور من القاهرة يؤكد فيه على سياسته السابقة ويطلب من الأهالى والحكّام العمل على تنفيذها ويقول مخاطبًا ولاته وحكّامه: " فى الأمر الذى أصدرتـــه لكم لترتيب الخراج " الضريبة والمتعلق بوضع الترتيبات الأخرى موضـــع التنفيذ ذكر أن الضريبة قد حددّت على هذا الأساس منذ سنة ١٢٧٦ ه وأن مادفعه الأهالى من بداية العام حتى الوقت الحاض يجب أن يحسب من ضريبة هذه السنــة ولكن لمّا كان كل هذ غير مفسر بشكل واضح فى المرسوم السالف ولما كان أهالى هذه البلاد أميين فأننى أخشى أن يعتقدوا أنّ هذه المتاخرات لاز الت باقية عليهم وأنهم مدينون بها للحكومة ، ولذلك فأننى أردت مزهذا المرسوم الجديـــــد بوضوح ارادتى ورغباتى ٠

" يجرى طرح المبالغ التى دخلت الخرانة من بداية سنة ١٢٧٢ ه حتى هــــذا اليوم بعد عمل الخصم وفق ماذكر فى أمرى السابق من خراج العام الحاضر وذلــــك بعد التحقق من صحة حسابات الصيارف بكل دقة • وفيما يتعلق بأولئك الذين يظلون

⁽١) انظر نص المرسوم الثاني في ملاحق هذا البحث ٠

دائنين للحكومة حتى سنة ١٢٧١ بفضل تقديمهم دفعات من المال تزيد عمّا هــــو مستحق عليهم ، فمع أنّ العدل يقضى بأنتحل هذه الزيادات مكان المتأخرات فأنني لمّا كنت فيعد التي لا أُريد أنيفقد أحد من رعاياى شيئاً من المستحق له أطلـــب منكم أنتقوموا بتعويض كافة أولئك الذين ثبت أنهم دائنون للحكومة على النحو المتقدم بعد فحص دقيق عن هذه الزيادات وذلك بحسابها من خراج هذا العــــام المستحق عليهم (١) .

وتحقيقاً للعدل طلب سعيد من الحكّام فى الخرطوم أنتدفع الحكومة ثمن كـــل ماتحتاج إليه من مأكولات وأشياء أخرى او جمال أو رجال بزيادة ٢ ٪ عمّا يدفعه السكان فيما بينهم وحتى إذا ارتفعت أثمان الأشياء فعلى الحكومة أن تدفع دائماً زيادة ٢ ٪ على الرغم منزيادة الاسعار ٠

وبالرغممن وجيهات سعيد وحرصه على إزالة الظلمو توفير أسباب السعـــادة ، للمواطنين إلا أن الحكّام استمرها في تعسفهم وظلمهم وأكلهم لأهوال النـــاس وربما يكون السبب في ذلك هو بعد المسافة بين الخرطوم والقاهرة ومعوبـــة المواصلات فيكون هؤلاء الحكّام في مأمن من رقابة سعيد ، كما ران تغير الحكـام السريع الذي شهدته هذه الفترة كان سبباً من أسباب انتشار الرشوة والاختلاس ، راذ أن الحاكم يأتي وهويعلم أن مدته لن تطول فيسعى بكل السبل للحصول على أكبر قــدر ممكن من الأموال قبل أن يتم تغييره ، وهكذا غرقت البلاد من جديد في لجـــــة الاختلاسات والمرائب الباهظة واستمر هذا الحال حتى عهد اسماعيل ،

⁽١) انظر نصالمرسوم الثاني في ملاحق هذا البحث ٠

ثالثاً : النظام المالي الاقتصادي في عصر اسماعيل :

اتخذ النشاط المالى والاقتصادى فىالسودان فى هذه الفترة أشكـالا متعددة يمكن أن نلاحظها في أوجه النشاط التالية :

- أ ـ الزراعة ٠
- ب _ الصناعة والتعدين ٠
- ج _ التجارة والمواصلات •
- د _ المالية والضرائب ٠

اولاً: الزراعة:

من المحامد التي ينبغي أن تذكر لهذا العهد اهتمام ولاته بالزراعية ومحاولة تطويرها وتحديثها راد أن طبيعة السودان الجغرافية تجعل من قطل قطل وراعياً بالدرجة الأولى • ولقد رأينا من قبل اهتمام محمدعلى بالزراعلية في السودان انطلاقاً من هذه الحقيقة الواقعة •

إلا أن حكومة الخديو اسماعيل فى السودان قد قامت بخطوة موفقة وعلمي حيث قامت بعمل دراسة لجميع الأراض الصالحة للزراعة فى السودان وقد شمل هذه الدراسه المسحية محافظات سواكن والتاكة والقضارف وسنار والخرط ومديرية البحر الأبيض (النيل الأبيض) ومديرية كردفان ومديرية بربوم ومديرية دنقله (1)

⁽۱) انظر الوثيقة الخاصة بهذه الاراضى ومواقعها فى كتاب الدكتور السيــــد يوسف نص : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية فى أُفريقيــــــــــا ص ٣١٥ ومابعدها٠

كماقام حكامهذا العهد أيضاً بعمل دراسة للارض فى السودان وط تمليكها وقد جاء ذلك فى الرسالة التى أرسلتهامديرية عموم السودان واللسبي المجلس الخصوصي بالقاهرة فى التاسع من ربيع الثانى سنة ١٢٩٠هـ (١) .

كما وجه الخديو اسماعيل حكّام السودان إلى الاهتمام بالزراعة ويظهــــر ذلك من خلال مطالعتنا للخطاب الذى أرسله الخديو إلى موسى حمدى باشا حكمــدار السودان فى السادس من رجب سنة ١٢٨١ ه الموافق الخامس من ديسمبر سنة ١٨٦٤م ، وقد جاء فى هذا الخطاب:

" إنّ أحمد أغا من بلوكات (٢) المحافظين بدنقله سابقاً قد قدّم إلــــى ديو انمعاونتي عريظة مطوية بهذه المكاتبة مفادها أنّه في سنة ٧٢ ه قد أنشا ساقية بالفابة والتلول الواقعة خارج زمام مديرية ونقله وأصلح فعــــلاً قسماً من تلك التلول وغرس فيها نخيلاً وأشجارًامن الليمون والصنط وأنه يريـد إنشاء حديقة وسبيل بها • وبما أنه قد فرض مال أميري علىتلك الساقية كما فرض مبلغ ثمان وثمانون قرشًاونصف القرش سنوياً على النخيل قبل طرحها الثمـار وذلك في الاحصاء الذي عمل في سنة ٧٨ ه وبما أنّه لم يسبق فرضأموال أميريـــة على بعض الحداثق الموجودة في المديرية قديماً وأن السواقي التي فرض عليهـــا الأموال واقعة على البحر (٣) فأنه يلتمس رفع المال عن الساقية و النخيــــل المذكورة فعليكم بأعفائه من الأموال المفروضة على الاشجار التي غرسهاو السواقي التي حفرها المذكور هناك وأنّه من البديهي في حالة اعفاء الحدائق الموجـودة بالأراض السودانية من الأموال سيرغب حينئذ كل شخص في غرس تلك الأشجار وسيكــون ذلك سبباً في ازدياد الحدائق يوماً فيوماً في انتظام وعمران الأقاليـم السودانيــة

⁽١) انظر هذه الدراسة في ملاحق هذا البحث ٠

⁽٣) يقصد نهر النيل٠

والاكثار مناصلاحها ومدنيتها وهذه زبدة أفكارى فى ذلك ، وإنى بموجب أمسرى هذا أطلب منك عدم فرض أموال أميرية على الأراض المنزرعة (هكذا) بها أشجسار ولا على الأشجار المنفرسة أو التى سنتفرس من الآن فصاعدًا مثل أشجا والليمسون والبرتقال وأشجار الفاكهة الأخرى فى السودان •

" حاشية : بموجب أمرى هذا يجب اللّا تفرض أموال أميرية على الأشجـــار المنزرعة بجهة السودان والتى ستغرس من بعد الآن من الأشجار المثمرة ولا علـــى الأراضى التى تزرع فيها تلك الاشجار وأن نقيس الأراضى المنزرعة فيها تلك الاشجار وتحددها وأن تحرر حجج تمليك باسم أصحابها يتصرفون فيها كيفما شاءوا "(١).

ونجد هذا التشجيع الحكومي للزراعة في السودان أيضاً في موافقة المجلوب الخصوصي على المقترحات ممتاز باشا وتأييدها بشأن زراعة القطن في السلودان والتوسع فيها وارسال محالج القطن من القاهرة إلى الخرطوم (٢) .

كذلك شمل هذا التشجيع تدريبالسكان وتلقينهم أصول الزراعة و طرقها الحديثة واعطائهم التقاوى والحيوانات اللازمةللعمليات الزراعيةوتشجيعها على الاستقرار في الأرض لاستصلاحها وخدمتها وبدلاً من بقاء العساكر بلاعمل فالأوقات التي لاتستلزم منهم تركيز الجهد في الشئون الحربية للبيا من المديريات تشغيلهم في اصلاح التربة وغرس الأشجار وزراعة الخضر وما إليها في الجهال التي يقيمون فيها لتكون مزارعهم نموذجاً يعمل الأهالي على منواله وقد أرسلت من مصر تقاوى الخضرو الفواكه والمحاصيل الأخرى وشتلات الأشجار (٣) .

وقدكان من أُبرز الحكّام الذين اهتموا بالزراعة فىالسودان ممتاز باشـــا الذى كان محافظًا علىسواكن ثم عيّن بعد ذلك حكمداراً لقبلىالسودان وبـــدا

⁽۱) عابدين ، المعية دفتر ٢٩ه رقم ٤ صفحة ١٩٧ نقلاً عن الحكم المصرى فىالسودان ص ٨٥٨-٥٣٠٠

⁽٢) انظر المرجع السابق ص ٣٧٥ ومابعدها٠

⁽٣) انظر د٠ شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل ج٢ ٠ مرجع سابق ص ١٢٨٠

اهتمام ممتاز باشا بالزراعة في السودان منذ أنكان محافظًا على سواكن حيـــــث بدازراعة القطن في دلتا فوربركة بطوكر ونجعت التجارب التي أجراها حوالــــي سنة ١٨٦٥م ومنذ ذلك الوقت أصبحت طوكر من أهم الأراضي التي يزرع فيهــــا القطن بالسودان وبدأت تجارب زراعته كذلك في طور القاشي ثم جلب ممتــاز من مرمصرمحالج رحّلها إلى كسلا لحلج قطن القاشي ولكن ترحيل تلك الآلات كان من الصعوبة بمكان ولذلك فشل هذا المشروع ١١٠٠

كذلك جلب ممتاز من مصر بعضالمزارعين لارشاد الأهالى إلى الطرق الزراعيـة ⁴ كما أُحضر من مصر أُيضًا بذرة القطن الاُشموني لزرعها في السودان (٢) .

⁽۱) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السود ان الحديث ، مرجع سابق ص ١٠٦٠

⁽٢) انظر محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الاحمر مرجع سابق ص ٢٤١٠

⁽٣) د مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، مرجع سابق ص ١٦٨-١٦٩٠

شارك حسين بك خليفة مدير بربر ممتاز باشا فىالاهتمام بالزراعة حيصت أنه عمد إلى تشجيع الأهالى علىزراعة كل الأراض التى هجرها أهله بسبب الضرائب كماشجعهم على الرى بالقنوان على الطريقة المصرية. ولكن جهوده لمتكنمتمرة بقدر مابذل فيها منجهد وتشجيع . (1) واهتم الخديو اسماعيلجهود حسين بك خليفة ومما يعكس هذا الاهتمام الخطاب الذى تلقاه مدير بربرر من الخديو في محرم سنة ١٢٨٨ ه الموافق الثالث والعشرون من مارس سنسسة الخطاب :

" أمر كريم إلى مدير بربر في غرة محرم سنة ١٢٨٨ ه(٢٣ مارس ١٨٧١م) أمر كريم منطوقه صار منظورنا عريفتكم الواردة لطرفنا رقم (٢٦) دى القعددة لسنة ٨٨ ه نمرة (١٥) جوابًا لأمرنا الصادر لكم باجرى (٢) (هكذا) الطروق والوسايط المؤدية لعمارية (هكذا) جهة طرفكم وثروة أهاليها بواسط تأليفهم وتشويقهم على زراعة صنف القطن بالأراض الموجودة هناك والاستحسال بذلك على الثمرات التي تعود بالفوايد (هكذا) المستحسنة كما لايخفي ولقد ما فلمنا ممّا ذكرتموه أنكم باذلين غيرتكم ومجتهدين بكل مايمكنكم في اجرى (هكذا) المناسبات حتى أنه بالنظر لكون أطيان المديرية لاتروى سنوى إلا إذا كالنيل بالغ النهاية في الزيادة لمناسبة عدم وجود ترع مثل جهة بحرى ، قد شرعتم فيحفر سيالات مغيرة (٣) من البحر بالمحلات المنخففة التي يتيسر امتدادها بدون كلفة كبيرة ولا مشقة وبها يصير الاستحصال على رى أراض المديرية على واجرى (هكذا) زراعة تلك الزيادة ألنهاية في الزيادة أومتوسط واجرى (هكذا) زراعة تلك الزياض من صنف القطن لآخر ما أوضحتوه (هكذا) قد وقع عندنا موقع الاستحسان والقبول ولابأس من بذل الجهد والاجتهادفي تتميسم

¹⁾ انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث ، مرجع سابق ص١٠٧٠

⁽٢) المقصود باجراً ٠

⁽٣) یعنی ترع صغیرة ۰

وبنائها فهى تشبه محطة أسوان • أمّا محطةحلفا فقد بنيت فى قرية عنجـــــس التابعة لحلفا وكانت هذه القرية تتكون منخمسةعشر منزلاً يسكنها موظفــــو الحكومة وزودت بطاحونة ، ومخزن صغير للجبخانة • وقد بنى فى محطة حلفـــا جسر بلغ طوله أربعة عشركيلو مترًا وذلك لتوضع فوقه القضبان الحديدية (١) .

أمّا في مجال البريد والبرق فقد وجه اسماعيل مدير البريدالمصرى بتنظيم البريد السوداني فأنئشت ادارة البريد السودانية في سنة ١٨٧٣م وأنشئت مكاتب للبريد في دنقله والخرطوم وبربسر وكسلا وسنّار والقضارف وفازوغلى والمسلميسة وفشودة والغاشر والأبيض • كما بلغ ما أنشي من الخطوط البرقية حوالى ألفسسي كيلومتر (٢) •

أُمَّا فى مجال النقل النهرى فقد وطت الخرطوم بعض البواخر النيليــــة وكان بعضها يبحر فى جنوبالسودان منذ أنكان صمويل بيكر حاكماً هناك وبعضهـــا كان فى الخرطوم ويجوب النيل شمالاً والنيل الأزرق والأبيض جنوباً • وبلغ عـــد السفن النيلية حو الى العشرين (٣) • كما اهتمت الحكومة اهتماماًكبيراً بترسانــة الخرطوم •

رابعاً: الضرائسب:

على الرغم من اهتمام اسماعيل بمسألة الضرائب فى السود ان ومحاول تخفيفها واعفاء السواقى والأراض المزروعة بالأشجار إلا أن المواطنين ظلوا يشكون من ظلمها وفد احتهاء والسبب فى ذلك يرجع إلى الحكام والجباة والموظفين الذين فسدت نفوسهم و أصبح الجشع والطمع والرشوة هى ديدنهم , خاصة و أن الضائق المالية التى حدثت فى عهد اسماعيل جعلت رواتب الموظفين العاملين فى السود ان

⁽۱) انظر د٠ السيد يوسف نصر : الوجود المصرى في أفريقيا ٠ مرجع سابق ص١٩٤٠

⁽٢) انظر د٠ محمد فهمى لهيطه : تاريخ مص الاقتصادى في العصور الحديثة ص ٥٥١٠

⁽٣) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث • مرجع سابق ص ١٠٠٧٠

ويذكر أن غردون عندما عين حكمدارًا استشعر عبُّ الضرائب واستمـــع أَثناء تجواله إلى شكايات المواطنين ،وكان يعلم أن الموظفين ُلم يتسلمـــوا رواتبهم منذ سنوات ولكنَّه لم يسأل نفسه كيف يعيش هؤلاء الموظفين بـــــدون رواتب (۱) • وقد عين غردون سلاطين باشا النمساوى مفتشًا لمالية الســـودان فكتب سلاطين عن الحالة فيالسودان بقوله : " وعينني غردون مفتشاً ماليـــــاً وطلب إلثى أن اقوم بالتفتيش في البلاد وأفحص شكايات السودانيين الذين كانسوا يعارضون في دفع الضرائب التي لمتكن تعتبر فادحة ، واطاعة لهذه الأوامــــر قمت إلى سنار وفازوغلى عن طريق المسلمية وعرجت على جبال كوكلى ورقــــرق وكشنكيرو القريبة من بنى شتقول ثم رفعت تقريرى إلى الجنرال غردون وأوضحت في هذا التقرير أنّالض ائب غير عادلة وأنّ معظمها يقع على عاتق أصحـــاب الأملاك الصغيرة من الأرض - أُمًّا كبار الملاك فكان من السهلعليهم أن يرشـــوا الجباة بمبالغ صغيرة فينجوا منالض ائب الا ماقل منها • وعلىهذا كان مقدارًّا كبيرًا من الارض لاتؤخذ عليه الضريبة بينما يقوم الفقراء بسد العجز ودفــــع مستاؤون من الطرقالجائرة التي يتبعها جباة الضرائب وجلهم من الجنـــود والباشيزق والشابقية ـ ولم يكن هم هؤلاء الموظفين سوى الحصول على الشـروة باسرع مايمكنهم على حساب السكان التعساء الذين كانوا يخفعون لسلطتهــــم الوصفية القاسية • وكنت كثيرًا ما أجد خلال أسفاري أن الأراض التي يملكها الموظفون ومعظمهم من الأتراك والشابقية لاتجبى عليها ض ائب ما • وعندما كنت أسال عن علة ذلك كان يقال إن هذا امتياز للموظفين لما يقومون به من الخدمة للحكومة وقد كانوا يستاءون أشد الاستياء عندما كنت أقول لهم أنهم يتناوليون

⁽١) انظر المرجع السابق ص١٠١٠.

ولكن سلاطين اعترف بأنه عجز عجزاً تاماً عنالقيام بوظيفته وذلك حيــــن قال : " وإنى أعترف بأن تجاربى الماضية ومعارفى قد خذلتنى فى هــــــذا الموضوع • وشعرت عندئذ بعجزى التام عنالقيام بأى اصلاح ولم يكن لى مـــن الخبرة بالشئون المالية سوىالقليل أو العدم فلذلك وجدت من العبث أن اُستمر فيعملى وقدمت استقالتي "(٢) •

استمرت مشكلة الفرائب فى السودان فارسلت الحكومة البريطانيـــــة الكولونيل ستيوارت إلى السودان بعد وصوله مباشرة ,الى مصر مع القــــــوات البريطانية التى احتلتها سنة ١٨٨٢م لدراسة أُحوال البلاد وكتابة تقريـــر مفصل عنها مشفوعًا بمقترحاته حتى يمكن لتلك الحكومة أن تتخذ من الاجــراءات مايتناسب مع سياستها نحو الشطر الجنوبى من الوادى وقد وصل هذا الضابـــط الى الخرطوم فى ديسمبر سنة ١٨٨٢م وغادرها فى مارس سنة ١٨٨٣م بعد كتا بــــة تقريره الذى ضمنه بيانات بالقبائل وشيوخها والجبايات السابقة والمقترحة. (٣)

أما عن الادارة المالية فىالسودان خلال هذه الفترة فلم تكن ايسرادات الحكومة فىالسودان تكفى مصروفاتها وذلك لأن الانتاج فى هذه البلاد كسان مايزال قليلا بالنسبة لمساحتها وترجع قلة الانتاج إلى قلةنشاط السكان فلستغلال موارد الثروة فى بلادهم ، كما هو الحال فى معظم بلاد المناطلسية الحارة (٤) .

۱) سلاطین باشا: السیف والثار ٪ فیالسودان ۰ عالم الکتب ۰ بیروت ط ثالثة ۱۹۷۸م ص۱۱-۱۲ ۰

⁽٢) المرجع السابق ص١٢-١٣٠

⁽٣) انظرالمجلة التاريخية المصرية ج٣، ١٩٥٠م ص١٩٥٠٠

⁽٤) انظر د محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديث...ة ، مرجع سابق ص ٥٣٥٣

وكانت مالية السودان دائماً تسجل عجزاً يخصم على الخزانة المصريـــة • وقدحدثت ضائقة مالية في السودان سنة ١٨٦٥م بسبب القحظ وقد ساعدت الحكومة المصرية حكومة السودان على تجاوز هذه الأزمة ويبدوذلك من خلال الخطـــــاب المرسل من الخديو اسماعيل إلى جعفر باشا حكمدار عام السودان في ٢٨ مــن محرم سنة ١٢٨٢ (٢٣ يونيو ١٨٦٥م) وقد جاء فيه : " سبق أُنّ سلفكــــم المرحوم موسى باشا التمس ارسال ثلاثة ألكف كيس قداً ا أُو أُربعة الْافالــــــــى مديرية التاكة عن طريق سواكن ، لما علم من المكاتبة الواردة إليه من تلك المديرية أن هناك ضائقة مالية بسببالقحط الحادث في حاصلاتها هذه السنـــة وإنه من أجل ذلك لميصرف للعساكر والمستخدمين رواتبهم بضعة اشهر وقــــد التمس أيضاً أن ترسل الحكمدارية كمية من النقود لتساعده في نفقاتهــــا الضرورية فنبلغكم أن تلكالنقود علىوشك الارسال وقد حررنا يوم تاريخـــه إلى ديوان المالية ليخابروكم ويتخذوا التدابير اللازمة في تسوية تلـــك المسألة • فاذا وصلتم رالىمقر الحكمدارية فابحثوا ايرادها ومصروفه للمسالة بحثاً دقيقاً ونظموا ميزانيتها نظاماً موافقاً بعد أن تفحصوا عمّا إذاكانست السودان تحتاج إلى نقود بطريقالمساعدة علاوة على ايرادها السنوى ، لتصرف في الاصلاحات الضرورية والتنسيقات المهمة فحرروا بياناً مفصلاً بذلك وأعرضوه علینا "(۱).

كذلك أرسلت الحكومة المصرية كميات من الغلال لتفريج تلك الضائقــــــة المالية فى السود ان ٠

كما إنَّ ممتاز باشا عندما كان حكمداراًعلى السودان حاول أن ينظَّـــم الميزانية ويحدُّد بنودها (۲) .

⁽۱) محمد فؤاد شكرى : الحكم المصرى فىالسودان ٠ مرجع سابق ص ٣٨٥٠

⁽٢) انظر الشاطر بصيل عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادىالنيـــل ، مرجع سابق ص ٢٧٢٠

وفى هذاالصدد أرسلالخديو اسماعيل إلى محمد رؤوف باشا حكمدارالسودان خطابا يوجهه فيهبالاهتمام بالمالية وتنظيمها وتحديد بنودها تحديــــدأ دقيقاً (۱) .

ولما عين غردون حكمدارًا على السودان أحسن التصرف حين لاحظ آنــــذاك أن الدول الأوربية التى تطالب الخديو اسماعيل بتسديد الديون التى عليه، أخذت تنظر إلى السودان على أمل أن يدفع من ميزانيته اقساطا من تلك الديون ولذلك فأن غردون عمد رالى فصل مالية السودان عن المالية المصرية وذلــــك حتى يجنب السودان أية مضايقات مالية (٢) .

ولبيان العجزالذى كانيحدث دائمًّافى ميزانية السودان وتتحمله الخزانية المصرية ـ نستعرض فيـما يلى ميزانية السودان لعام ١٨٧٨م :

- ٣٢٧٠٠٠ جنيه _ دين البسودان ٠
- ٥٧٩٠٠٠ جنيه ايرادات الحكومة ٠
- ١٠٠٠ه جنيه ـ مصروفات الحكومة ٠
- ۰۷۲۰۰۰ جنیه العجز فی المیزانیة (۳) ۰

ومن هذه الميزانية تظهر قلة الايرادات عن المصروفات، كما يظهر ال أن السودان كان يسد العجر في ميزانيته بالاستدانة وقد كان مجموع الديروف في الميزانية سالفة الذكر يزيد على نصف الايرادات •

⁽۱) انظر نعوم شقیر : تاریخ السودان ۰ مرجع سابق ص ۰۳۰۷

⁽٢) انظر ضرار صالح ضرار : تاريخ السودان الحديث · مرجع سابق ص١٠٤٠

⁽٣) محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فىالعصور الحديثة ـ مرجــع سابق ص ٥٣٥٤

وفي ختامهذا الفصل يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

- (۱) اهتمت الحكومة اهتمامًا عظيماً بالزراعة وأُرست أساساً منظماً لزراعـــة القطن الذي أصبح فيما بعد محصول السودان الرئيسي •
- (٢) كما اهتمت بالتجارة وعبدت لها الظرق وسهلت المواصلات بمختلف أنو اعها وقد أفادت هذه المواصلات في ربط أجزاء البلاد بعضها ببعض ٠
- (٤) بالرغم من الدعم الهائل الذي قدمته الخزينة المصرية لمالية السودان إلا أُنالسودان ظل يسجل عجزًا كبيراً في ماليته كما يظهر من الاُرقـــام السابقة ٠
- (ه) تسببت الازمة المالية في مصر في تأخير رواتب الموظفين مما جعله ويتعاملون بالرشوة وزيادة الضرائب على المواطنين الفقراء ، الأمرائي الذي تسبب في سخط عام على نظام الحكم ولقد كان هذا السخط ملك أكبر الدوافع التي جعلت شعب السودان يلتف حول الثورة المهدي باعتبارها المخرج له من حالة الشدة والضنك التي كان يعانيها والمناب المناب ال

• • •

اللياكم

ـ الخاتمـــة :

منخلال العرض لتفصيلى السابق يمكن أن نشير الى اُهم السمات والنتائج التى خرج بها هذا البحث فى نظم الادارة والتعليم والقضادات والاقتصاد كما يلى :

_ أُولاً: فينظام الادارة:

- (۱) اناهم مايمكن أن نشير إليه في هذا المجال هو أن هذا العهد قــــد اعطى السودان اسمه وحدوده المعروفة اليوم ٠
- (٢) نقل هذا العهد شعب السودان من النظام القبلى الاقطاعى إلى نظـــام حديث يرتبط فيه المواطن بسلطة الدولة وتم هذا الانتقال بالتدريــج بواسطة مايعرف بنظام الحكومة المحلية أو الادارة الأهلية حيث يكــون النظار والعمد والمشايخ هم الواسطة بين الحكومة والمواطن و
- (٣) جرّب هذا العهد أشكالاً مختلفة فى الحكم مثل اللامركزية والمركزيات المبكرة أو محاولة ايجاد نظام وسط بينهما وبالرغم من هذه البدايات المبكرة فى هذا المجال إلا أنّ السودان إلى اليوم لم ياخذ شكلا مستقراً مصنفه الأشكال و
- (٤) كان هذا الحكم حكماً عسكريا في معظم أحواله بالرغم من أنه حصاول ان ينقل تجربة الحكم التي أقامها محمد على في مصر٠
- (ه) كانت مساحة السودان الشاسعة وضعف المواصلات من الأسباب الرئيسيـــة فى تعويق أعمال الجهاز الحكومى ٠
- (٦) استطاع هذا العهد أن يبسط الأمن على قطاع كبير من أرض الســـودان وقد أشاد بهذ اللظاهرة الرحالة الأجانب ٠

- (A) نقل بعض الحكّام الاُتراك إلى شعب السودان البسيط بعض الممارســـات الفاسدة مثل تقبل الرشاوى والاختلاس •
- (٩) ربط هذا العهد شعب السودانبالخارج كما ربط بين أُبتاء الشعب بعضهــم ببعض ٠

ثانياً : فيمجال التعليم :

- (۱) فى بداية هذا العهد اهتم الحُكّام بأمر التعليم فى السودان ولك الم توضع سياسة واضحة يسير عليها التعليم لتحقيق أهداف مرسوم وانما دعم التعليم الشعبى المتمثل فى المساجد ومدارس تحفيظ القلم الكريم وهجرات الطلاب للأزهر الشريف
- (٢) شهد هذاالعهد لأولمرة قيام مدرسة نظامية حديثةوذلك في عهد عبـــاس الأول وقد استمرتهذه المدرسة لعام دراسي واحد ثم أعقبتها فــــــى عهدالخديو اسماعيل خمس مدارس ابتدائية في المحافظات ٠
- (٣) شهدت هذه الفترةنشاطًا تعليميًّا للارساليات الكنسية وقد كانت هــــده بداية للتعليم الكنسى الذى مازال موجودًا فىالسودان إلى اليوم •
- (٤) بدأ في هذا العهد الفصام بينالتعليم الديني والتعليم المدني حيــــن أنشات الحكومة مؤ سسات للتعليم المدني موازية لمؤسسات التعليم الديني واستمر هذا الفصام إلى يومناهذا حيث كان من ركائز حركة العلمانية في البلاد،

ثالثاً: في مجال القضاء:

(۱) واصل هذا العهد في بداية الاحتكام إلى الشريعة الاسلامية حين وجـــــد أنّ الممالك السودانية السابقة كانت تحتكم إليها٠

- (٢) استمر هذا العهد فى ادخال القوانين الوضعية واحلالها محل أحكــــام الشريعة الاسلاميةوبنهاية هذا العهد أصبح حال السودان كمصر إذ بقيت احكام الشريعة الاسلامية فى نطاق دائرة الأحوال الشخصية ٠
- (٣) أُوجد هذا العهد نظامًا للاستئناف يعتبر متقدماً فى ذلك الوقت ومحققــًا للعدالة ولو أنه يتسبب فى كثيرمن الأحيان فى تأخير الفصل فــــــى القضايا٠

رابعاً : في النظام الاقتصادي والمالي :

- (۱) عملت حكومات هذا العهد على تطويرالزراعة فىالسودان وخاصةزراعــــة القطنالذى أصبحومازال المحصول الرئيسى فىالبلاد٠
- (٢) كما عملتهذه الحكومات على اصلاح الطرق وحفر الآبار والترع وذلك ملت و التجارة أجل تطويد الزراعة والتجارة " المناسلام الم
- السلع (٣) في مجالالتجارة احتكرت الحكومة بعض في الشمال وعملت على تنشيــــط الملاحة البحريةوالنهرية حتى تتيسر حركة التجارة •
- (٤) قامت هذه الحكومات بالتنقيب عن الذهب والمعادن ولكن جهودهـــــا لم تصادف نجاحا٠
- (ه) كانت ميزانية السودان تسجل عجزاً بصفة دائمة وكان هذا العجـــــر تتحمله الفزينة المصرية ٠
- (٦) من أسوأ ما ارتبط فى أذهان السودانيين بهذا العهد النظام الضريبي، الذي حاولت الحكومة فرضه على الشعب السوداني واتبعت من اجل تنفيلية الكثير من الاساليب الوحقية وغير الانسانية ٠

ويطيب لى فى ختام هذه الدراسة أن أسجل ، هذين الاقتراحين :

- (۱) تعتبر هذه الفترة بسلبياتها وايجابياتها بداية للتكامل بين الشعبيان المصرى والسودانى على المستوى الرسمى وفى جميع المجالات ، ولذللف فأنى أقترح على لجان التكامل بين القطرين الشقيقين دراسة هلك الفترة لتثبيت الايجابيات وطرح السلبيات •
- (۲) توجد مجموعة من الكتب التى تناولت هذه الفترة ومكتوبة بلغـــات أجنبية وخاصة الانجليزية وتحتاج إلى من يقوم بترجمتها لتعم الفائدة ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:
- (1) Hill, Richard Egypt In the Sudan 1820-1881
 (2) Hill, Richard On The Frontiers of 1 s Lam The Sudan under Turco Egyption Rule 1822-1845.
 (3) Gray, Richard A history of the Southern
 Sudan 1839-1889.

هذا ماوفقت الى القيام به من جهد فأن كان خيراً فالحمد لله وحسده وإنكان غير ذلك فحسبى أنه جهد بشر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

الملحق رقـــم (۱)

فرمان بتعیین جعفر باشا صادق حکمداراً علی السودان (۱) فی ۲۶ محرم ۱۲۸۲ ه (۱۹ یونیه ۱۸۲۰م)

صدر هذا الفرمان المطاع الواجب له القبول والاتباع خطابًا لحضرات العلمــاء والأعلام والقضاة والنواب والملوك وكبار الحلل والمشايخ والعشاير والوجـــوه والحكَّام بكافة أُقاليم السودان تحيطونعلماً وتدركون فهماً أُنهُ لمناسبة انتقــال موسى باشاالذي كان حكمدارًا عليكم إلى دار البقاء قد نصبنا بدله جعفر صــادق باشا وجعلناه حكمدارًا علىعموم وكافة جهات السودان بما الحق إليها من جهـسات مصوع وسواكن وهذا بناء على ماتوسمناه فيه من القيام بشعائر هذه الوظيفــــة ومسعاه فيها بالصدق والاستقامة في صالح المصلحة ومناظرة أُحوالالرعايا بما يجب من حسن رعايتهم وحسن توطنهم والفصل في شئون قضاياهم المدنية والجنائيــــة بوجه الحق والانصاف ومراعاة الأوامر والقوانين واللوائح فيلزم أن تكونوا جميعكم معه يداً واحدة لتجرى الادارة والأحكام مجراها على منهج الحق والتقوى مـــــع انقيادكم بتفنيذ أوامره ونواهيه الباعثة لحسن عماريتكم وتنجيز أحصصوال المطالب المبرية وأنت أيها الحكمدار عليك بالتقوى والتعضد بالحق الذي هو السنة الأقوى وعامل الناس بالعدل والانصاف وتجنب الجور والاعتساف واصرف همتك فـــــى رؤية مصالح العماد وعمارية البلاد • واعلم أنّ راحة العباد حمل على كاهــــل الحكّام محمول وأن كل راع لم يراع جانب الحق فهو مؤاخذ ومسئول واجعل حركاتــك بما تدعو إليه الأوامر واللوائح والقوانين فأن ارادتنا جبلت على حب رعايـــة الرعية لانهم وديعة رب البرية فلتعلموا جميعكم هذا وتعملوا به لزم اصــداره والحذر من المخالفة ثم الحذر والعاقل من بغيره اعتبر٠

⁽۱) أُمين سامى : تقويم النيل وعصر اسماعيل باشا المجلد الثانى من الجــر، الثالث ص ٦١٢-٢١٠٠

ملحق رقـم (۲)__

مرسومات سعيد التي أصدرها بخصوص الادارة في السودان المرسوم الأولـــــــــــ (۱)

موجه _والىالمديرين الجدد بمديريات السودان الخمس سنّار وكردفان ، تاكه ، بربر ودنقله •

الخرطوم في ٢٦ يناير ١١٨٥٧

ليس منكم من يجهل ما ألاقيه من التعب في سبيل احياء ما اندرس م معالم المدنية والعمران، وايراد كافة صنوف الرعية موارد العز والرفاهية وقطع شافة الظلم والاستعباد - ومع ذلك فأنى لما قدمت إلى هذه الأصقـــوت شاهدت بعينى رأسي مايلاقيه أهلها من الضنك والفاقة وسمعت بأذنى صــوت أنينهم من أحمال الفرائب التي أثقلت كاهل الغنى منهم ففلاً عن الفقيــر، وفداحة الخراج المفروب على سقاياتهم وأطيانهم وتسخيرهم في كثير مـــن الأعمال التي لاقدرة لهم على القيام بهاو الاتجار في أولادهم وبناتهم فــن الأسواق ، فكان ذلك مما أحزن قلبي وبلبل فكرى لاسيما وقد علمت بأنهـــم أخذوا يهاجرون من أوطانهم إلى أقاصي البلاد هرباً من هذه الكوارث والمحـــن المتراكمة بعضها فوق بعض ، فقد عقدت النية على جعل الخراج قدراً يناسب عالمة البلاد وأهلها وأن أبذل جهد المجتهد في إصلاح أحو الهم وترتيب أمورهــم على مافيه الصالح لهم ولذريتهم من بعدهم ،

فلما نزلت على بربر جمعت المشايخ وجميع من جاء للقائى من أهــــل البلاد على اختلاف مراتبهم وسألتهم أن يؤمروا عليهم أميراً يختارونه مــــن بينهم ممن يستبشرون بامارته ويتوسمون فيه الخير للبلاد وتحصل على يــــده

السكينة والخلود إلى الطاعة وأن يقدروا مبالغ الخراج الذى يسهل عليه القيام به بلا كلفة ولا مشقة ، ففرحوا بذلك وطلبوا أن يربط على كل ساقية خراجاً قدره مائتا وخمسون قرشاً في كل سنة ، ولكن حبى لشعبى يحملنى عليم منحه أكبر قدر ممكن من الرخاء وعلى الاهتمام بشأنه حتى أضمن عطفه ، وحتى يستطيع هو الآخر أن يهم برعاية شئونه وتحقيق رقاهيته ، ولما كنت أريب بالاضافة إلى ذلك أن أعيد الطمأنينة إلى قلوب أولئك الذين هاجروا حتى يعودوا إلى أوطانهم وهم لايخشون ظلماً ولاعدواناً ولا ضرائب باهظة ، فقد أمرت بالآتريد ضريبة كل ساقية على مائتى قرش فقط وخراج كل فدان من أرض الجزائر خمسة وعشرون قرشاً ، أما أراض العلو فعشرون قرشاً لاغير، فكان لهذا العمل أحسن وقع في قلوب سائر الرعية وفرحوا فرحاً لايوصف وأخلدوا إلى السكون والطاعة وقم عضهم بعضاً وأرسلوا يستقدمون من هاجر منهم وترك الأوطان ،

ولما وصلت إلى الخرطوم جائن المشايخ و الأعيان و وإذا كان هؤلاء الأخيرون قد خفوا لمقابلتى فذلك لأنهم شعروا نتيجة لوجودى بينهم بدلائل كـــــرم لم يشعروا بمثله قبل الآن قط ولكنى لما كنت قد عينتكم مديرين لهذه الأقاليم فأن عليكم أن تقتدوا بى ، وأنى لم أقلدكم المناصب والا لتكونواعونى علـــــى استتباب الأمن واصلاح أمور الرعية فأياكم والعنف و الجور ولاتجبوا الخـــراج ولا في الأوقات المناسبة واعقدوا لتقرير قاعدة ذلك جمعية فى الثلاثة شهـــور التى لازرع فيها ولاقلا فيها ، وقسموا الخراج على أقساط متساوية يسهل عليكــم جبايتها فى آخر كل سنة بصورة تجعل من الممكن تحصيل الخراج فى بحر السنة دون أن يتعرف الأهالي لارهاق ما ودون ترك متأخرات لديهم و ويجب أن تتالف هـــــذه الجمعية من ١٢ إلى ٢٤ عفواً من أعيان المديرية حسبما ترونه مناسباً للمصاحـــة العامة و وبوعفكم رؤ ساء لهذا المجلس فأنتم الذين تقومون بتقسيم الخـــراج والنظر في الوسائل الأكثر صلاحية لزيادة الرفاء والهدوء بمورة تؤدى بالـــين والنظر في الوسائل الأكثر صلاحية لزيادة الرفاء والهدوء بمورة تؤدى بالـــين

القرارات التى تتخذونها بهذا الشأن واحداً راثر واحد • ثم احصوا جميـــع الكشّاف والجند الموكلين بجباية الخراج وأخلعوهم وقلدوا مكانهم مشايـــــخ البلاد فهم أولى بذلك •

وعلى الجمعية أنتعنى ضمن ماتعنى به الأمور التالية : عليك الموجودي النسرحوا الكشّاف الذين هم اليوم حكام تلك الجهات وكذلك الجند الموجودي معهم ثم عليكم ألا ترسلوا بعد الآن كما كان الحال سابقاً جنداً لتحصي الخراج فأنّ القرى وحدها هى التى ترسل شهرياً خراجها حسب التقسيم بو اسط مشايخها ولاتستخدموا قوة القانون الا بكل عدل لاجبار المتأخرين على الدفع ولتشجيع المشايخ على القيام بوظائفهم بأمانة واخلاص وجدت من الحكم أن يكافأ المشايخ على خدماتهم وذلك بان تعافوهم في مقابل هذه الخدم برفع خراج سقاية في كلخمس وعشرين سقاية ومعنى ذلك ألا تحملوا خراج إلا عن ٢٤ ساقية من خمس وعشرين بينما تبقى الساقية الخامسة و العشري من سواقى المشايخ دون خراج وبالمثل فيما يتعلق بالأراض فتعفون م الخراج أربعة أفدنة من كل مائة فدان تخص المشايخ ٠

هذا وحيث أن لأولئك المشايخ والأعيان بيوتاً ينزل عليها كل طلارق وقاصد ، فارفعوا عن كل منهم خراج أربعة افدنة من كل مائة فدان فأنه لملا كان المشايخ وهم أصحاب هذه المنازل يقدمون المأوى والمأكل للسياح والمسافرين ولما كانوا مشهورين بضيافتهم فقد وجدت من العدل أن يعم كرمى بحيث يشمل نفقات هذه الضيافة وعلى ذلك فقد تركت لتقديركم بحث وتعييان مايمكن أن يمنح لهؤلاء المشايخ وماترونه أنتم مناسباً وعادلاً وذلك حسلم

وعليكم أن تقوموا بقياس الأراضو احصاء السواقى بواسطة المشايسيخ الذى يجب عليهم أن يقدموا بيان ذلك إلى المديرية ، وأمّا إذا أرسلتم رجالاً

من طرفكم لهذا الغرض، وحدثت أخطاء فستبكونون المسئولين وحدهم عن هـــذه الأخطاء ، والخراج الذى سوف يجرى تحديده على الأراضى بعد قياسها وعلــــي السواقى يجب أنيدفعه زارع الأرض وحاصد غلاتها ، وذلك حتى لايستطيع أحـــد أن يقول إنّ الملزم بدفع الخراج قدتمكن من الهرب ، والخراج الذى يجــرى تحديده وتعيينه على النحو الآنف الذكر يبدأ العمل به منذ هذه السنــة الهجرية سنة ١٢٧٢ ويحتسب الخراج الذى حصل من ابتداءهذا العام من خــراج هذه السنة وتمشياً مع هذه القاعدة يؤخذ هذا الخراج عن الأراض التى تــروى بماء الفيضان أو ماء الأمطار أو السواقى ولكن إذا _ لاقدر الله _ انخفــف النيل أو احتبس المطر ، فالخراج لايستحق ولايجبى٠

وكلماتحتاج إليه الحكومة من مُاكولات وأشياء أخرى أو جمال أو رجـــال للخدمة فعليها أنتدفع ثمنو أجر ورواتب ذلك كله بزيادة ٢ ٪ عما يدفع السكان فيما بينهم وحتى إذا ارتفعت أثمان الأشياء فعلى الحكومة أنتدف دائماً زيادة ٢ ٪ على الرغمم مــن زيادة الاسعار وخوفاً من اللا يعلـــن المشايخ عن الأثمان الحقيقية للأشياء وعن القيمة الحقيقية لليد العاملـــة إظهاراً منهم لاهتمامهم بصالح الحكومة عليكم تفادى هذا المحظور باللاتاخذوا شيئاً إلا بموافقة أمحابه موافقة حرة وذلك حتى يمكن بفضل هذه الوسيلــة أن يزداد رخاء البلاد وحتى أنه عندما يرى أولئك الذين هم فى الخــارج الأثمان التى تدفعها الحكومة يدفعون هم الاخرون أثماناً طيبة ممّامن شأنـــه أن يزيد ثراء البلاد ويجب أن لا تسخروا الرجال أو الجمال فى الأعمـــال ويجب أن تشجعوا السكان على زراعة القمح والنيلة والقطن والسمسموفيــره وأن تبذلوا كل جهد حتى يمكن كبس الأقطان وصناعة النيلة حتى يسهــــل وأن تبذلوا كل جهد حتى يمكن كبس الأقطان وصناعة النيلة حتى يسهــــل الأهالى على استخراج الزيت من السمسم لأن فى ذلك مطحة لهم ٠

وحيث يوجد فى هذه البلاد الأخشاب الصالحة للعمائر ومد السفنو الحريسق وغيره شيئاً كثيرًا فاشتروا منه منالأهالى كل ماتيسر وسيروا به إلى القاهرة ثم أنقدوهم الثمن معجلاً.

وسوف يكون من السهل انزال هذه الأخشاب الىمصر على شكل أرماث وقصصت فيضان النيل وعليكم ألاقتفهموا الأهالي ذلك وأن تشجعوهم على العمصل الأماث والمتعمول عملًا العمل معدر ربح جديد والمتعمول عملًا العمل معدر ربح جديد والمتعمول عملًا العمل عمدر ربح جديد والمتعمل عمدر ربح عمدر ربح بديد والمتعمل عمدر ربع بديد والمتعمل عمدر ربح بديد والمتعمل عمدر ربع بديد والمتعمل عمدر ربع بديد والمتعمل عمدر ربع بديد والمتعمل عمدر المتعمل عمدر ربع بديد والمتعمل عمدر المتعمل عمدر ال

ومما يوطد الرخاء في بلد ما ،بناء المنازل في المدن ولكن عليك ان تنتبهو احتى لاتبنى المنازلفي الطرق من غير نظام بارزة أو مختيف كما هو الحال اليوم بل من الواجب أن تكون البنايات الجديدة في صف واحد وهذا من غير أن تفطروا لهدم المنازل الموجودة والبينايات الجديدة فقط هي التي يجب أن تشيد وفقاً لهذه القاعدة الجديدة ويجب أن يكون لك منزل حديقة ذات اتساع كاف لاستخدام مياه ساقية أو شادوف أو ماهو أقلل من ذلك إذا لزم الأمر وحتى تكون الأمور بهذه الواسطة منظمة تنظيماً حسنا والهواء أنقى و أحسن ويجب ألا تحملوا ضريبة عن الأراضي التي تعطونها لهذا الفرض و

وشجعوا الأهالى كذلك على راعة الأشجار فى الطرق وعلى طول شاطى النيسل إذ أنهذه المزروعات تفيدهم أولاً بانتاجها وثانياً بالأثر الطيب الذى تحدثه بامتدادها على طول الطرق و الشواطى ٠٠

ثم علموهم الصنايع والفنون وإنشاء المبانى المنظمة والمساكن المشيدة وغرسالاً شجار بالشوارع والطرقات وإذا أعطيتم أحداً أرضاً للفلاحة من الأطيان المتروكة فأخبروا بذلك للمديرية التى أنتم في دائرة اختصاصها وإذاعاد مسن

هاجر إلى بلده وطلب رد أطيانه وكانت ثابتة إليه وجب ردها رادا لميمض عليسس انسحابه خمش عشرة سنة و ارفعواعن الأهالي جميع المتأخرات لغاية سنسسة إحدى وسبعين ومايتين و الفه هجرية والمقاس أن مساحة كل فدان أربعمائة قصبة و أنّكل قصبة ثلاثة أمتار فقط واياكم والمخالفة فيكون جزاؤكم شر الجزاء و

أمّا المنازعات والقضايا فيكون بحثها والبت فيها أمام المشايسيخ ولكن في الحالة التي يتعذر فيها الوصول والبحل بهذه الطريقة فأن هلية القضايا يفصل فيها " المكوك " الذين يقبلهم الطرفان المتنازعان و وإذ اكانت من وع لايحلبهذه الطريقة فأنها ترسل والى المديرية ومالم يمكن الفصليل فيه فأنه يعرض على المجلس أثناء الشهور الثلاثة التي ذكرت أعلاه و فعلل المجلس أن ينظر في هذ ما لأمور ويصدر حكمه فيها و

أمّا فيما يخص المسائل المتعلقة بالقانون فهذه يحكم فيها القضافي ويقوم بتنفيذ هذه الأحكام المشايخ والمديرية • أمّا قضايا القتل فيجان ينظر فيها مدنيًا بمساعدة المديرية وتبحثها المحكمة فى المديرية ، وفلل المجلس الذي سبق التحدث عنه وذلك بحضور القاضي والذين يخصهم الأمر حتائ ترفع إلى بعد ذلك بواسطة مدير المديرية • أما قضايا البدو فهذه ما المتعاصات شيخ قبيلتهم أو الشيخ الأعلى •

وفى الحالة التىتتحسن فيها ثروة أحد الأفراد ويطلب اعطاء بعضف الأراض فىقريته من بين للأراض غير المزروعةزيادة علىمايملكه يجب إعطاؤه هذه الأراضي إن كانت من غير صاحب وتخير المديرية بذلك حتى يكون لديها رالمسلم بالأمر ويطبق نفس الشيء فى الحالة التى يعود فيها أحد الأهالي إلى بلبعد ان تقرب منها فيجب إعطاؤه أرضاً غير مزروعة ولكن إذا لم توجد مثل هذه الأرض فالواجب أن تسهل له وسائل العيش في قريته وأن يعطى بتدخللا المشايخ والأعيان قدراً من الأراض كافية لعيشه وذلك حسب مركز كل فرد أملا

إذا كانهذا الفردالذى ترك قريته يملك أرضاً وحدث بسبب تغيبه أن استولى غيره عليها منذ مدة تزيد على الخمسة عشر عاماً تماماً فانه يجب رد أرضه إليه ويعطى لمن أخذت منه الأرضارضا أخرى و وتغير المديرية بذلك وفى الحالية التى لاتوجد فيها أرض حرة بتاتاً فى القرية يكون التصرف معه كما هو مبين فى حالة منعاد إلى قريته بعد أن هجرها وكان لايملك فيها أرضاً وإذا رغيب أولئك العائدون الذين لم يكونوا يملكون أرضاً فى قراهم أو أولئك الذيبين لم يكونوا يملكون أرضاً فى قراهم أو أولئك الذيبين لاتوجد أرضحرة لاعطائهم إياها أن يحملوا فى نظير دفع الضريبة على أرض متروكة لا أمحاب لها ولا تجاوراً ية قرية ، وأن يبنوا فيها قرية جديدة للاقامة بها والعيث فيها فمن الميسور اعطاؤهم هذه الأرض من غير أية معوبة و

ولما كانت الضريبة المفروضة على البدوقد حدّدت فأنه سوف تصدر إليكسم حسب ارادتى _ الأوامر اللازمة لتوزيعها على القبائل وتحديد ما يعطللمشايخ نظير قيامهم بأعباء وظائفهم ونظير نفقات ضيافتهم ومع ذلك لمّساك كانت ضريبة القبيلة موزعة بين الأفراد بمعرفة شيوخهم وهذا التوريع غيسر معروف لدى المديرية فأنه نتيجة لذلك ، إذا لم يجد أحد هؤلاء البدر الراحة التى ينشدها في قبيلته وأراد الذهاب إلى قبيلة أخرى للعيش فيها ، ولماكسان حراً في التصرف لشخصه وكان ارغامه على المكوث في قبيلته سيزدد من ألمه _ الأمر الذي لايتفق مع رغباتي _ بات من الواجب عليكم ألا تمنعوا هذا الشخص مسن العيش في القبيلة التي يختارها ولكن يجب أن تنتقص الضريبة التي كليسان يدفعها في قبيلته وتضاف إلى ضريبة القبيلة التي اتخذها مقراً له .

وإذاررع أحد البدو أرضاً فيقرية وسرت عليه الضريبة المقررة فملسن الواجبالا يكلف هذا الفرد بدفع ضريبتين احداهما يدفعها في قبيلته والأخسري عن أرضه ، إذ أن هذا مخالف للعدالة ، وقد قررت أنهفي كافة الحسسالات

التى يزرع فيها البدوى أرضًا فى قرية ما يجب اعفاء هذا البدوى من ضريبية القبيلة التى يعينها مشايخ القبائل • فلا يدفع غير ضريبة واحدة هى ضريبية الأرضالتى يزرعها • وقد أمرت بهذا حتى أشجع البدو على الاقبال على الزراعيبية وممارستها وعلى السكنى فى المدن •

وفى الأمر الذى سأصدره إليكم فى موضوع ضراعب البدو سوف أعطيكم أيض الوامر اللازمة لارشادكم فى مسألة بعض الأهالى من الرعاة الرحل

أما فيما يختص بالجبال التى تفرض عليها الضريبة أقول إنه لماكسان سكانها يعيشون فيحالة همجية وكانمن الضرورى قيادتهم في طريق الانسانيلستة حتى ينعدم ميلهم إلى العزلة في الجبال وإلى القيام بالثورات فقد قررت أن أعفيهم من ثلث الضريبة فلا أدعهم يدفعون إلا الثلث الواحد فقط ويجب أن تفهموهم

ولقد اعتاد هؤلاء أن يزرعوا بعفالأراض على منحدرات الجبال فمسسن واجبكم أنتشجوهم وأن تدخلوا فى أدهانهم فوائد الحياة فى المدن وأن تحفوهم على الاكثار مزرراعتهم وأن تبذلوا جهدكم فى اقناعهم لتجلبوهم إليكم اوضحوا لهم جيداً أنهم إذا أقبلوا بملء قلوبهم على الزراعة فأننى سوف أعفيهم من الضريبة التى أنقصتها اليوم فلا يدفعون عندئذ سوى ضريبة على الأراض التى يزرعونها التى أيضا سوف تكون أقل من تلك التى يؤدونها عنجبالهم وأنكم إنما تعاملونهم على هذه المورة لتوفير راحتهم وأمنهم واجتذابهم الى طريق الحضارة والمدنية وحتى إذا حدث فى اجتماعاتكم التى تعقدونها لشرح ماتقدم لهم ولاستمالتها النراعة وأن يدفعوا فقط ضريبة على شريطة أن يعدوا أنهم سيقبلون على الزراعة وأن يدفعوا فقط ضريبة الأراض التى يزرعونها فعليكم أن تقبلوا الشير

حب الحياة فىالمدن في نفوسهم وأن أصونهم بذلكمن التقلبات التى يتعرضون . لها.

هذه هي الطريقة التي تتبعونها مع سكان الجبال الذين يعيشون في حالة همجية وكالحيو انات المتوحشة ، و أما فيما يتعلق بأهالي الجبال أمث المالفونج المتحضرين قليلاً فسوف أصدر إليكم الأو امر فيما يخص الجب التي حضر مشايخها إلى ، و أما أولئك المشايخ الذين لم يحضروا ، فعليك أن تتفاهموا معهم وبعد التداول مع مشايخهم عليكم أن تخبروني بما يمكن أن يدفعوه بسهولة ، ومن دون مشقة ، كما عليكم أن تقدموا إلى تقريراً مفسلاً عن الضريبة الحالية ، والضريبة التي يريدون دفعها حتى أصدر أو امرى إليك مهذا الصدد .

وعليكم أيضاً أن تجمعوا المشايخ والأعيان وتقر اُوا عليهم أُمرى هذا ، وتفهموهم ماقررت القيام به لمصلحتهم ، مدفوعاً إلى ذلك بحبى لشعبى .

وعندما وصلت الى بربر وشندى عينت المشايخ والمكوك حسب رغب الأهلين ووفق اختيارهم ولم يحضر بعض مشايخ القرى وعليكم أن ترتبوا الأمور بهذا الشكل في مديرية دنقلة وتتموها أيضاً فيما يتعلق بأقاليم برب والجاعلين (هكذا) وهي التي لم تجر فيها هذه الترتيبات وعليكم أن تعينوا المشايخ والمكوك من أولئك الذين اختارهم الأهالي والأعيان ثم تزورونه بنصائحكم وارشاد اتكم الحكيمة حتى يمكنهم أن يسلكوا مسلكاً حسناً وحتى يمكنهم التجنبوا بعناية كافة ما من شأنه ابعاد الأهالي عنهم و

ابحثواالمسائل واعدلوا بين الناس دون ماتحيز فأذا استحق انسان السجن لذنب من الذنوب فمنواجبكم الاهتمام بانهاء هذه المسألةحتى لايبقال المجرموقتاً طويلاً فى السجن ، لأنه ومع كون السجن ضرورياً لعقاب أحد الأشفاص

على عمل سىء أتاه ومن المنتظر أن ينتج خيراً إذ أن هذا من شأنه أن يمنع المجرم مناقتراف آثام أخرى فى المستقبل ، وفى نفس الوقت تكون هلل العقوبة مثلاً يردع الآخرين عن الأتيان بأعمال تستحق هذا العقاب ، فأنطلم الماكان السجناء هم من رعاياى وشعبى فأنعدلى ورحمتى لايسمحان بأن يبقو فى السجن أكثر من الوقت المقرر ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والسجن أكثر من الوقت المقرر ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمقرر ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمتهم والمتهرد ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمتهرد ورغبتى المتهرد ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمتهرد ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمتهرد ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمتهرد ورغبتى أن أكون شفيقاً فى المتهرد ورغبتى أن أكون شفيقاً فى معاملتهم والمتهرد ورغبت ورغبت والمتهرد ورغبت والمتهرد ورغبت و

وفى الحالات التى تحدث فيها منازعات بين السكانو البدو أو بين بعضه بعضاً فعليكم أن تعاقبوا المذنب فوراً ومن غير امهال •

وإذا دعوتم شيخاً أو عينا منالاًعيان ورفضالحضور ، ولمّاكان هذا غيــر لائق تجاه السلطة وأنه يعمل هذا سيرغم السلطة على إحضاره بالقوة فعليكـــم أنتعدو احالة كهذه حالة عصيان وأنتحضروه بالقوة ٠

وبالنظر لكافة ما أحدثته لصالح أهالى هذه البلاد سوا البتخفيض الضرائب أو بالغاء السخرة أو بمنع الأعمال التعسفية أو الظلم فمن الواضح إذ أنه لاضرورة لبقاء جنود فيهذه البلاد إذ أن الاهالى سوف يكونون مرغمين بحكالمورة للمحافظة على أملاكهم لل إلى تولى الدفاع عن أنفسهم ضلك أى معتد عليهم يريد مهاجمتهم وذلك حتى لايروا الدمار يحل بهم ومع ذلك فقد أقمت عدداً كافياً من الألويات في مختلف الجهات فخذو احذركم إذن حتسل تدفعوا كل من تحدثه نفسه بالهجوم عليكم وإذاكان من الضروري أنتعساون المديريات فيما بينها فافعلوا ذلك حتى لاينزل السوء بأحدى الجماعات الموجودة تحت اشرافكم

ولمّا كانتالمدافع الموجودة فى السودان من المدافع الكبيرة التى لايمكن جرها على الحبال أو الرمال ولما كانت لهذا السبب غير ذات فائدة بتات للهذا الأن المدافع لاتفيد إلا إذا استطاع الانسان نقلها من مكانلافر ولمّا كانست

المدافع الموجودة فىالسودان لاتتوفر فيها هذه الشروط أمرتان يعظم البعـــف وأن يجمع الباقى ٠

وقدتركت فى جزيرة سنّار ماهو ضرورى من المدافع وهى مدافع خفيف والباقى يوجد فى كورسكو • وقد أُمرت أنتنقل هذه الأخيرة إلى الخرطوم • وعندما يتم جمع كافة المدافع فأنه سيرسل الى كل جزء من أُجزاء البلاد ماهو ضرورى لها •

وكذلك فأنه فى المرتبة الأولى من الاهمية وهذه هيرغبتي الشديدة أنتطنى في كلوقت أخبارمنكم عن أهو الوالبلاد وعن مايحدث فيها ولذلك فمن الواجب أن تنظموا خدمة البريد لجزيرة سننار وكردفان وتاكة على أن يخرج البريد من الجزيرة إلى أبى حمد وعلى بعد كل عشرة ساعات تقريباً تقطع على ظهرالهجن يجب أن تؤسسوا محطات بها هجانة تنقل الرسائل وأن تعدوا فيها أماكن لاقامة هؤلا الستمرار وأن تعنو ابالوسائل التي تكفل لهم ولهجنها الغذاء وتقيمون ثلاثة محطات بين أبوحمد وكورسكو: الأولى عند أبى حمد والشانية عند مرات والثالثة عند كورسكو وذلك لتسهيل ووصوله الرسائل وترتبون عشرة من الهجانة لكلمديرية وترتبون عشرة من الهجانة لكلمديرية و

وأما إذا اعتدى عليكم أحد وهاجمكم ، وكانت قوات أعدائكم كبيلة، وأصبحتم في حاجة إلى نجدات من القاهرة فعليكم أن تخبرونى بذلك سريعا وفي الوقت ذاته أرسل إليكم مايشير الفزع في قلوبهم ويقضى عليه ويفرقهم وسوف أحضر بنفسي حتى اقتص من من أولئك الذين يجرؤون على السارة الاضطراب وفعل الشر٠

ولتعلمواجيدًا أن الاستعدادات الضرورية تتم دائمًا فىالقاهرة وكذلك كالك فىالحالات الضرورية التى تستلزم وجودى مع جندى الذين سأقودها الله المودان وسوف اقتص اقتصاصًا شديداً من أولئك المعتدين ويجسب

أن تتاكدوا أيضا أنه إذا علمت أن الأهالى قد أصابهم سوء من جانبكم أو مـــن جانب المشايخ فسوف لاينجو أحد منكم من عقابى فلتعلموا ذلك جيدًا واسترشدوا بذلك فىتصرفاتكم حيث أن هذه هى أو امرى وهى التى تعبر عن رغباتــــــى وارادتى ٠

. . .

Ē

⁽۱) نقلاعن محمد فواد شكرككالحكم المصرى في السودان ص ٣٢٢ ومابعدها٠

الملحق رقــم (٣)

المرسوم الثانــــى (1)

فى الأمر السامى الذى أصدرته لكم لترتيب الخراج والمتعلق بوضـــع الترتيبات الأخرى موضع التنفيذ ، ذكر أن الضريبة قد صدرت على هذا الأســاس منذ سنة ١٢٧٢ (في الحجة ١٢٧٣) وأن ما دفعه الأهالي من بداية العام حتـــي الوقت الحاض يجب أن يحسب من ضريبة هذه السنة وأنه نتيجة لما أشعر بـــه نحو شعبي من حب فأنه لاينبغي لكم أن تطالبو الأهالي بالمتأخرات المستحقــة عليهم حتى هذه السنة (١٢٧١) ٠

ولكن لمّا كان كلهذا غيرمفسر بشكل واضح فى المرسوم السالف ولمّـــا كان أهالى هذه البلاد أميين فأننى أخشى ان يعتقدوا أنّ هذ هالمتاخرات لازالــت باقية عليهمو أنهم مدينون بها للحكومة ولذلك فأننى أردت من هذا المرســوم الجديد أن أطمئنهم فى هذا المدد تماماً حتى يكتمل سرورهم وتتم سعادتهم وأبيان لهم بوضوح ارادتى ورغباتى ٠

يجرى طرح المبالغ التى دخلت الخزانة من بداية سنة ١٢٧٢ حتى هذا اليـوم بعد عمل خصموفق ماذكره فى أُمرى السابق من خراج العام الحاضر وذلك بعـــد التحقق من صحة حسابات الصيارف بكل دقة ٠

وفيما يتعلقبا ولئك الذين يظلون دائنين للحكومة حتى نهاية سنة ا١٢٧١ه بفضل تقديمهم دفعات من المال تزيد عمّا هو مستحق عليهم فمع ان العدل يقضى بأن تحل هذه الزيادات مكان المتأخرات فأننى لما كنت فى عدالتى لا أريد أن يفقد أحد رعاياى شيئًا من المستحق له ، أطلب منكم أن تقوموا بتعويفى كافة أولئك الذين ثبت تمامًا انهم دائنون للحكومة على النحو المتقدم بعد فحصص دقيق عن هذه الزيادات وذلك بحسابها من خراج العام الحاضر المستحق عليهم٠

ولقد جائت فى المرسوم السابق أنه إذا غير أحد البدو قبيلته فأن الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلته تنقل الىحسابات القبيلة الجديدة التى يختارها وإذا زرع أحد البدو أرضاً خارج حدود قبيلته فلا ينبغى أن يدفع سروى ضريبة هذه الأرض فقط ويجب أن تخصم الضريبة التى كان يدفعها فى قبيلت من حساب هذه القبيلة مفأذا وجدت مثل هذه الحالات ولزمنقل الضريبة التى كان يدفعها الندوى فى قبيلته الأولى إلى حسابات القبيلة الثانية التى انتمسى اليها فأن ذلك سيشير مناقشات ومنازعات حول موضوع قدر الضريبة التى كسان البدوى يدفعها لقبيلته الأولى وهذا يتطلب تحقيقات وضياع وقت كبير،

لذلك وحتى يمكن التخلص من هذه الصعوبات يجب عليكم أنتعو وا فلوقت الذى يتم فيه تحديد الضريبة المفروضة على كلقبيلة بواسطة رئيسها قائمة بقدر الضريبة الموزعة على كلفرد من أفراد هذه القبائل على أن تحتفظوا بهذه القوائم في المديرية للرجوع باليها عند الحاجة ٠

وكذلك من الضرورى معرفة حدود كل قرية من القرى مع إجبار المشايسين والأعيان على احترام هذه الحدود وكذلك من الواجب اقامة الحراس اللازميسين حتى يكونوا مسئولين عن كل جريمة قتل أو سرقة تقع في حدود قريتهم ويكرنوا مجبرين على تقديم السارق أو القاتل وفي حالة تعذر ذلك يصبحون هم المسؤوليين شخصياً وقد صدر الأمر بهذا لفرض المحافظة على الأمن في الطرقوحتي يمتنسع الأفراد من إلقاء المسئولية أحدهم على الآخر مما يجعل النظر في هذه الامسور يتطلب وقتاً طويلاً جداً ويجعل من المتعذر الكشف عن الحقيقة •

وعلى ذلك فواجبكم أنتقوموا بما يلزملتعيين حدود كل قرية وأنتفهموا المشايخ قدر المسئولية الملقاة على عواتقهم ٠

وحتى هذا اليوم كان يودع السارقونوالقتلةوالذين حكم عليهم بالأشغــال الشاقة المؤبدة في سجون السودان فأذا نقلوا بدلاً منذلك رالى السجون الواقعة بعيداً عن عائلاتهم وعن قراهم فأنه من المحتمل أن تمنعهم معرفته معرفته لهذه العقوبة من ارتكاب الآثام وبناءً على ذلك فقد قررت أن ينقل أولئ للذين تصدر ضدهم أحكام بالسجن المؤبد إلى السجون الموجودة في مصر حيست تنفذ فيهم العقوبة ، بينما يرسل من مصر المجرمون المحكوم عليهم بنف العقوبة إلى السود ان لتنفيذ هذه العقوبة فيهم ،

كانت الحسابات فى الماضى ترسل إلى حكمدار السودان ولكن لمّا كانسست كل مديرية مستقلة اليوم فأنه يجب ارسال كشوف حساباتكم كلثلاثة أشهر السسى القاهرة •

وعليكم أن تعلموا كافة المشايخ والأعيان بمحتويات هذا المرســـوم

المرجع السابق ص٣٥٣ ومابعدها٠

ملحق رقــم (٤)

عقد استخدام السير صمويل بيكـــر (۱)

نصالعقد المبرم بينسمو اسماعيل باشا خديو مصر والسيــر ممويل بيكر • الاسكندرية ٢٧ مارس ١٨٦٩م

يتعهد السير صمويل بيكر بالدخول في خدمة سمو اسماعيلباشا فيخدم الحكومسة الممرية لمدة سنتينعلى الأقل · ابتداءً من أول أبريل ١٨٦٩م وتكون مهمت قيادة حملة غرضها ضم بلاد حوض النيل وأفريقيا الوسطى إلى الأقطار المصرية ·

و أول ماترمى اليه الحملة إعلان السيادة المصرية على بلاد النيلل الأبيض التى تقطنها اليوم أمم متبربرة لاقوانين لها ولاحكومة ترعى الأمن فيها • (٢) إلغاء النخاسة في منطقة النيل الأبيض •

- (٣) إدخال الوسائل المشروعة للتجارة التيتعود بالفائدة علىمصر٠
- (٤) إنشاء الملاحة فى البحيرات الكبرى الواقعة فى خط الاستواء وهى منابيع النيل الرئيسية ٠
- (٥) إنشاء خط من النقط العسكرية ابتداءً من غندوكرو فيحوض النيل المتوسط تقع الواحدة علىمسيرة ثلاثة أيام من الأخرى وذلك ضماناً للاتصلال المامية •

وهمكو التكون مصر قد خطت بهذه الأمم الخطوة الأولى نحو الحضارة وهنكو التى لن يتأتى للعالم منها أية فائدة مادامت مقيمة علىحالتهالم الراهنة وفي ستعيش في عداء مستمر مع بعضها بعضًا وستكون حجرعثالية

فى سبيل كل اصلاح مادامت بعيدة عن النفوذ المصرى وطالما بقيت أبوابهــــا مغلقة فى وجه التجارة •

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يقدّم للمدعو السير صمويل بيكر بصفته رئيساً لهذه الحملة مبلغاًقدره عشرة الآف ليرة استرلينية سنويل مضافاً إليها نفقات السفر٠

ويوافق اسماعيل باشا خديو مصر على أن يخلع على المدعو السير صمويل بيكر الرتبة الملائمة لهذه الرئاسة وعلى أن يخوله السلطة المطلقة ـ حتى فيما يتعلق بالحياة والموت ـ على أولئك الذين تتألف منهم الحملة التى أسندت رئاستهـاله . ويمنح كذلك نفس السلطة في البلاد التي تقع في جنوب خط عرض ١٤ شمالاً وتدخل ضمن نطاق حوض النيل .

ويوافق سموه على أن يترك للمحدو صمدول بيكر مطلق التصرف في إعداد كلماراه ضرورياً للحملة وكذلك الحصول عليه ويتعهد سمو اسماعيل المان تدفع المكومة المصرية هذه النفقات ٠

يوافق سمو اسماعيل باشا خديو مصر على أن يقدُّمللمدعو صمويل بيكر حسب طلبه الرجال والذخيرة والمبانوكل مايجده السير صمويل بيكر ضروريًا للحملة •

وفىحالة وفاة السير صمويل بيكر خلال السنة الأولى من مهمته التى كلــف بها فان الحـكومة المصرية لن تحاولانقاص شيئاً من المبلغ الذى عين لــــه سنوياً بل ستعطى المقدار بأكمله لأرملته وورثته وللمشرفين على تركته •

وفى حالة وفاته فى بحر العام الثانى أُوفى السنة التاليةلتعهده فــاأن الحكومة ستطبقنفس المبدأ وستدفع المبلغ الذىتدين به للسير صمويل بيكر ثمناً لخدماته عن السنة الجارية برمته لأرملته وورثته ٠

وعلى السير صمويل بيكر أن يبدى كل مقدرةفى توجيه الحملة لصالح صاحب

⁽۱) وشائق عابدین افرنجیمحفظة رقم ۱۱۹ ملف رقم ۱/۷۲–۷۲ (۲۰۹۲۲ نقلاً عـن د. محمد فؤاد شکری ـ الحکـمالمصری فی السودان ص٥٦٩ومابعدها ۰

ملحق رقـــم (٥)

نظام ملكية الأراضى فى السودان (١)

كانت الأراض فى السودان تملك للأشخاص بعدة طرق منها طريقة وضع اليدد التى كانتتتم عندما يقوم الملك بأعطاء أية جزيرة تظهر من النيل لأى شخصي يختاره من رعاياه سواء كانمن رجال العلم أو من غيرهم وكان المالك لهده الجزيرة أو الأرض يحصل من الملك على عقد مختوم بختامة يخول له ملكيتها وكان من المتبع كذلك أن تنقل ملكيتها من وريث لآخر طبقاً لما جاء بهذا العقد،

وكان منها الرغبة فى استصلاح الأراض البور وذلك بغرض رراعتها و الانتفاع بها ، وكان من المتبع بالنسبة لامتلاك هذا النوع من الأراض أن يقوم الراغب فى اصلاحها بتقديم طلب إلى السلطة يحصل بمقتضاه على ملكية هذه الأراض وذلك بوضع اليد ويصبح المستصلح منذ هذه اللحظة صاحب الحق فى بيعه أو توريثها أو تاجيرها بموجب عقد يحرره أحد الفقها الموجودي

ومنها كذلك طريقة الأيجار التى كانت تحدث عندما يكون المالك ليس لصده مقدرة على زراعة أرضه بسبب اتساعها ففى هذه الحالة كان عليه أن يقصوم بتأجيرها لمن يرغب فى زراعتها بحيث يحمل صاحب الأرض على الثلث ويحمل المستأجر على الثلثين و وفى بعض الأحيان كانتالزراعة من هذا النوع مصن الأراضى تتم بالمرابعة بمعنى الله يحمل صاحب الأرض على الربع ويحمل المستأجر على ثلاثة الأرباع الباقية ومنها طريقة التوريث التى كانت تحدث عندم على على ثلاثة الأرباع الباقية من الارض ففى حالة عدم وجود وريث له ، كان على احديم الاهالى ان يقوم بوضع يده على هذه الارض ثم يقوم بعد ذلك بزراعتها ودفيع الضريبة المقررة عليها للميرى وعندما يهمل هذا المالك الجديد فى زراعتها ففى هذه الحالة تقوم الحكمد ارية باخذها منه واعطائها لغيره من المزارعيسن ليقوم بزراعتها

وكانت الحكمدارية تقوم بفرض ضرائب على هذه الاطيان ولكن لقللسسة

بالتالى إلى تركها والهروب الى اماكن بعيدة كى يمارسون الزراعة فى الراضى غير معروفة المساحة حتى لايدفعوا عنها الضرائب ولكن لمّما علم بذلصك حكمدار السودان (موسى باشا) اضطر الى أن يبطل هذه الضريبة المقصورة على الأراض وفرض غيرها على الأشخاص انفسهم ٠

. . .

⁽۱) دفتر ۲۸۳ وثیقة ۳ ص ۱۳۲ فی ۹ ربیع ثانی سنة ۱۲۹۰ ه الموافق ۱۸۷۳م نقلا عن د۰ یوسف السید نص ـ الوجود المصری فی افریقیا ص ۱۷۶-۱۷۲۰

حمالله الريحمين الرس أيسمدلله رب العالمين والمسلاة والسلاوعلى المرسلين وعلى الفوصيده اجمعين صلاة وسلاما دار آن الى يوم الدين المنابعد فيقول محد عليش دا مه الله نعا على بصيبة المتابعة و حرابيل قدمن الله نعا على بصيبة المتنب الهبارك احما ابن المشع في رابن المشع أحمد الله المشهور بن بالعام والتميلام والبرطة مددة مديدة والبرطة مددة مديدة والبرطة مدد بدة وننارى في حسب عد بدة وفنون من العلوم الشرعب في والمناه عد بدة وفنون من العلوم الشرعب في والانتفاق له الراد العود الى وطنه النهس مى الاجازة بنها طناه منه المن احمد المناه على حملاني على المناه المناه المناه على المناه ا فنات اجزت اخى الهذكور بهاسه عه منى وغيره مها اجازني به استياذ متاعف الده للعرالكجورمومساله بملازمة النفوى فانهاللفلاح السبب الأفوى وانلابنساؤهن صالح دعوائه في حارات وخلوات منارع اللهولي الطريع انهن علينا بالخبر في المعروب انبين علينا بالخبر المعروب ألاحقاك وأنتخترلن بخاتهذ السيقادة وانتجعلناتهن ل مرا المسنى وزيادة الذين دعوا هم فينعا سبحان كاللاهم ولحبذه فبيعا سبعان كاللاهم والمردعوا تعمران الحهد لله رب العالم سر

أصل هذه الرماية معندل مُكلَّت عامد الزفرم

14

ملت رفع الله على مدرة رقم الله مدرة رقم الله مدرة رقم الله المعرب عمد كلية أحري محد الله المدين المستاي ووله سحد الله

انخه كالهم وامحد منكرواليك ومضلي وسنهم على ببرنا محدمترمن وللم عليك وعلي البرواصحاب الهادين والنابع لم بأحسان الي يُوم الدين الما بعد فعُد طلب من الشيخ الفا صاراتُها ع والكامارات ع مئع احد بن تحد بن عسى السنادب وولا العالمان منرجد بن المعلالم عند والله ان اجتركلا منهماً بما نفع لي اجا زيم وصحت لي روايندمن العدوم منتولها ومعقولها وقداجتم علناكل منى فى قراتنا با لازهروالا نورا لمعهوريذكرا يسروسم كالممنى سنامن العلام منفولها ومعتولها فغلت اجزئت اعلى وعنى وسدداه منى على شروط e - Al Cylude on She en aller to 191 موصالها بتفرى الدم العظمى وان لابنساني مى وللوائن وحبوا بن من صالح د عوانهم وعلم السدا عنادى وهوصبى وكغي وللم على واده الذس اصطفى قالم لعنسيما حدين حمركبوه العدور حاسدا مسلما للمالية

رد أصل هذه الدعارة معنفك ممكنة عامنة الخرفوم

معرة من اعزة التي على الذي التي أحد ووله محد "

احدين عمير منعب راكشا وليعوداره عي

بسم الما إحمال مم

ويسرب العالمية والعاقبة للمتنن ولاعدوان الاعكر الطالمية والصلاة والله عمارسيناع مبيدا أرسلب وعلى له ومعبدا جبير أما بعد فت ماسيجا ذني كل من احنينا الفاصل والهام الكامل بركة الوقت وصابح الزمان الحفيف لكالب مان سال ما لمران البنان أرجومن اسان بنستى مركة وشربت عنه المنوم من العلابالمداد الكول البارب النيخ احدب وردبن عيديا لنادب وولدِّه العَاكِرَ لهَا حَلَى والعَا حَلَالْهُ عَلَالْبُحَى عَلَا بِمَا احازين وسابى كاللم الديرسن جهنه ما نعتمه عناليت لظر آن اعلان والامن منها فالك ولسائك فتلت ومانه التوفيق احزة فالهنها بمسا تين كي وعنى ما يدة من معنو الومنتوا يا دا ه وللمركم السرواني فترسط حادة لايشيا كاستالكوا ممارت بعلوت والنام سنايا فتيعد احب يوم لا ينها والم بن ، وصلى الدر المهدنا عاريمل اله وصعب ر - بركتبه سده آلنوعل آلب رب المرون مالخيلك تبدك قني مذهبا الأوريك لمرببة عنزدت كرولولار واحسن الهاطليه كوهم المسلبر أمير وله حداولة توة اله باله العلم العظم وصفى الهطال سيد تأورا والألوصيكل

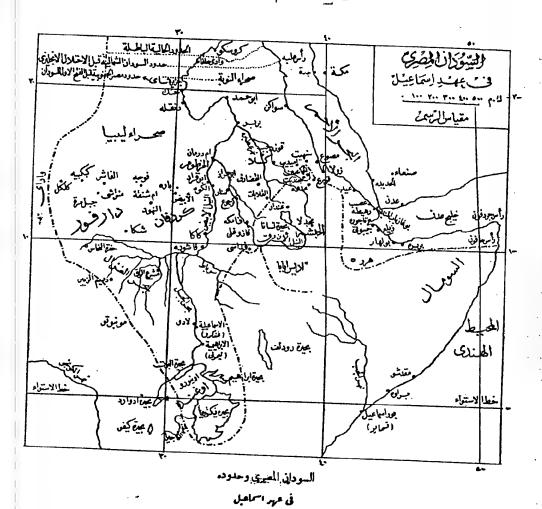
ره آجس جذه الرعزة حفظ عكسة عاطفة الخرفدم.

السودان المصل من مهميات ال



« نقلًا من ميدله مسيد إلحامى - إسعوار صند الناري العدد»

And the same



را نعق می ارافعی ۔ معد اسال کا

المصادروالمراجع

قائمة المصادروالمراجع والدوريات

أولا: المصادر:

ابراهیم فوزی باشیا :

السودان بين يدى غردون وكتشنر (جز ١٠٢خ فى مجلد و الحد) طبع على نفقة جريدة المؤيد - القاهرة ، صفر ١٣١٩ه ٠

احمد بن الحاج ابوعلى (كاتب الشونة) :

مخطوطة كاتب الشونة فىتاريخ السلطنة السارية والادارة المصرية، تحقيق الشاطر بصيلى عبدالجليل ،مراجعة الدكتور محمد مصطفــــى زيادة ٠

دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٦١م٠

سلاطين باشسا :

السيف والنار فىالسودان •

عالم الكتب _ امدرمان ٠ الطبعة الثالثة ١٩٧٨م٠

عبدالرحمن الجبرتى:

تاريخ عجائب الاثار فى التراجم والاخبار (ثلاثة اجراء) طبعة دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ٠

محمد بنعمر التونسى:

تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان •

حققه وکتب حواشیه د ۰ خلیل محمود عساکر ود ۰ مصطفی محمد مسعد ۰ راجعه د ۰ محمد مصطفی زیادة ۰

الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٥م٠

محمد النور بن ضيف الله:

كتاب الطبقات في صخوص الاولياء والصالحين والعلماء والشعراء فيالسودان •

تحقیق د۰ یوسف فضل حسن ۰

محمود طلعت :

غرايب الزمان في فتح بلاد السودان ٠ مطبعة الاسلام بمصر ، ١٣١٤ه٠

ثانياً: المراجــع:

ابراهيم الحاردلو (الدكتور)

الرباط الثقافي بين مصر والسودان •

دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٧م٠

ابراهیم شحاته حسن (الدکتور)

مصر والسودان - دراسة وثائقية مقارنة فىالأصول التاريخية والفكرية للثورتين العرابية والمهدية ٠

توزيع منشأة المعارف، الاسكندرية ١٩٨٠م٠

أحمد السعيد سليمان (الدكتور)

تأصيل ماورد فىتاريخ الجبرتى من الدخيل

دار المعارف، ۱۹۷۹م٠

أحمد عرت عبد الكريم :

تاريخ التعليم فيعصر محمد على مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٨م٠

الان مورهيد:

ـ النيل الأزرق •

ترجمة د٠ نظمى لوقا

دار المعارف بمصر ١٩٦٥م٠

_ النيل الأبيض

ترجمة محمد بدرالدين ظيل

دار المعارف ١٩٦٥م ٠

امین سامـــی :

تقويم النيل وعص اسماعيـــل

القاهرة ١٩٣٦م٠

جميل عبيد (الدكتور)

المديرية الاستوائية

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م٠

جلال يحي (الدكتور) :

مصر الأفريقية والأطماع الاستعمارية فىالقرنالتاسع عشر ، دار المعارف ١٩٨٤م٠

حسب الله محمد احمد :

قصة الحضارة فيالسودان

دار يوليو للترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م٠

حسن أحمد ابراهيم (الدكتور):

رحلة محمد على باشا إلى السودان ١٨٣٨-١٨٣٩م

كراسة رقم(١٥) معهد الدراسات الأفريقية والاسيوية جامعــــــة الخرطوم ، ١٩٨٠م٠

حسن محمد جوهر وحسنين مخلوف:

السودان، أرضه وتاريخه وحياة شعبه ،

مطبوعات دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م •

حسن مكى محمد أحمد :

- جزور وأبعاد التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة المركز الاسلامى الأفريقى بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشدر، كراسة رقم (1)
- السياسة التعليمية والثقافة العربية فيجنوب السودان ٠
 المركز الاسلامي الأفريقي بالخرطوم ، شعبة البحوث والنشر ١٩٨٣م٠

حسين سيد أحمد المفتى :

تطور نظام القضاء في السودان

أمدرمان ١٩٥٨م٠

حسین مؤنس (الدکتور):

الاسلام الفاتح

سلسلة دعوة الحق ، مطبوعات رابطة العالم الاسلامي الرقم (٤) ،دار الأصفهاني للطباعة ، جدة ١٤٠١هـ٠

ركى مصطفى عبدالمجيد (المحامى):

القانون المدنى السوداني ، تاريخه وخصائصـه ،

معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٨م٠

رافت غنيمي الشيخ :

مصر والسودان في العلاقات الدولية ،

عالم الكتب ١٩٧٩م٠

رئاسة مجلس الوزراء المصرى

السودان من ١٣ فبرائر ١٨٤١م الى ١٢ فبرائر ١٩٥٣م٠ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٣م٠

رفاعة رافع الطهطاوى:

المق سسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٣م٠

زاهر رياض (الدكتور):

السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ١٨٢١ - ١٩٥٣م مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٦م٠

سليمان محمد الغنام (الدكتور) :

قراءةجديدة لسياسة محمد على باشا التوسعية ١٨١١–١٨٤٠م فـــــى الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا٠

تهامة ، الطبعة الاولى ١٩٨٠م٠

السيد يوسف نص (الدكتور) :

- _ الوثائق التاريخية للسياسة المصرية في في القصورن التاسع عشر ،دار المعارف، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠م٠
 - _ الوجود المصرى في أفريهُيا في الفترة من ١٨٢٠-١٨٩٩م · دار المعارف، الطبعة الاولى، ١٩٨١م ·

الشاطر بصيلى عبدالجليل:

ـ تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط منالقرن السابع الـى التاسع عشر الميلادى٠

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢م٠

معالمتاریخ سودان وادی النیل
 مکتبة العرب ، القاهرة ، الطبعة الثانیة ۱۹۲۲م •

شوقى الجمل (الدكتور) :

- تاريخ سودان وادى النيل حضارته وعلاقته بمصر من أقصدم العصور إلى الوقت الحاضر (جزءان) مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩م٠
- _ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م •

صدقی ربیع :

النوبة بين القديم والجديد الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ، بدون تاريخ٠

صلاح الدين المليك (الدكتور) :

شعراء الوطنية في السودان •

دار التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الخرطوم ١٩٧٥م٠

ضرار صالح ضرار:

تاريخ السودان الحديث

دار مكتبة الحياة ، بيروت ،الطبعة الرابعة ١٩٦٨م٠

عبدالله حسين (المحامى) :

السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية (جز ً ان في مجلد واحد) •

المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥م •

عبدالرحمن الرافعي :

- عصر اسماعیل (جزءان)
 دار المعارف ، الطبعة الثالثة ۱۹۸۲م٠
- عصر محمد على
 مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م٠
 - مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال
 دار المعارف، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م٠

عبد العزيز امين عبد المجيد :

تاريخ التربية في السودان (ثلاثة اجزاء) المطبعة الأميريةبالقاهرة ١٩٤٩م٠

عبدالمجيد الشادلي (الشيخ):

حد الاسلام وحقيقة الايمان

مركز البحث العلمى ، جامعة أم القرى ، مطابع الصفا بمكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣م٠

عبدالمجيد عابدين (الدكتور):

تاريخ الثقافة العصربية فى السودان منذ نشاتها إلى العصر الحديث دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ·

عر الدين الامين (الدكتور) :

- _ تراث الشعر السوداني
- معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩م٠
- _ قرية كترانج وأثرها العلمى فىالسودان دار التاليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم ١٩٧٥م٠

على ابر اهيم عبده (الدكتور):

ر أضواء على المناقصة الأولية في أعالى النيل •

دار المعارف ١٩٦٣م٠

عمر طوسون (الأمير) :

تاريخ مديرية خط الاستواء المصرية من فتحها إلى ضياءها ١٨٦٩ - ١٨٨٩م (ثلاثة اجزاء) :

مطبعة العدل ، الاسكندرية ١٩٣٧م٠

عوض عبد الهادي العطا:

تاريخ كردفان السياسي في المهدية ١٨٨١-١٨٩٩م

المجلس القومى لرعاية الآداب والفنون ، وزارة الثقافة والاعلام ،

جمهورية السودان الديمقراطية ١٩٧٣م ٠

المجلس الأعلى للشباب والرياضة بجمهورية مصر العربية (جهاز الشباب)

التكامل المصرى السوداني

مصنع القاهرة للظروف والطباعة ، بدون تاريخ٠

محمد ابراهيم أبوسليم (الدكتور) :

- _ تاريخ الخرطسوم
- دار الجبيل ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩م٠
- دور العلماء فىنشر الاسلام فىالسودان المجموعة الاولى مـــن معالم تاريخ الاسلام فىالسودان ، دار الفكر للطباءـــة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ •

محمد أحمد الجابسرى:

في شأن الله أو تاريخ السودان كما يرويه أهله دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧م٠

محمد أحمد محجــوب:

- الحكومة المحلية في السودان
 شركة ومطبعة مصطفى الحلبي ١٩٤٥م٠
- الديمقراطية في الميزان
 دار النها رللنشر ، بيروت ١٩٧٣م٠

محمد سليمان :

دور الًازهر في السودان الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م٠

محمد صالح ضــرار :

تاريخ سواكن والبحر الأحمر الدار السودانية للكتب • الطبعة الاولى ١٩٨١م•

محمد صبـــری :

الامبراطورية السودانية فىالقرن التاسع عشر · القاهرة · مطهة مصر ١٩٤٨م·

محمد عمر بشیــــر :

تطور التعليم في السودان ۱۸۹۸ - ۱۹۵۱م ترجمة هنري رياض واخرين دار الثقافة ٠ بيروت ۱۹۷۰م٠

محمد عوض محمـــد :

السودان الشمالئ سكانه وقبائله مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٥٦م٠

محمد فؤاد شكرى (الدكتور):

- الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠-١٨٨٥م ٠
 دارالفكر العربى ١٩٤٧م٠
- _ مصر والسودان تاريخ وحدةوادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ٠
 - القاهرة ١٩٥٨م ٠
 - مصر والسودان الوضع التاريخي للمسالة ٠
 دار الفكر العربي ٠ القاهرة ٠

محمد فوزی مصطفی:

الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر٠ الدار السودانية ٠ الخرطوم ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م٠

محمد فهمى لهيطة :

تاريخ مصر الاقتصادى فىالعصورالحديثة مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٤م٠

مدثر عبد الرحيم:

القومية والامبرياليةفىالسودان دراسة للتطور الدستورى والسياسى ١٨٩٩–١٩٥٦م٠ دار النها رللنشر، بيروت، ١١٩٧١م٠

مکی شبیکیه :

- تاریخ شعوب وادی النیل مصر والسودان فی القرن التاسع عشر دار الثقافة بیروت ۰
 - ـ مختص تاريخ السودان الحديث ٠
 - مطابع دار الثقافة بيروت، ١٩٦٥م•
 - مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط •
 معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٢م•
 - السودان عبر القرون · دار الثقافة ، بيروت ·

نسيم مقار (الدكتور) :

- الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان دراسة فىالعلاقات الاقصتادية المصرية السودانية ١٨٢١-١٨٤٨م • الهيئة المصرية للكتاب •

نعوم شقيــر:

تاريخ السودان • تحقيق د • محمد ابراهيم أبوسليم دار الجبيل • بيروت ١٩٨١ •

يوسف خليل يوسف:

القومية العربية ودور التربية في تحقيقها الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦م٠

يوسف فضل حسن (الدكتور):

- _ دراسات فى السودان الجزء الأول دراسات فى السودان الجزء الأول دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٥ ١٩٧٠
- مقدمة فى البحوث والدراسات العربية القاهرة ، ١٤٧١م •

يوسف فضل حسن و آخرون :

من معالم تاريخ الاسلام في السودان ، المجموعة الاولى · دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الخرطوم ، بدون تاريخ ·

مراجع باللغة الانجليزية:

- 1 Hill, Richard Egypt In the Sudan 1820-1881 Oxford Univer-sity press - London 1959.
- D Hill, Richard On the Frontiers of Islam The Sudan under Turco Egyption Rule 1822-1845. Clarendon press. On Ford 1970.
- @ Gray, Richard A history of the southern sudan 1839- 1889 London 1965.

ثالثا: الدوريـــات:

أحمد ابراهيم دياب (الدكتور):

العلاقة بين جدة وسواكن في فترة الحكم العثماني المؤرخ العربي العدد ٢٠ بغداد ١٩٨١م٠

جميل عبيد (الدكتور) :

بعثة جوبا وكيف أفادت بريطانيا منالايقاع بينمصر ورنربولام ما ١٨٧٥ – ١٨٧٩م ، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة ، العدد ١٢ مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٧م ،

حسن أحمد ابراهيم (الدكتور) :

محمد على واستخدام الأرقاء السود .

مجلة الدراسات السودانية العدد الأول المجلد الثالث اكتوبر١٩٧١م

حسين كامل ابوالليف:

مرحلة من مراحل التطور السياسي والاجتماعي في السودان المجلة التاريخية المصرية المجلد الخامس ١٩٥٦م٠

سعاد عبدالعزيز أحمد

بدء تحديث السودان عام ١٨٢١م

المق رخ العربي ١٤ بغداد ١٩٨٠م٠

الشاطر بصيلى عبدالجليل

- تحقيق اسماء القبائل والبدنات والشيوخ والجباية الواردة فى تقرير الكولونيل ستيوارت (١٨٤٥–١٨٨٤م) الذى كتبه فى اوائل عام١٨٨٣م المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث مايو ١٩٥٠م ،
 - السلطنة الفونجية فى سودان وادى النيل المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٨ مطابع سجل العرب القاهرة ١٩٧١م٠
 - سودان وادى النيل المجلة التاريخية المصرية المجلد الثاني اكتوبر ١٩٤٩م ٠

عبد الرحمن زكى (القائمقام) :

حكمدارو السودان

المجلة التاريخية المصرية • المجلد الاول، مايو ١٩٤٨م •

محمد سعيد الفوال (الدكتور) :

الرؤ يا ـ الثورة في فكر المهدى

مجلة الخرطوم ، يونيو ١٩٨٢م٠

محمد فؤاد شكرى (الدكتور) :

صفحة من تاريخ السودان الحديث مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة العدد الثامن المجلـــــد الثانى ديسمبر ١٩٤٦م٠

مصطفى محمد مسعد (الدكتور) :

سلطنة دارفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها • المجلة التاريخية المصرية • المجلد ١١ القاهرة ١٩٦٣م•

نسيم مقار (الدكتور) :

رحلة وادنجتون فى السودان١٨٢٠–١٨٢١م المجلة التاريخية المصرية المجلد ١٤ مطبعة جامعة عينشمس ١٩٦٨م٠ ٠٠٠٠٠



فهرس الموضوعـــــات

	• •	كلمة الشكر ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	1	المقدمة
110	– ٤	الباب اللول : النظام الادارى :
	٥	***************************************
	٨	ضم السودان ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	۱۲	طم السودان في السودان قبل امتداد الادارة المصرية ······
	۱۳	ادارة اسماعيل بن محمد على للسودان ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	10	حكمد ارية اسماعيل باشا ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	19	منجزات ادارة اسماعیل ۱۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	**	ملامح النظام الادارى في فترة محمدعلي ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	**	الهيكل الادارى : الحكمدار ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	4 8	المديــرون ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	**	حکمداریة عثمان بك جرکس ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	44	حكمد ارياض محويك ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٣٠	حکمداریة علیخورشید ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	۳۷	حكمدارية أحمد باشا أبوودان٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٣٨	زيارة محمد على للسودان ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٤١	فتح التاكة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٤٣	ادارة أحمد باشا المستكلي ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٤٩	اهم منجزات ادارة محمد على ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٤٩	العمارة وتأسيس المدن
	٥٢	م حفر الأبار ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
	٥٣	الأُمن ووحدة البلاد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	٥٤	الرحلات الكشفية المحادية المحادية المحادث المح
	٥٤	الحكم على الادارة المصرية خلال عهد محمد على٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

71	النظام الادارى فيعصر عباس الأول ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
3.5	حكمدارو السودان في عهد عباس ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
79	نظام الادارة في عهد سعيد
AY	الادارة في عهد اسماعيل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
٨٤	حکمداریة موسی حمدی باشا ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
/7	حكمدارية جعفر باشا صادق ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
7.9	حکمداریة جعفر مظهر باشا۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
98	القضاء على تجارة الرقيق ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
90	فتح منطقة خط الاستواء وضمها للادارة المصرية ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
1 • 8	ادارة السودان الشمالي ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
1+9	الحكمدار اسماعيل باشاايوب •••••••••
11•	ظهور الربير وضميحر الغزال الى املاك الحكومة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
118	ضم بحر الغزال ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰
17+	حكمد ارية رؤوف باشا ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
178	ملاحظات علىادارة اسماعيل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
190-177	الباب الثاني : نظام التعليـــم :
	الباب الباني ؛ تقام التحديد
177	التعليم في السودان قبلعص محمد على٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
144	مدارسالسودان في ذلك الوقت ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
144	التعليم ومناهجه في هذه المرحلة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
188	التعليم في السودان فيعصر محمد على ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
104	جهود عباسالأول ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
140	التعليم في السودان في عصر سعيد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
179	نظام التعليم في السودان في عصر الخديو اسماعيل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠
191	وظيفة الافتاء ودورها فينشرالعلم الشرعي ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

241	r=197	الباب الثالث: نظام القضــــاً :
	197	لنظام القضائي فيمملكة سنار٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	Y • •	لمحكمة العليا بسنار ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	7.7	لمحاكم الصفرى
	7.0	لنظام القضائى في سلطنة دارفور٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	Y+Y	القضاء في كردفان ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	Y+9	النضام القضائى فىالسودان فى عهد محمد على ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	T10	طامالقضاء في عهدي عباس وسعيد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	713	نظام القضاء فيعصراسماعيل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	773	استئناف الاحكام ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	779	استقناف الاحكام
	۲ ۳•	
		القانون السائد ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
۲ ۸ ۷-	_ 778	الباب الرابع : النظام المالى والاقتصادي
	770	الوضع الاقتصادي فيالسودان قبلعصر محمد على ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	Y YX *	الوضع الاقتصادي في دارفسور ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	7 5 7	النظام المالى والاقتصادى فى السودان فى عصر محمد على٠٠٠
	Yoy	النظام المالي والاقتصادي في فترة عباس الاول٠٠٠٠٠٠٠٠
	Y09	
	101	سياسة سعيد المالية والاقتصادية في السودان ٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	*11	النظام الاقتصادي في عصر اسماعيل ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	777	الرراعة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	777	الصناعة والتعدين ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	۲۷۳	التجارة والمواصلات المستحد الم
	TYA ,	الضرائب المناسبة
	****	الضائمة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠
	7	
	· ·	الملاحق

فهرس الملاحـــق

.			
***	فرمانتعیینجعفر باشا صادق ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	(1)	ملحق رقم
PAT	مرسوم سعيدالاول ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	(٢)	ملحق رقم
**1	مرسوم سعید الثانی ۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰۰	("")	ملحق رقم
٣ • ٤	عقد استخدام السير صمويل بيكر ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	(٤)	ملحق رقم
٣٠٦	نظام ملكية الاراضى فىالسودان ٠٠٠٠٠٠٠٠٠	(0)	ملحق رقم
** **	صورةمن اجارة الشيخ عليش ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	(٦)	ملحق رقم
T-9	صورة من اجازة الشيخ احمد بن كيوة ٠٠٠٠٠٠٠	(Y)	ملحق رقم
T1.	صورة من اجارة الشيخ علىالعربي ٠٠٠٠٠٠٠٠	(A)	ملحق رقم
711	خريطة السودان المصرى فيعهد محمد على ٠٠٠٠٠		ملحق رقم
*1 *	خريطة السودانالمصرى في عهد اسماعيل ٠٠٠٠٠		ملحق رقم